أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، عبد الله بن عمر-٦٨٥هـ، كتب في القرن الرابع عشر الهجري تقديرا.

١٤٠ (٢٤٩١) ق ٢٩ س ٢١×٣١ سم

نسخة حسنة، خطها نستعليق، طبع سنة ١٣٤٤هـ.

٦٨١٣ الظاهرية (علوم القرآن): ١٤٨؛ مخطوطات الجامعة ٢: ١١٨

١- التفسير، القرآن الكريم وعلومه أ- المؤلف

ب- تاريخ النسخ.

TAIT



٢٢١

كتاب انوار التنزيل واسرار التاويل للقاضي
الامام العلامة ناصر الدين ابي سعيد
عبد الله بن عمر البيضاوي نسبة الى
البيضا من بلاد فارس ولي قضاء
شيراز توفي بمدينة تبريز
سنة ٦٩١ هـ

الجزء الاول



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى باقصر سورة من سوره مصاقع الخطبا
من العرب العربا فلم يجد به قديرا وافحم من تصدى لمعارضته من فصحا عدنان وبلغا قحطان حتى حسبوا انه
سحر وتسحيرا ثم بين للناس ما نزل اليهم حسب ما عن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته وليتذكر
اولوا الالباب تذكيرا فكشف قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات هن
رموز الخطاب تاويلا وتفسيرا وابرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت
وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها من نصوص الايات
والماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فهو في الدارين
حميد وسعيد ومن لم يرفع اليه راسه واطفا نبراسه يعش ذميما ويصلى سعيرا فيا واجب الوجود
ويا فائض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلوة توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى من اعانه وقرر
بيانه تقريرا وافض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم عليهم وعلينا تسليما كثيرا
وبعد فان اعظم العلوم مقدارا وارفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية وراسها ومبنى
قواعد الشرع واساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه الا من برع في العلوم الدينية كلها اصولها
وفروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون الادبية بانواعها. ولطال ما احدث نفسي بان اصنف في هذا
الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظما الصحابة وعلما التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوي
على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها انا ومن قبلي من افاضل المتاخرين واماثل المحققين ويعرب عن
وجوه القرآت المشهورة المعزية الى الائمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القرا المعتبرين الا ان
قصور بضاعتي يثبطني عن الاقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم
به عزمي على الشروع فيما اردته والاتيان بما قصدته ناويا ان اسميه بعد ان اتممه بانوار التنزيل واسرار
التاويل فها انا الان اشرع وبحسن توفيقه اقول وهو الموفق لكل خير ومعطي كل سول

سورة فاتحة الكتاب

سورة فاتحة الكتاب مكية وآيها سبع آيات

وتسمى ام القرآن لانها مفتتحه ومبدأه فكانها اصله ومنشأه ولذلك تسمى اساسا او لانها تشتمل على ما فيه
من الثنا على الله والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام
العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعدا ومنازل الاشقيا وسورة الكنز
والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراتها
او استحبابها فيها والشافية والشفا لقوله صلى الله عليه وسلم هي شفا كل دا والسبع المثاني لانها سبع آيات با
لاتفاق الا ان منهم من عد التسمية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلوة او الانزال ان صح انها نزلت بمكة
حين فرضت الصلوة وبالمدينة لما حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص

بسم الله الرحمن الرحيم

من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقها
ؤها ومالك والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة فيه بشي فظن انها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها
فقال ما بين الدفتين كلام الله لنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة انه عم قال فاتحة الكتاب سبع آيات
اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة قرأ رسول الله الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب
العالمين آية ومن اجلهما اختلف في انها آية براسها او بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله و
الوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم يكتب آمين. والبا متعلقة بمحذوف
تقديره بسم الله اقرأ لان الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له وذلك
اولى من ان يضمر ابدأ لعدم ما يطابقه ويدل عليه او ابتدائي لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا
اوقع كما في قوله بسم الله مجريها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل في التعظيم
واوفق للوجود فان اسمه تعالى متقدم على القراءة كيف لا وقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد
به شرعا ما لم يصدر باسمه لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر وقيل
البا للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله اقرأ وهذا وما بعده مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه
ويحمد على نعمه ويسال من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية
والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء. والاسم عند
اصحابنا البصريين من الاسماء التي حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون وادخل عليها
مبتدأ بها همزة الوصل لان من دابهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على اسما
واسامي وسمي وسميت ومجي سمى كهدى لغة فيه قال

والله اسماك سمى مباركا — آثرك الله به ايثاركا

والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله
وسم حذفت الواو وعوض عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره
في كلامهم ومن لغاته سم وسم قال — باسم الذي في كل سورة سمه
والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من اصوات متقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار
ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشي فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى
وقوله سبح اسم ربك المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ
الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر. الى الحول ثم اسم السلام عليكما.
وان اريد به الصفة كما هو راي الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى
والى ما هو غيره والى ما ليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر
اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن ولم تكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت البا عوضا

عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع الا انه مختص بالمعبود بالحق والاله في الاصل لكل معبود ثم غلب على المعبود بالحق واشتقاقه من اله الاهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تاله واستاله وقيل من اله اذا تحير اذ العقول تتحير في معرفته ومن الهت الى فلان اي سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته ومن اله اذا فزع من امر نزل عليه وآلهه غيره اجاره اذ العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد يولعون بالتضرع اليه في الشدائد او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة في وجوه فقيل اله كاعاء واشاح ويرده الجمع على آلهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه تعالى محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع على كل شيء وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر

كحلفة من ابي رباح … يشهدها لاهه الكبار

وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والاظهر انه وصف في اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم مثل الثريا والصعق اجري مجراه في اجراء الاوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر آخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوصة لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلاة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر

الا لا بارك الله في سهيل … اذا ما الله بارك في الرجال

الرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطّع وكبار وكبّار وذلك انما يؤخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستعيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او مزيح رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك

من خلقه

من خلقه لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة على رؤس الآي والاظهر انه غير مصروف وان حظر اختصاصه بالله ان يكون له مؤنث على فعلى او فعلانة الحاقا له بالاغلب في بابه وتخصيص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره

الحمد لله الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال

افادتكم النعماء مني ثلاثة … يدي ولساني والضمير المحجبا

فهو اعم منهما من وجه واخص من آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في اداب الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة فيه فقال عليه السلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرف كل احد ان الحمد ما هو او للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط او غير وسط كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة رب العالمين الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع تعالى وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم الكبير ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي حال بقائها الرحمن الرحيم كرره للتعليل على ما سنذكره مالك يوم الدين قراءة عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقرأ الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله تعالى لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم

والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف يشاء من المِلك والمَلِك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين من المُلك وقرئ مَلْك
بالتخفيف ومَلَكَ بلفظ الفعل ومالكاً بالنصب على المدح او الحال ومالكٌ بالرفع منوناً ومضافاً على انه خبر مبتدا محذوف
ومَلِكٌ مضافاً بالرفع والنصب ويوم الدين الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة

ولم يبق سوى العدوا ... ن دناهم كما دانوا

اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق الليل اهل الدار ومعناه مالك
الامور يوم الدين على طريقة ونادى اصحاب الجنة او له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الاضافة
حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم
بالاضافة اما لتعظيمه او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه . واجراء هذه الاوصاف على الله من كونه رباً للعالمين
موجداً لهم منعماً عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكاً لامورهم يوم الثواب والعقاب
للدلالة انه الحقيق بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر
بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يستاهل لان يحمد
فضلاً عن ان يعبد فيكون دليلاً على ما بعده فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني
والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب عليه قضية لسوابق
الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ما وتضمين الوعد
للحامدين والوعيد للمعرضين. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات
عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من هذا شانه نخصك
بالعبادة والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص وللترقي من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود
فكان المعلوم صار عياناً والمعقول مشاهداً والغيبة حضوراً بنى اول الكلام على ما هو مبادي حال العارف
من الذكر والفكر والتامل في اسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شانه وباهر
سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه
عياناً ويناجيه شفاهاً اللهم اجعلنا من الواصلين للعين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن
في الكلام والعدول من اسلوب الى آخر تطرية له وتنشيطاً للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن
الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح
فتثير سحاباً فسقناه وقول امرئ القيس

تطاول ليلك بالاثمد ... ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة ... كليلة ذي العائر الارمد
وذلك من نبأ جاءني ... وخبرته عن ابي الاسود

وايا ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة
لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض
العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضمائر وايا عمدة
فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع

وقرئ

وقرئ أَيَّاك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء . والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبّد
اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا تستعمل الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة
طلب المعونة وهي اما ضرورية او غيرها والضرورية ما لا يتاتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول
آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل وغير
الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويتسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي او يقرب الفاعل الى الفعل
ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها او في اداء العبادات
والضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري صلوة الجماعة او له ولسائر الموحدين ادرج
عبادته في تضاعيف عباداتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة
وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس معناه نعبدك ولا نعبد
غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولاً
وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه
ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب
عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالاً من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك
فضل ما حكى الله عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه حين قال ان معي ربي سيهدين
وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤوس الآي
ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه
اوهم ذلك تبجحاً واعتداداً منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضاً
مما لا يتم ولا يستتب له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ
بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها
اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا وافراد لما هو
المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم
وارد على التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى
فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية الله تتنوع انواعاً لا يحصيها عد لكنها
تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس
الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار
حيث قال وهديناه النجدين وقال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال
الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي
للتي هي اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي او الالهام والمنامات
الصادقة وهذا قسم يختص به الانبيا والاوليا واياه عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده

وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات عليه او حصول المراتب المرتبة
عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي ابداننا لنستضئ
بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة
والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه يسترط السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين
صادا ليطابق الطاء في الاطباق وقد يشم الصاد صوت الزاي ليكون اقرب الى المبدل عنه وقرا ابن كثير برواية
قنبل ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام وجمعه
سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل ملة الاسلام
صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل من الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود
بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه
وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكانه من البين الذي لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون
طريق المؤمنين وقيل الذين انعمت عليهم الانبيا وقيل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وقيل اصحاب موسى
وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في
الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة وهي اللين ونعم الله وان كانت لا تحصى
كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي
وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق
وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية
النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى
المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني ان يغفر له ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في اعلى عليين مع الملائكة
المقربين ابد الآبدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من الآخر فان ما عدا ذلك يشترك
فيه المؤمن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا
من الغضب والضلال او صفة له مبينة او مقيدة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان
وبين السلامة من الغضب والضلال وذلك انما يصح باحد تاويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذ لم يقصد
به معهود كالمحلى في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني
وقولهم اني لامر على الرجل مثلك فيكرمني وجعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ماله ضد واحد وهو
المنعم عليهم فيتعين تعين الحركة من غير سكون وعن ابن كثير نصبه على الحال عن الضمير المجرور والعامل انعمت او باضمار
اعني او بالاستثنا ان فسر النعم بما يعم القبيلين. والغضب ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله اريد
به المنتهى والغاية على ما مر. وعليهم في محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل بخلاف الاول. ولا مزيدة لتاكيد ما في غير
من معنى النفي فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب
وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين. والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطا وله عرض عريض

والتفاوت

والتفاوت ما بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالين
النصارى لقوله قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالين
الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به فكان المقابل له من اختل
احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه
والمخل بالعقل جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمز على لغة من جد في
الهرب من التقاء الساكنين آمين اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس رضي الله عنهما سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها
قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال آمين فزاد الله ما بيننا بعدا
وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه السلام علمني جبريل آمين عند فراغي من قراءة
الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء
عبده يقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وائل بن حجر انه عليه السلام كان اذا قرا ولا الضالين قال
آمين ورفع بها صوته وعن ابي حنيفة رحمه الله انه لا يقوله والمشهور انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس
والمأموم يؤمن معه لقوله صلى الله عليه وسلم اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين
فمن وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لابي الا اخبرك بسورة لم تنزل في التوراة والانجيل والقرآن مثلها قال قلت بلى يا رسول
الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال
بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة
الكتاب وخواتم سورة البقرة لن تقرا حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا صبي من صبيانهم
في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وست وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم
واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو علي وما
روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه السلام قال من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة
بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح
عليه فان تخصيصه به عرف مجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها
حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها لتكون تاديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة
مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه

لكنها قابلة إياه معرضة له إذ لم تناسب مبنى الأصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين الساكنين ولم تعامل
معاملة أين وهؤلاء ثم إن مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي يتركب منها افتتحت السور بطائفة
منها إيقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على أن المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند
غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الإتيان بما يدانيه وليكون أول ما يقرع الأسماع
مستقلا بنوع من الإعجاز فإن النطق بأسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فأما من الأمي الذي لم يخالط الكتاب
فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الأديب الأريب
الفائق في فنه وهو أنه أورد في هذه الفواتح أربعة عشر اسما هي نصف أسامي حروف المعجم إن لم يعد فيها الألف
حرفا برأسها في تسع وعشرين سورة بعددها إذا عد فيها الألف مشتملة على أنصاف أنواعها فذكر من المهموسة وهو
ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة
نصفها يجمعه لن يقطع أمر ومن الشديدة الثمانية المجموعة في أجدت طبقك أربعة يجمعها أقطك ومن البواقي
الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة التي هي الصاد والضاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة
نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الأقل لقلتها ومن اللينتين الياء
لأنها أقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الأعلى وهي سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين
والضاد والظاء نصفها الأقل ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي أحد عشر على ما ذكره سيبويه
واختاره ابن جني ويجمعها أجد طويت منها الستة الشائعة المشهورة التي يجمعها أهطمين وقد زاد بعضهم
سبعة أخرى وهي اللام في أصيلال والصاد والزاي في صراط وزراط والفاء في أجداف والعين في أعن والثاء في ثروغ
الدلو والباء في باسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين
ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين
والضاد والفاء والظاء والشين والزاي والواو نصفها الأقل ومما يدغم فيهما وهي الثلاثة عشر الباقية نصفها
الأكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين والنون واللام لما في الإدغام من الخفة والفصاحة ومن الأربعة
التي لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاي والسين والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذلقية
التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة
كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيها ولما كانت أبنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التي
يجمعها اليوم تنساه سبعة أحرف تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة
من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم إنه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية إيذانا بأن
المتحدى به مركب من كلماتهم التي أصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا إلى الخمسة وذكر ثلاث
مفردات في ثلاث سور لأنها توجد في الأقسام الثلاثة الاسم والفعل والحرف وأربع ثنائيات لأنها تكون
في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن وبه كدم في تسع سور لوقوعها
في كل واحد من الأقسام الثلاثة على ثلاثة أوجه ففي الأسماء من وإذ وذو وفي الأفعال قل وبع وخف

وفي الحروف

وفي الحروف من وإن ومذ على لغة من جر بها وثلاث ثلاثيات لمجيئها في الأقسام الثلاثة في ثلاث عشرة سورة
تنبيها على أن أصول الأبنية المستعملة ثلاثة عشر عشرة منها للأسماء وثلاثة للأفعال ورباعيتين وخماسيتين
تنبيها على أن لكل منهما أصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد بأجمعها
في أول القرآن لهذه الفائدة مع ما فيه من إعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى أن هذا
المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف أو المؤلف منها كذا وقيل هي أسماء للسور وعليه إطباق الأكثر سميت
بها إشعارا بأنها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها
واستدل عليه بأنها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم
يكن القرآن بأسره بيانا وهدى ولما أمكن التحدي به وإن كانت مفهمة فإما أن يراد بها السور التي هي
مستهلها على أنها ألقابها أو غير ذلك والثاني باطل لأنه إما أن يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب
فظاهر أنه ليس كذلك أو غيره وهو باطل لأن القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل
على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز أن تكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستئناف آخر
كما قاله قطرب أو إشارة إلى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله   قلت لها قفي فقالت قاف
كما روي عن ابن عباس أنه قال الألف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه أن الر وحم ون مجموعها الرحمن
وعنه أن الم معناه أنا الله أعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح وعنه أن الألف من الله واللام من جبريل والميم من
محمد أي القرآن منزل من الله بلسان جبريل على محمد أو إلى مدد أقوام وآجال بحساب الجمل كما قال أبو العالية متمسكا
بما روي أنه عليه الصلاة والسلام لما أتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه فقالوا كيف ندخل في دين مدته
إحدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت
علينا فلا ندري بأيها نأخذ فإن تلاوته إياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك
وهذه الدلالة وإن لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكاة
والسجيل والقسطاس أو دلالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث إنها بسائط أسماء
الله تعالى ومادة خطابه هذا وإن القول بأنها أسماء السور يخرجها إلى ما ليس في لغة العرب لأن التسمية
بثلاثة أسماء فصاعدا مستكره عندهم ويؤدي إلى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي تأخر الجزء عن الكل
من حيث إن الاسم متأخر عن المسمى بالرتبة لأنا نقول إن هذه الألفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه
والدلالة على الانقطاع والاستئناف يلزمها وغيرها من حيث إنها فواتح السور ولا يقتضي ذلك أن
لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم أما الشعر فشاذ وأما
قول ابن عباس رضي الله عنهما فتنبيه على أن هذه الحروف منبع الأسماء ومبادئ الخطاب وتمثيل بأمثلة
حسنة ألا ترى أنه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها إذ لا
مخصص لفظا ومعنى ولا بحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز أنه تبسم تعجبا
من جهلهم وجعلها مقسما بها وإن كان غير ممتنع لكنه يحوج إلى إضمار أشياء لا دليل عليها والتسمية

تبلا انه اسماء انما يمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريق بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا
وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء حروف المعجم والمسمى
هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور
والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام
من واضع واحد فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء للقران ولذلك اخبر عنها
بالكتاب والقران وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليها ان عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص ويا حم
عسق ولعله اراد يا منزلها وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو
وسطها والميم من الشفة وهي اخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه ووسطه واخره
ذكر الله تعالى وقيل انه سر استاثر الله تعالى بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة ما
يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ورموز لم يقصد بها افهام
غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء لله تعالى او القران او السور كان لها حظ من الاعراب
اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله تعالى لافعلن بالنصب وغيره كما ذكر
او الجر على اضمار حرف القسم ويتاتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانه
كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها
فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء او الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما
بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن ويكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان
جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتداة
والمفردات المعدودة ويوقف عليها عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم وحم ويس
اية وحم عسق ايتان والبواقي ليست بايات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه ذلك الكتاب ذلك
اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القران فانه لما تكلم به وتقضى
او وصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا اشير اليه بما يشار به الى البعيد وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير
الكتاب فانه خبره او صفته الذي هو هو او الى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله
بقوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ونحوه او في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة
وقيل فعال بمعنى المفعول كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل
الكتب الجمع ومنه الكتيبة لا ريب فيه معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل
بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم
الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى
اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين

وهدى

وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني
الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطما
نينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان لنوائبه
هدى للمتقين يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة
الى البغية لانه جعل مقابل الضلال في قوله تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى
الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به المنتفعون بنصه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر
من مسلم وكافر وبهذا الاعتبار قال هدى للناس او لانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله
في تدبر الايات والنظر في المعجزات وتعرف النبوات لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما
لم تكن الصحة حاصلة واليه اشار بقوله تعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد
الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان يعين المراد
منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن
يقي نفسه عما يضره في الاخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه
قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم
وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعني بقوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه
عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله حق تقاته وقد فسر المتقون هنا على الاوجه الثلاثة واعلم ان الاية تحتمل اوجها من الاعراب ان
يكون الم مبتدا على انه اسم للقران او السورة او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف
مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في تاليفه البالغ اقصى درجات
الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتدا محذوف وذلك خبرا ثانيا
او بدلا والكتاب صفته ولا ريب في المشهورة مبني لتضمنه معنى من منصوب المحل على انه اسم لا النافية
للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى
ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سائر
الكتب كما قصد ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبر محذوف كما في لا ضير فلذلك
وقف على لا ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك
مبتدا والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده
خبره والجملة خبر الم والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك
لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون من كلامهم
وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي ولا ريب فيه ثالثة تشهد على كماله اذ لا كمال اعلى مما
للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له مبتدا رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله او تستتبع

السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تأخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه الذين يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل الطاعة وترك المعصية لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مسوقة للمدح بما تضمنه المتقين وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما. والايمان في اللغة التصديق ماخوذ من الامن كان المصدق امن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما امنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فكافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير فانه اقرب الى الاصل وهو متعين الارادة في الاية اذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف لانه المقصود ام لا بد من انضمام الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند اكثر من الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض والخمصة التي تلي الكلية غيبا او

فيعل

فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا تقتضيه بديهة العقل وهو قسمان لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الاخر واحواله وهو المراد به في الاية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن به لما روي ان ابن مسعود رضي الله عنه قال والذي لا اله غيره ما امن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرا هذه الاية وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للالة ويقيمون الصلاة يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال

اقامت غزالة سوق الضراب ... لاهل العراقين حولا قميطا

فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر وقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن الاداء بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه على الله لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلاة فعلة من صلى اذا دعى كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع الساجد ومما رزقناهم ينفقون الرزق في اللغة الحظ قال تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به واما المعتزلة لما استحالوا من الله ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس برزق الا ترى انه تعالى اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال المطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفاق الشيء وانفاده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من هذا

الانفاق صرف المال في سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها
لاقترانه بما هو شقيقها . وتقديم المفعول للاهتمام به وللمحافظة على رؤس الآي وادخال من التبعيضية عليه للكف
عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي منحهم الله تعالى من النعم الظاهرة و
الباطنة ويؤيده قوله عليه السلام ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم
به من انوار المعرفة . والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن
سلام واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول اخصين تحت
اعم اذ المراد باولئك الذين آمنوا عن شرك وانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا للمتقين
وهو قول ابن عباس رضي الله عنه او على المتقين فكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من اهل الملل
ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط في قوله
الى الملك القرم وابن الهمام   وليث الكتيبة في المزدحم   وقوله يا لهف زيابة للحارث الـ   صابح فالغانم فالآيب
على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية
وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين او طائفة منهم وهم
مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة اشارة بذكرهم وترغيبا
لغيرهم والانزال نقل الشيء من اعلى الى اسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول
الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به فيلقنه
الرسول والمراد بما انزل اليك القرآن باسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه
مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد
موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن كله منزلا ح وبما انزل من قبلك الكتب السابقة والايمان بهما جملة
فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه
على كل احد يوجب الحرج وفساد المعاش وبالآخرة هم يوقنون اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا
عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات واختلافهم
في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم
تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب وبان اعتقادهم في امر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان
واليقين اتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه نظرا واستدلالا ولذلك لا يوصف به العلم القديم
ولا العلوم الضرورية والآخرة تأنيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا
وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها
اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره
لحب المؤقدان الي مؤسى   وجعدة اذ اضاءهما الوقود
اولئك على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له

وكانه

وكانه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون بالغيب الى آخر الآيات
والا فاستئناف لا محل لها وكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب سائل قال ما للموصوفين
بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم
الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستأنف باعادة الاسم وحده لما فيه
من بيان المقتضي وتلخيصه فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء في على هدى
تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به في قولهم امتطى الجهل
والغوى واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج
والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر هدى للتعظيم فكانه اريد به ضرب لا يبالغ كنهه ولا يقادر
قدره ونظيره قول الهذلي   فلا وابي الطير المربة بالضحى   على خالد لقد وقعت على لحم
واكد تعظيمه بان الله مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة واولئك هم المفلحون
كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان كلا
منهما كاف في تميزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله اولئك
كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شيء واحد فكانت
الجملة الثانية مقررة للاولى فلا تناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد
اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب
كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلي يدل على
الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الآخرة او
الاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم تنبيه تأمل كيف نبه سبحانه على اختصاص
المتقين بنيل ما لا يناله كل احد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره
وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء اثرهم وقد تشبث به الوعيدية في خلود
الفساق من اهل القبلة في العذاب ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح
لمن ليس على صفاتهم لا عدم الفلاح له راسا . ان الذين كفروا لما ذكر خاصة عباده وخالصة اوليائه بصفاتهم
التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم اضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يغني عنهم الآيات
والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم
لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شأنه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم
في الضلال وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه
والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه
فرع في العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع
قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد

زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها تأكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة
وتذكر في معرض الشك مثل ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وقال موسى
يا فرعون اني رسول من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل
عن قيامه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي
لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص عنهم غير
المصرين بما اسند اليه والكفر لغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر
ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم به وانما عد لبس الغيار
وشد الزنار ونحوها كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول صلى الله عليه وسلم لا يجترئ عليها
ظاهرا لا لانها كفر في انفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه سابقة
مخبر عنه واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم سواء عليهم أأنذرتهم
ام لم تنذرهم خبر ان وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى الى كلمة سواء بيننا
وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه
او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام
ما وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة
والاسناد اليه كقوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من
ان تراه وانما عدل ههنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير
معنى الاستواء وتأكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد
التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار التخويف اريد به التخويف من عقاب الله تعالى وانما اقتصر
عليه دون البشارة لانه اوقع في القلب واشد تأثيرا في النفس من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا
لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ أانذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين
وقلبها الفا وهو لحن لان المتحركة لا تقلب ولانه يؤدي الى جمع الساكنين على غير حده وبتوسيط الف بينهما محققتين
وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لا يؤمنون جملة مفسرة
لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة
الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان
فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف
بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء
والاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وفائدة الانذار
بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول صلى الله عليه وسلم فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم
يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم أدعوتموهم ام انتم صامتون وفي الآية اخبار بالغيب

على ما

على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم
غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان لما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه
لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا الى انه آخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما
يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث الله في نفوسهم
هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد
واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها
مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة لهم في الانفس والآفاق كما تجتليها اعين المستبصرين
فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم
المؤوفة بها باشياء ضرب الحجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة
بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله ولا تطع
من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاقساء في قوله وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات باسرها
مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل
طبع الله عليها بكفرهم وقوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة
صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطرت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التأويل الاول ان القوم لما اعرضوا
عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني ان المراد به تمثيل
حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن او قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره
سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او
الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم
لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء
على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على ترامي امرهم في الغي وتناهي
انهماكهم في الضلال والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه
وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل
الكتاب والمشركين الآية السادس ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد
له قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم
بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلام من قبلنا فيما يضاف الى الله
من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف
عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع
من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة
بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع

للأمن من اللبس واعتبارًا للأصل فإنه مصدر في أصله والمصادر لا تجمع أو على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم
والأبصار جمع بصر وهو إدراك العين وقد يطلق مجازًا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في
الآية العضو لأنه أشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة
كما قال تعالى إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وإنما جاز إمالتها مع الصاد لأن الراء المكسورة تغلب المستعلية
لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الأخفش ويؤيده العطف على
الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على أبصارهم غشاوة أو على حذف الجار وإيصال الختم بنفسه
إليه والمعنى وختم على أبصارهم بغشاوة وبالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة
بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان
لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناءً ومعنى تقول أعذب عن الشيء ونكل عنه إذا أمسك ومنه الماء العذب لأنه
يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخًا وفراتًا ثم اتسع فأطلق على كل ألم فادح وإن لم يكن نكالًا أي عقابًا
يردع الجاني عن المعاودة فهو أعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو إزالة العذب كالتقذية والتمريض
والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكما أن الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف
به إذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالإضافة إليه. ومعنى التنكير في الآية أن على أبصارهم
نوع غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم
كنهه إلا الله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر لما افتتح سبحانه بشرح حال الكتاب
وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم وثنى بأضدادهم
وهم الذين محضوا الكفر ظاهرًا وباطنًا ولم يلتفتوا لفتة رأسًا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين
وهم الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلًا للتقسيم وهم أخبث الكفرة وأبغضهم إلى الله لأنهم موهوا
الكفر وخلطوا به خداعًا واستهزاءً ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بأفعالهم وسجل
على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الأمثال وأنزل فيهم إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار وقصتهم
عن آخرها معطوفة على قصة المصرين والناس أصله أناس لقولهم إنسان وإنس وأناسي فحذفت الهمزة حذفها
في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله إن المنايا يطلعن على الأناس الآمنينا
شاذ وهو اسم جمع كرجال إذ لم يثبت فعال في أبنية الجمع مأخوذ من أنس لأنهم يستأنسون بأمثالهم أو
آنس لأنهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرًا كما سمي الجن جنًا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة
إذ لا عهد فكأنه قال ومن الناس ناس يقولون وقيل للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة مراد بها
ابن أبي وأصحابه ونظراؤه فإنهم من حيث إنهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم و
اختصاصهم بزيادات يخلف فيها أبعاضها فعلى هذا تكون الآية تقسيمًا للقسم الثاني واختصاص الإيمان من جانبيه
وأحاطوا بقطريه وإيذان بأنهم منافقون فيما يظنون أنهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لأن القوم
كانوا يهودًا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر إيمانًا كلا إيمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وأن الجنة لا

يدخلها

يدخلها غيرهم وأن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودة وغيرها ويرون المؤمنين أنهم آمنوا مثل إيمانهم
وبيان لتضاعف خبثهم وإفراطهم في كفرهم لأن ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم
عقيدتهم لم يكن إيمانًا فكيف وقد قالوه تمويهًا على المسلمين وتهكمًا بهم وفي تكرير الباء ادعاء الإيمان بكل واحد
على الأصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه
باللفظ وللرأي والمذهب مجازًا والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر إلى ما لا ينتهي أو إلى أن يدخل أهل الجنة
الجنة وأهل النار النار لأنه آخر الأوقات المحدودة وما هم بمؤمنين إنكار لما ادعوه ونفي لما انتحلوا
إثباته وكان أصله وما آمنوا ليطابق قولهم في التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيدًا
ومبالغة في التكذيب لأن إخراج ذواتهم من عداد المؤمنين أبلغ من نفي الإيمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك
أكد النفي بالباء وأطلق الإيمان على معنى أنهم ليسوا من الإيمان في شيء ويحتمل أن يقيد بما قيدوا به لأنه جوابه
والآية تدل على أن من ادعى الإيمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنًا لأن من تفوه بالشهادتين
فارغ القلب عما يوافقه أو ينافيه لم يكن مؤمنًا والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا تنهض حجة عليهم
يخادعون الله والذين آمنوا الخدع أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتزله عما هو فيه أو عما
هو بصدده من قولهم خدع الضب إذا توارى في جحره وضب خادع وخدع إذا أوهم الحارش إقباله
عليه ثم خرج من باب آخر وأصله الإخفاء ومنه المخدع للخزانة والأخدعان لعرقين خفيين في العنق
والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لأنه تعالى لا يخفى عليه خافية ولأنهم لم يقصدوا
خديعته بل المراد إما مخادعة رسوله على حذف المضاف أو على أن معاملة الرسول معاملة الله تعالى من حيث
أنه خليفته كما قال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وإما أن
صورة صنيعهم مع الله تعالى من إظهار الإيمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم بإجراء أحكام المسلمين
عليهم وهم عنده أخبث الكفار وأهل الدرك الأسفل من النار استدراجًا لهم وامتثال الرسول والمؤ
منين أمر الله في إخفاء حالهم وإجراء حكم الإسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين
ويحتمل أن يراد بيخادعون يخدعون لأنه بيان ليقول أو استئناف بذكر ما هو الغرض منه إلا أنه أخرج في زنة
فاعلت للمبالغة فإن الزنة لما كانت للمبالغة والفعل متى غولب فيه كان أبلغ منه إذا جاء بلا مقابلة معارض
ومبار استصحبت ذلك ويعضده قراءة من قرأ يخدعون وكان غرضهم في ذلك أن يدفعوا عن أنفسهم
ما يطرق به من سواهم من الكفرة وأن يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الإكرام والإعطاء وأن يختلطوا
بالمسلمين فيطلعوا على أسرارهم ويذيعوها إلى منابذيهم إلى غير ذلك من الأغراض والمقاصد وما
يخادعون إلا أنفسهم قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو والمعنى أن دائرة الخداع راجعة إليهم وضررها
يحيق بهم أو أنهم في ذلك خدعوا أنفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم أنفسهم حيث حدثتهم
بالأماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى من خدع ويخدعون بمعنى يختدعون ويخدعون ويخا
دعون بالبناء للمفعول ونصب أنفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لأن

نفس الحي به وللقلب لانه محل الروح ومتعلقه وللاعراف قوامها به وللما لفرط حاجتها اليه وللرأي في قولهم
فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا تامره وتشير عليه والمراد بالانفس ههنا ذواتهم و
يحتمل حملها على ارواحهم وآرائهم وما يشعرون لا يحسون ذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع
ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر
الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا المرض حقيقة فيما يعرض
البدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها
كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية
الى زوال الحيوة الحقيقية الابدية والاية تحتملهما فان قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة
وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول صلى الله عليه وسلم واستعلاء شانه يوما فيوما فزاد الله غمهم
بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي صلى
الله عليه وسلم ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع او بازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان
اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله واسنادها الى السورة في قوله تعالى فزادتهم رجسا
لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله
تعالى لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله صلى الله عليه وسلم نصرة على الاعداء
وتبسطا في البلاد . ولهم عذاب اليم اي مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة
كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة قولهم جد جده بما كانوا يكذبون
قراءة عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او ببدله جزاء لهم وهو قولهم آمنا وقرأ الباقون
يكذبون من كذبه لانهم يكذبون الرسول عليه السلام بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم او من كذب الذي
هو للمبالغة او التكثير مثل بين الشيء وموتت البهائم او من كذب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما
وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق
العذاب حيث رتب عليه وما روي ان ابرهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه
الكذب في صورته سمي به واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض عطف على يكذبون او يقول وما روي عن سلمان رضي
الله عنه ان اهل هذه الاية لم ياتوا بعد فلعله اراد به ان اهله ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من
حاله حالهم لان الاية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده
وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالأة الكفار
عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار
المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرائع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم
والقائل هو الله تعالى او الرسول صلى الله عليه وسلم او بعض المؤمنين وقرأ الكسائي وهشام قيل باشمام الضم الاول
قالوا انما نحن مصلحون جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شاننا

ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لان انما تفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل انما
زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض
كما قال تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا . الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون رد لما ادعوه هم
ابلغ رد للاستئناف به وتصديره بحرفي التاكيد الا المنبهة على تحقق ما بعدها فان همزة الاستفهام
التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك بقادر ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها الا
مصدرة بما يتلقى به القسم واختها اما التي هي من طلائع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط
الفصل لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون واذا قيل لهم
آمنوا من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع امرين الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله
لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا كما آمن الناس في حيز النصب على المصدر وما مصدرية
او كافة مثلها في ربما . واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية العاملون بقضية
العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك
يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم ونحوه وقد جمعهما الشاعر
في قوله

اذ الناس ناس والزمان زمان

او للعهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى
آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة
الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الهمزة فيه للانكار
واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم
فساد رأيهم او لتحقير شانهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم
المبالاة بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة رأي يقتضيهما
نقصان العقل والحلم يقابله الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله
الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه
الايات والنذر وانما فصلت الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان
الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد
فانما يدرك بادنى تفطن وتامل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بيان
لمعاملتهم المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير
روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم
فاخذ بيد ابي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في
الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق
القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي رضي الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول

الله وحشه سيد بنيها شمر ما خلا رسول الله فنزلت واللقا المصادفة يقال لقيته اذا صادفته واستقبلته
ومنه القيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى وَاِذَا خَلَوْا اِلَى شَيَاطِينِهِمْ من خلوت بفلان واليه اذا
انفردت معه او من خلاك ذم اى عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت
منه وعدى بالى لتضمن معنى الانتهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان فى تمردهم وهم المظهرون
كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة فى الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة
اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من
شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل قَالُوا اِنَّا مَعَكُمْ اى فى الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة
الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية
تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين
ولا توقع رواج ادعا الكمال فى الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار
اِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشئ المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان
من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف فكان الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح
ذلك فما بالكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف
يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ
فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اى تسرع وتخف اَللّٰهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ يجازيهم على استهزائهم
سمى جزاء الاستهزاء باسمه كما سمى جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له
فى القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذى هو
لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما فى الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم
واستدراجهم بالامهال والزيادة فى النعمة على التمادى فى الطغيان واما فى الاخرة فبان يفتح لهم وهم
فى النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا
من الكفار يضحكون وانما استونف به ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين
ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه به فى مقابلة ما يفعل الله تعالى بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ
بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله
فيهم كما قال تعالى اولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ من
مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا اصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد
فى العمر فانه يعدى باللام كاملى له ويدل عليه قراءة ابن كثير ويُمِدُّهُمْ والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام
على ظاهره قالوا لما منعهم الله الطافه التى يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طرق
التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان
من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم

ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق الغى وقال واخوانهم
يمدونهم فى الغى او اصله يمد لهم بمعنى يملى لهم ويمد فى اعمارهم كى يتنبهوا ويطيعوا فما ازدادوا الا طغيانا
وعمها فحذفت اللام وعدى الفعل بنفسه كما فى قوله تعالى واختار موسى قومه او التقدير يمد لهم استصلاحا
وهم مع ذلك يعمهون فى طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد فى العتو
والغلو فى الكفر واصله تجاوز الشئ عن مكانه قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه فى البصيرة كالعمى
فى البصر وهو التحير فى الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال اعمى الهدى بالجاهلين العمه
اُولٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب
من الاعيان فان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله
اشتراء والا فاى العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر واخذه بائع ولذلك عدت الكلمتان
من الاضداد ثم استعير للاعراض عما فى يده محصلا به غيره سواء كان من المعانى او الاعيان ومنه

اخذت بالجمة راسا ازعرا — وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا جيدرا — كما اشترى المسلم اذ تنصرا

ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشئ طمعا فى غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذى جعله لهم بالفطرة
التى فطر الناس عليها محصلين الضلالة التى ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى فَمَا
رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء فى معاملتهم اتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارهم ونحوه

ولما رايت النسر عز ابن داية — وعشش فى وكريه جاش له صدرى

والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل على راس المال ولذلك سمى شفا واسناده الى التجارة
وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران
وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين
لان راس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم
واختل عقلهم ولم يبق لهم راس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن
الربح فاقدين للاصل مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة فى التو
ضيح والتقرير فانه اوقع فى القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر
ما اكثر الله تعالى فى كتبه الامثال وفشت فى كلام الانبياء والحكماء والمثل فى الاصل بمعنى النظير يقال
مِثل ومَثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا
ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة
مثل قوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون وقوله تعالى ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان
كحال من استوقد نارا والذى بمعنى الذين كما فى قوله تعالى وخضتم كالذى خاضوا ان جعل
مرجع الضمير فى بنورهم وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف

بل الجملة التي هي صلته وهو وصله الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه ان لا يجمع
كما لا تجمع اخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء
بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف
ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذي استوقد
والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور
نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا فلما اضاءت ما حوله اي النار ما حول المستوقد ان جعلتها متعدية
والا امكن ان تكون مسندة الى ما والتأنيث لان ما حوله اشياء واماكن او الى ضمير النار وما موصولة في معنى
الامكنة نصب على الظرف او مزيدة وحوله ظرف وتأليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور ذهب
الله بنورهم جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه
المراد من ايقادها او استئناف اجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفأت
ناره او بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى
فلما ذهبوا به للايجاز وامن الالباس واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله او لان الاطفاء
حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر او للمبالغة ولذلك عدى الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى
الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له و
لذلك عدل عن الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا الا ترى كيف قرر ذلك
واكده بقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها
ووصفها بانها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد
فضمن معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله تعالى فتركهم في ظلمات وقول الشاعر

فتركته جزر السباع ينشنه يقضمن حسن بنانه والمعصم

والظلمة مأخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم
ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم
او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله تعالى وظلمة العقاب السرمد او ظلمة شديدة كانها ظلمات متراكمة
ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكان الفعل غير متعد والاية مثل ضربه الله تعالى لمن
اتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما
تضمنته الاية الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق
باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن اثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة
او ارتد عن دينه بعد ما امن ومن صح له احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق
عليه من نور الارادة او مثل لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد
ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره باهلاكهم

وافشا

وافشاء حالهم باطفاء الله اياها واذهاب نورها صم بكم عمي لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى
الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصروا الايات بابصارهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم

كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا

وقوله اصم عن الشيء الذي لا اريده واسمع خلق الله حين اريد

واطلاقها عليهم على سبيل التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على
المستعار منه لولا القرينة كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم
ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام

ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء

وههنا وان طوي ذكره بحذف المبتدا لكنه في حكم المنطوق به ونظيره

اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر

هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الاية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها
والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم
وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء
ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون
باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه فيشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم
البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة فهم لا يرجعون لا يعودون الى الهدى الذي باعوه
وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها او فهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون والى حيث
ابتدؤوا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم
او كصيب من السماء عطف على الذي استوقد اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم واو في الاصل
للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلقت للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله
تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا فانه يفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله
تعالى او كصيب ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه بهما وانت
مخير في التمثيل بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب
قال الشماخ

واسحم دان صادق الرعد صيب

وفي الاية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق
اخذ بآفاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء قال ومن بعد ارض بيننا وسماء
امد به ما في صيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية
فيه ظلمات ورعد وبرق ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع
ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان اريد به السحاب

فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد الصوت
يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من
الارتعاد . والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما في الاصل مصدر ولذلك لم يجمعا
يجعلون اصابعهم في آذانهم الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه
لكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان رضي الله عنه في قوله

يسقون من ورد البريص عليهم   بردى يصفق بالرحيق السلسل

حيث ذكر الضمير لان معنى ماء بردى والجملة استيناف فكانه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل
فكيف حالهم مع مثل ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة من الصواعق متعلق
بيجعلون اي من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها
نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد تطلق على كل هائل مسموع او
مشاهد ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس
بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته
الصاقعة وهي في الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الرواية او مصدر كالعافية والكاذبة
حذر الموت نصب على العلة كقوله   واغفر عوراء الكريم ادخاره   واصفح عن شتم اللئيم تكرما
والموت زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحياة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والا
عدام مقدرة والله محيط بالكافرين لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل و
الجملة اعتراضية لا محل لها يكاد البرق يخطف ابصارهم استيناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم
مع تلك الصواعق وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم
يوجد اما لفقد شرط او لوجود مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف
عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير ان لتوكيد
القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف من خبرها لمشاركتهما
في اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف على انه يختطف فنقلت
فتحة التاء الى الخاء ثم ادغمت في الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها ويخطف ويتخطف
كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق
البرق وخفيته فاجيب بذلك واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى
اخذوه او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم
الليل ويشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول وقول ابي تمام

هما اظلما حالي ثمت اجليا   ظلاميهما عن وجه امرد اشيب

فانه وان كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه . وانما

قال مع

قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك
التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم
وابصارهم اي ولو شاء الله ان يذهب سمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما
فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله

فلو شئت ان ابكي دما لبكيته

ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند
انتفاء اللازم وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفائدة هذه
الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها
مشروط بمشيته تعالى وان وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته وقوله ان الله على كل شيء قدير كالتصريح
به والتقرير له والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول البارئ
تعالى كما قال تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد وبمعنى مشيء اخرى اي مشيء وجوده وما شاء الله
وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير الله خالق كل شيء فهما على
عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر
عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد الشيء وقيل
صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله عبارة عن نفي العجز عنه والقادر
هو الذي ان شاء فعل وان شاء لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قلما يوصف به غير البارئ
تعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما تقتضيه مشيته
وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور لله تعالى
لانه شيء وكل شيء مقدور والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان تشبه كيفية منتزعة من
مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية
ثم لم يحملوها الآية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التورية بحال الحمار في جهله بما يحمل من
اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها
في ظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن
جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو ان تاخذ اشياء فرادى فتشبهها بامثالها كقوله تعالى وما يستوي الاعمى
والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس

كان قلوب الطير رطبا ويابسا   لدى وكرها العناب والحشف البالي

بان يشبه في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن
الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب
باهلاكهم او بافشاء حالهم وابقائهم في الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم

وفي الثاني انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط للكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان
كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضرا ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من
سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الاذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله تعالى شيئا ولا يخلص
مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما يأتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها
فرصة مع خوف ان تخطف ابصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك بهم وقيل شبه
الايمان والقرآن وسائر ما اوتي الانسان من المعارف التي هي سبب الحيوة الابدية بالصيب الذي به حيوة
الارض وما ارتبكت بها من الشبهة المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشككة بالظلمات وما فيها من
الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الايات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله
الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم
لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد تطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم
وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه سبحانه بقوله ولو
شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم
انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء الله تعالى لجعلهم بالحالة التي يجعلونها
لانفسهم فانه على ما يشاء قدير يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف
امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها
وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد
اما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء
بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل واي جعل وصلة الى نداء
المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين واعطي حكم المنادى
واجري عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود واقحمت بينهما ها التنبيه
تأكيدا وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله
باوجه من التأكيد وكل ما نادى الله له عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا
بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالآكد الابلغ والجموع واسماؤها المحلاة باللام
للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم
اجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شائعا ذائعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن
سيوجد لما تواتر من دينه عليه السلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة
الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين
آمنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المأمور به هو
القدر المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها

بعد

بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم
الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه
ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هي الربوبية الذي خلقكم
صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب
اعم من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير
يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالقياس والذين من قبلكم متناول كل ما يتقدم الانسان بالذات
او الزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم
به كما قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ من قبلكم
على اقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تأكيدا كما اقحم جرير في قوله   يا تيم تيم عدي لا ابا لكم
تيم الثاني بين الاول وما اضيف اليه لعلكم تتقون حال من الضمير في اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين
ان تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين جوار الله تعالى نبه به على ان التقوى
منتهى درجات السالكين وهو التبري عن كل شيء سوى الله الى الله وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون
ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم
والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه
وكثرة الدواعي اليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق اي خلقكم
لكي تتقوا كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والاية
تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال
بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو
كاجير اخذ الاجر قبل العمل الذي جعل لكم الارض فراشا صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ
خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال العامة يجيء على ثلاثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله

وقد جعلت قلوص بني سهيل   من الاكوار مرتعها قريب

وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير فيتعدى الى مفعولين
كقوله جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول والعقد اخرى ومعنى جعلها فراشا
ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة
واللطافة حتى صارت مهيأة لان يقعدوا ويناموا عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها
مسطحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تأبى الافتراش عليها والسماء بناء قبة
مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر
سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا
وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله

ومشيئته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة
صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما
انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشيا كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن
له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع وحكم يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته
ليست في ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان
المطر يبتدئ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء
الرطبة من اعماق الارض الى جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا
به من ثمرات واكتناف المنكرين له اعني ماء ورزقا كانه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض
الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمرات ولا جعل
كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات
والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من قرأ من
الثمرة على التوحيد او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله تعالى
ثلاثة قروء او لان الثمرات لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعوله
ان اريد به المصدر كانه قيل رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا متعلق باعبدوا على انه نهي معطوف عليه
او نفي منصوب باضمار ان جواب له او بلعل على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب
اسباب السموات فاطلع الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها في انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا
له اندادا او بالذي جعل ان استأنفت به على انه نهي وقع خبرا على تاويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية
ادخلت عليه لتضمن المبتدأ معنى الشرط والمعنى من حفكم بهذه النعم الجسام والايات العظام ينبغي ان لا
يشرك به والند المثل المناوي قال جرير

اتيما تجعلون الي ندا … وما تيم لذي حسب نديد

من ند ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي بالمماثل
في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا وما زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته
ولا انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها الهة شابهت حالهم حال من يعتقد
انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير
فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن
عمرو بن نفيل

اربا واحدا ام الف رب … ادين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزى جميعا … كذلك يفعل الرجل البصير

وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر
واصابة الرأي فلو تأملتم ادنى تأمل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات منفرد بوجوب الذات متعال
عن مشابهة المخلوقات او منوي وهو انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله تعالى هل من شركائكم

من يفعل

من يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل
المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم ان مضمون الايتين هو الامر بعبادة الله تعالى والنهي عن الاشراك به
والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها
ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم
والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من الماكول والمشروب ثم لما كانت هذه امورا لا يقدر عليها
غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الاية الاخيرة مع ما دل عليه
الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني والصفات على طريقة
التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة
بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية
الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل اية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة لما قرر وحدانيته تعالى وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة
على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القران المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق وافحامه من طولب
بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة
والمعارة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما
بحسب الوقائع على ما ترى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم فقال وقال الذين كفروا لولا
نزل عليه القران جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف العبد
الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمدا وامته. والسورة
الطائفة من القران المترجمة التي اقلها ثلاث ايات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور
المدينة لانها محيطة بطائفة من القران مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء
سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال النابغة

ولرهط حراب وقد سورة … في المجد ليس غرابها بمطار

لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ او لها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب
القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التي هي البقية والقطعة من الشيء والحكمة في تقطيع القران
سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه
فانه اذا ختم سورة نفس ذلك منه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها
اعتقد انه اخذ من القران حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج
به الى غير ذلك من الفوائد من مثله صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض
او للتبيين وزائدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقران في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن
للابتداء اي بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم

اوصلة فاتوا والضمير للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله تعالى فاتوا بسورة مثله ولسائر
آيات التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان
مخاطبة الجم الغفير بان ياتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليات
بنحو ما اتى به هذا آخر مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولان رده الى عبد يوهم امكان صدوره ممن لم
يكن على صفته ولا يلائمه قوله وادعوا شهداءكم من دون الله فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم
ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او الامام وكانه سمي به
لانه يحضر النوادي ويبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول
في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه
تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب
فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف ومنه الشيء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد
وتخطي امر الى آخر قال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا
ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين قال امية ... يا نفس ما لك دون الله من واق ...
اي اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا للمعارضة من حضركم او
رجوتم معونته من انسكم وجنكم والهتكم غير الله تعالى فانه لا يقدر على ان ياتي بمثله الا الله تعالى او
وادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت
العاجز عن اقامة الحجة او شهداءكم اي الذين اتخذتموهم من دون الله اولياء والهة وزعمتم انها تشهد لكم
يوم القيامة او الذين يشهدون لكم بين يدي الله تعالى على زعمكم من قول الاعشى. تريك القذى من دونها وهي دونه.
ليعينوكم وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد في معارضة القران غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون
الله اي من دون اوليائه يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله فان العاقل
لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله ان كنتم صادقين انه من كلام البشر
وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة
لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم
نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها
الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل
رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه
او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فآمنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف
بالفعل الذي يعم الاتيان وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكني عنه وتهويلا
لشان العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية بان الذي للشك والحال يقتضي اذا الذي

للوجوب

للوجوب فان القائل سبحانه وتعالى لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء
تهكما بهم وخطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التامل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم
لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف
الشرط كالداخل على المجموع فكانه قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير
انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى اصله لا ان
وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما يوقد به النار وبالضم مصدر وقد جاء المصدر
بالفتح قال سيبويه سمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر سمي به كما
قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد المصدر فعلى حذف مضاف
اي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام
التي نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار بمكانهم
ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب
الكانزون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها
ويغترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو
تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها
والكبريت تتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس فلعله عنى به ان الاحجار كلها لتلك
النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الآية مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة
التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة بازائها فانها يجب ان تكون
قصة معلومة اعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى
العدة والجملة استئناف او حال باضمار قد من النار لا الضمير الذي في وقودها وان جعلته مصدرا للفصل بينهما
بالخبر وفي الآيتين ما يدل على النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع
في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القران
ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا لمعارضته والتجأوا الى جلاء
الوطن وبذل المهج والثاني انهما تتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع
خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث انه عليه السلام لو شك
في امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله تعالى اعدت للكافرين
دل على ان النار مخلوقة معدة لهم الآن وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات عطف على الجملة
السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقران ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما
جرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن
اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه

اوعلى فاتقوا لانهم اذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول عليه السلام او عالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنؤا بما اعد لهم وقرئ وبُشِّر على البنا للمفعول عطفا على اعدت فيكون استينافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هو الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة

كيف الهجا وما تنفك صالحة … من آل لام بظهر الغيب تأتيني

وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها على تاويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليها اشعارا بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبنا عليه ولا غنا باس لا بنا عليه ولذلك قلما ذكرا منفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه وما هو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضا الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة قال زهير

كأن عيني في غربي مقتلة … من النواضح تسقي جنة سحقا

اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعيم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم الاية وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافئ النعم السابقة فضلا عن ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه السلام لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه لم يقيد هاهنا استغنا بها تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الما الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة في قوله تعالى فيها انهار من ما

غير أنس

غير أنس الاية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او المجاز او المجاري انفسها واسناد الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها الاية كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة كانه لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا او اجناس اخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال واصل الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدا من الجنات مبتدا من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدا من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الما لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي ولكن لما استحكم التشبيه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة من قبل اي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما يرى فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غيره ويتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها متشابه الصورة كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف او كما روي انه عليه السلام قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة واتوا به متشابها اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسما قلت التشابه حاصل بينهما في الصورة التي هي مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه هذا وان للآية محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابهها تماثلها في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة مما يستقذر من النسا ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النسا فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال

وإذا العذارى بالدخان تقنعت … واستعجلت نصب القدور فملت

فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطا وكسرها بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ
من طاهرة ومطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله تعالى والزوج يقال للذكر والانثى وهو
في الاصل لماله قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفائدة
المنكوح التوالد وحفظ النوع وهو مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر احوالها انما
تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة
والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها وهم فيها خا
لدون دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار
خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد با
لتابيد في قوله خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا
والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان
مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به ههنا الدوام عند الجمهور لما يشهد له من
الايات والسنن فان قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى
الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة
بان يجعل اجزاءها مثلا متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الآخر
متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما نشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك
العالم واحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان
معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء كان ملاك ذلك كله
الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم
بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم في الاخرة بابهى ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد
الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما كانت
الايات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو
ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف
دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة
المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل
مع منازعة من الوهم لان من طبعه الميل الى الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب
الالهية وفشت في عبارة البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان
كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدور بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة
ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في كلام العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من
مخ البعوض لاما قالت الجهلة من الكفار لما ضرب الله حال المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة

الاصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل من
ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل
ورتب عليه وعيد من كفر ووعد من امن بعد ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال ان الله لا
يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن
القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو
انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحيوة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن
افعالها فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وحشي اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به الباري تعالى كما
جاء في الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد
يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه
اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف ابلا

اذا ما استحين الماء يعرض نفسه   كرعن بسبت في اناء من الورد

وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل الاية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع
في كلام الكفرة وضرب المثل اعماله من ضرب الخاتم واصله وقع شيء على آخر وان بصلتها مخفوض المحل
عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه واما ابهامية تزيد النكرة
ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني كتابا ما اي اي كتاب كان او مزيدة للتاكيد
كالتي في قوله تعالى فبما رحمة ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع فان القرآن كله هدى وبيان بل ما لم يوضع
لمعنى يراد منه وانما وضعت لان تذكر مع غيرها فتفيد له وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح
فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانه نكرة او هما مفعولاه
لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وعلى هذا يحتمل ما وجوها اخر ان تكون
موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تعالى تماما على الذي احسن وموصوفة بصفة كذلك
ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدأ كانه لما رد استبعادهم ضرب الله الامثال
قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره
فلان لا يبالي مما يهب ما دينار وديناران والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب
غلب على هذا النوع كالخموش فما فوقها عطف على بعوضة او ما ان جعل اسما ومعناه ما زاد عليها في
الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما
هو اكبر منه او في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عم ضربه مثلا للدنيا ونظيره
في الاحتمالين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه
بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة في الالم كالخرور وما زاد عليها في القلة كنخبة النملة لقوله عليه السلام

ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ اما حرف يفصل ما اجمل ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوها على الخبر وعوضوا المبتدا عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين به احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع خبر ما وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فعلى هذا لم تكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الاخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز او الحال كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا جواب ماذا اي اضلال كثير واهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى نفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال تعالى وقليل ما هم وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال . قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا .
وقال

ان الكرام كثير في البلاد وان ... قلوا كما غيرهم قل وان كثروا

وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الخارجين عن حد الايمان كقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة

فواسقا عن قصدها جوائرا

والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلاث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس

الكفر

الكفر وما دام هو في درجة التغابي او الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين الآية والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤوا به وقرئ يُضَلُّ بالبناء للمفعول والفاسقون بالرفع الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ صفة الفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو ان العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او المأخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود الله تعالى ثلاثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاستحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب او ما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شأن وهو الطلب والقصد يقال شأنه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحياة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها والنظر في حقائقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب

كيف تكفرون بالله استخبار فيه انكار وتعجب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني فان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون وكنتم امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي ثم يميتكم عند تقضي اجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور ثم اليه ترجعون بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفرهم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الاية تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر على احيائهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته او مع القبيلين فانه سبحانه وتعالى لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعمة يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة الحقيقية كما قال تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اي جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لانها من طلائعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة وقرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القران هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم وتتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلائمها من لذات الاخرة والامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض

من حيث

من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض لا الارض الا اذا اريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثاني ثم استوى الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المرتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله تعالى ثم كان من الذين امنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تأخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان يستأنف دحاها مقدرا لنصب الارض فعلا اخر دل عليه اانتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر فسواهن عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا سبع سموات بدل او تفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الاية نفي الزائد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف وهو بكل شيء عليم فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعد ما تفتتت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ منها شيء ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلث مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الايتين اما الاولى فهي ان مواد الابدان قابلة للجمع والحيوة واشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات يابى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه عز وجل عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها فاشار الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر على ابدائها وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم وانه خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته وجلالة قدرته ودقة حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة تعداد

لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق آدم واكرامه وتفضيله على الملائكة بان امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته
واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك
يجب اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب ابدا
بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف
ونحوه فعلى تاويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الاية قالوا او اذكر على
التاويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القرآن كثيرا او مضمر دل عليه مضمون الاية المتقدمة مثل وبدا
خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع
ملاك على الاصل كالشمائل جمع شمال والتاء لتانيث الجمع وهو مقلوب مالك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسائط
بين الله تعالى وبين الناس فهم رسل الله تعالى او كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على
انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال
مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية
المفارقة للابدان وزعم الحكماء انهم جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم
شانهم الاستغراق في معرفة الحق جل جلاله والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال تعالى
يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق
به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية
ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة
الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم
ابليس في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزائر والجبال وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض
خليفة اعمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق. والخليفة من يخلف
غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عليه السلام لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي
استخلفه في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه
بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تعالى ولو
جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء
ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم على رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام في
الميقات ومحمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم
لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذلك
او خليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما
للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغني بذكر ابي القبيلة في قولهم مضر وهاشم او على تاويل من يخلفكم
او خلفا يخلفكم وفائدة قوله تعالى هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شأن المجعول بان بشر عز وجل

بوجوده

بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه
وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك قالوا
اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها
او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والغتها
واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره وليس باعتراض على الله جلت
قدرته ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله او تلق من اللوح او استنباط عما ركز في عقولهم ان
العصمة من خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الاخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب فالسفك
يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن في الصب من فم القربة ونحوها
وكذلك السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك
الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا
الصديق المحتاج والمعنى اتستخلف عصاة ونحن المعصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم
مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول خليفة
ذو ثلاث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى
المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا تقتضي
الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة
تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير
كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الاحاد
كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو
المقصود من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا بقوله قال اني اعلم ما لا تعلمون والتسبيح تبعيد الله تعالى
عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدس
اذا طهر لان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار وبحمدك في موضع الحال اي ملتبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك
ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك
كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير
النفوس عن الآثام وقيل نقدسك واللام مزيدة وعلم آدم الاسماء كلها اما بخلق علم ضروري بها فيه
او القاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل. والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك
يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم
الارض لما روي عنه عليه السلام انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك
اتى بنوه اخيافا او من الادم او الادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب

من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن
من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا مخبرا عنه
او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد
في الاية اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني
والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات
والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات
وكيفية آلاتها ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات
فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا لان العرض
للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء
او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض
مسمياتهن او مسمياتها فقال انبئوني باسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف
والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف
ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما ان كنتم صادقين
في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم
يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بغرض ما
يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاءات قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف
بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل
الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض
العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري
علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله ∴ سبحان من علقمة الفاخر ∴
وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه
السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه السلام سبحانك اني كنت من الظالمين انك انت العليم الذي
لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تاكيد
للكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك
جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان قال يا آدم انبئهم باسمائهم
اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني
اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله تعالى اني اعلم ما لا
تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات
والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى

وهو ان

وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم
انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر ابليس منهم من المعصية
والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية
العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح
اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم
وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك
الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله تعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله تعالى
انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم
وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم لما انبأهم باسمائهم وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا
بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته و
نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق
ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة بالقصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها
عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر ∴ ترى الاكم فيه سجدا للحوافر ∴
وقال   وقلن له اسجد لليلى فاسجدا
يعني البعير اذا طأطأ رأسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به اما المعنى الشرعي فالمسجود
له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة لسجودهم تفخيما لشأنه او سببا لوجوبه وكأنه تعالى لما خلقه
بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني
وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات
امرهم بالسجود تذللا لما رأوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام
فيه كاللام في قول حسان ∴ اليس اول من صلى لقبلتكم   واعرف الناس بالقرآن والسنن ∴
او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود
اخوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في
ان المأمورين بالسجود الملائكة كلهم او طائفة منهم ما سبق فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر امتنع
عما امر به مستكبرا من ان يتخذه وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما
فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار
طلب ذلك بالتشبع وكان من الكافرين اي في علم الله تعالى او صار منهم باستقباحه امر الله تعالى اياه
بالسجود لآدم اعتقادا بانه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر
به قوله انا خير منه جوابا لقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من

العاقل لا يترك الواجب وحده والآية تدل على أن آدم عليه السلام أفضل من الملائكة المأمورين بالسجود له ولو
من وجه وأن ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله أمرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك
قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز أن يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولأن ابن عباس
رضي الله عنهما روى أن من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم أنه لم يكن
من الملائكة أن يقول انه كان جنيا نشأ بين أظهر الملائكة وكان مغمورا بالألوف منهم فغلبوا عليه والجن
أيضا كانوا مأمورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم أن الأكابر مأمورون
بالتذلل لأحد والتوسل به علم أن الأصاغر أيضا مأمورون به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلين كأنه
قال فسجد المأمورون بالسجود الا ابليس وأن من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم
العصمة كما أن من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين
بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس
من هذا الصنف كما قاله ابن عباس فلذلك صح عليه التغير عن حاله والهبوط من محله كما أشار اليه بقوله
تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من
نار لما روت عائشة رضي الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام قال خلقت الملائكة من النور وخلق الجن
من مارج من نار لأنه كالتمثيل لما ذكرنا فان المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك غير أن ضوءها مكدر مغمور
بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض
نور ومتى نكصت عادت الحالة الأولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا
أشبه بالصواب وأوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار
وأنه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار لأمره وترك الخوض في سره وأن الأمر للوجوب وأن
الذي علم الله تعالى من حاله أنه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتم وان كان بحكم الحال
مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت
وزوجك الجنة السكنى من السكون لأنها استقرار ولبث وأنت تأكيد أكد به المستكن ليصح العطف
عليه وانما لم يخاطبهما أولا تنبيها على أنه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لأن
اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم أنها لم تخلق بعد قال انه بستان كان بأرض فلسطين
أو بين فارس وكرمان خلقه الله امتحانا لآدم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى أرض الهند كما في قوله
تعالى اهبطوا مصرا وكلا منها رغدا واسعا رافها صفة مصدر محذوف حيث شئتما أي مكان من
الجنة شئتما وسع الأمر عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين أشجارها
الفائتة للحصر ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي
هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على أن القرب من الشيء
يورث داعية وميلا يأخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي حبك الشيء

يعمي

يعمي ويصم فينبغي أن لا يحوما حول ما حرم عليهما مخافة أن يقعا فيه وجعله سببا لأن يكونا من الظالمين الذين
ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي أو بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية
سواء جعلت للعطف على النهي أو الجواب له والشجرة هي الحنطة أو الكرمة أو التينة أو شجرة من أكل منها أحدث
والأولى أن لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا
بكسر التاء وهذي بالياء فأزلهما الشيطان عنها أصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظير
عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن أمري أو أزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما ويعضده قراءة حمزة فأزالهما
وهما متقاربان في المعنى غير أن أزل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى
وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما
لمن الناصحين واختلف في أنه تمثل لهما فقاولهما بذلك أو ألقاه اليهما على سبيل الوسوسة وأنه كيف توصل الى
ازلالهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة
ولم يمنع أن يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة
فدخل ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل أرسل بعض أتباعه فأزلهما والعلم عند الله
تعالى فأخرجهما مما كانا فيه أي من الكرامة والنعيم وقلنا اهبطوا خطاب لآدم وحواء لقوله تعالى اهبطا
منها جميعا وجمع الضمير لأنهما أصلا الجنس فكأنهما الانس كلهم أو هما وابليس أخرج منها ثانيا بعدما
كان يدخلها للوسوسة أو دخلها مسارقة أو من السماء بعضكم لبعض عدو حال استغنى فيها عن الواو
بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله ولكم في الأرض مستقر موضع استقرار أو استقرار
ومتاع تمتع الى حين يريد به وقت الموت أو القيامة فتلقى آدم من ربه كلمات استقبلها بالأخذ والقبول
والعمل بها حين علمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات على أنها استقبلته وبلغته وهي قوله ربنا ظلمنا أنفسنا
الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي انه
لا يغفر الذنوب الا أنت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يا رب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب ألم تنفخ في
الروح من روحك قال بلى قال يا رب ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان روحك
تبت وأصلحت أراجعي أنت الى الجنة قال نعم وأصل الكلمة الكلم وهو التأثير المدرك باحدى الحاستين السمع
والبصر كالكلام والجراحة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه
معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على أن لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لأن حواء كانت
تبعا له في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في أكثر القرآن والسنن انه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة
أو الذي يكثر اعانتهم على التوبة وأصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا
وصف بها الباري تعالى أريد به الرجوع عن العقوبة الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين
وعد للتائب بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا كرر للتأكيد أو لاختلاف المقصود فان الأول
دل على أن هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني أشعر بأنهم أهبطوا للتكليف فمن اهتدى

الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحزم
ان تعوقه مخافة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كفى
به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى السما الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال
في اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد
كقولك جاوا جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثاني
مع جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت بها ان ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه
معنى الطلب والمعنى ان ياتينكم مني هدى بانزال او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جي بحرف الشك
واتيان الهدى كائن لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم
من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم
فضلا عن ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى
عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على اكد وجه وابلغه وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون عطف على فمن تبع الى آخره قسيم له
كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا باياته او كفروا بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان
متوجهين الى الجار والمجرور والاية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود
الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القران المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين
ايا من اي او من اوى اليه واصلها اية او اوية كتمرة فابدلت عينها على غير قياس او ايية او اوية كرمكة
فاعلت او آئية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد باياتنا الايات المنزلة او ما يعمها والمعقولة وقد تمسكت
الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبيا عليهم السلام من وجوه الاول ان آدم عليه السلام كان نبيا
وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص والثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى
الا لعنة الله على الظالمين والثالث انه تعالى اسند اليه العصيان والغي فقال وعصى آدم ربه فغوى
والرابع انه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة
الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه
لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان
الثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى له واما اسناد
الغي والعصيان اليه فسياتي الجواب عنه في موضعه ان شا الله تعالى وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه
وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه الثالث انه فعله ناسيا
لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط
عن الامة لم يحط عن الانبيا لعظم قدرهم كما قال عليه السلام اشد الناس بلا الانبيا ثم الاوليا ثم
الامثل فالامثل او ادى فعله الى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المواخذة على تناوله كتناول السم على

الجهل

الجهل بشانه لا يقال انه باطل لقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما الآيتان لانه ليس فيهما ما يدل على ان تناوله
حين ما قاله ابليس فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله الى ان نسي ذلك
وزال المانع فحمله الطبع عليه الرابع انه عليه الصلاة والسلام اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطا فيه فانه ظن ان النهي
للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عليه
الصلاة والسلام اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرام على ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تفظيعا
لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع
الهدى مامون العاقبة وان عذاب النار دائم وان الكافر مخلد فيه وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها
خالدون واعلم انه سبحانه وتعالى لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا
لها وتاكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث
ان الاخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز تدل
على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك تدل على انه قادر على
الاعادة كما كان قادرا على الابدا خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا
بعهده في اتباع الحق واقتفا الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه فقال يا بني اسرائيل
اي يا اولاد يعقوب والابن من البنا لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت
فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرال بحذف اليا واسرل
بحذفهما واسرائيل بقلب الهمزة يا اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اي بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة
بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على السخط والكفران
وان نظر الى ما انعم الله عليه حمله حب النعمة على الرضا والشكر وقيل اراد بها ما انعم على ابائهم من الانجا من فرعون
والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد عليه الصلاة والسلام وقرئ اذكروا والاصل اذتكروا
ونعمتي باسكان اليا واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك اليا المكسور ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان
والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل الاول مضاف الى الفاعل
والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب
على حسناتهم وللوفا بهما عرض عريض فاول مراتب الوفا منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن
الدما والمال واخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله الفوز باللقا
الدائم وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما اوفوا بعهدي في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم اوف بعهدكم في رفع
الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة
على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى
اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين في
سورة المائدة قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات وقرئ اوف بالتشديد

للمبالغة وإياي فارهبون فيما تأتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو آكد في إفادة التخصيص من إياك نعبد
لما فيه من التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كأنه قيل إن كنتم راهبين
شيئا فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفا بالعهد
وأن المؤمن ينبغي أن لا يخاف أحدا إلا الله تعالى وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم إفراد للإيمان بالأمر به والحث
عليه لأنه المقصود والعمدة للوفا بالعهود وتقييد المنزل بأنه مصدق لما معهم من الكتب الإلهية من حيث أنه نازل
حسب ما نعت فيها أو مطابق لها في القصص والمواعيد والدعا إلى التوحيد والأمر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي
عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الأحكام بسبب تفاوت الأعصار في المصالح من حيث أن كل واحدة
منها حق بالإضافة إلى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في أيام المتأخر لنزل على وفقه
ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لو كان موسى حيا لما وسعه إلا اتباعي تنبيه على أن اتباعها لا ينافي الإيمان به
بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ولا تكونوا أول كافر به بأن الواجب أن تكونوا أول من آمن به ولأنهم كانوا أهل
النظر في معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه وأول كافر به وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير
أول فريق أو فوج أو بتأويل لا يكن كل واحد منكم أول كافر به كقولك كسانا حلة فإن قيل كيف نهوا عن التقدم في
الكفر وقد سبقهم مشركو العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك أما أنا فلست بجاهل
أو ولا تكونوا أول كافر به من أهل الكتاب أو ممن كفر بما معه فإن من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه أو مثل من
كفر من مشركي مكة وأول أفعل لا فعل له وقيل أصله أوأل من وأل فأبدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي أو أأول من آل
فقلبت همزته وأدغمت ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بالإيمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فإنها
وإن جلت قليلة مسترذلة بالإضافة إلى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الإيمان قيل كان لهم رياسة
في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله فاختاروها عليه وقيل كانوا يأخذون الرشى
فيحرفون الحق ويكتمونه وإياي فاتقون بالإيمان واتباع الحق والإعراض عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة
على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولأن الخطاب بها لما عم العالم والمقلد
أمرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك والخطاب بالثانية لما خص أهل العلم أمرهم بالتقوى الذي هو منتهاه
ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا
الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما أو ولا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل
الذي تكتبونه في خلاله أو تذكرونه في تأويله وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي كأنهم أمروا بالإيمان وترك
الضلال ونهوا عن الإضلال بالتلبيس على من سمع الحق والإخفا على من لم يسمعه أو نصب بإضمار أن على أن
الواو للجمع بمعنى مع أي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده أنه في مصحف ابن مسعود وتكتمون أي وأنتم
تكتمون بمعنى كاتمين وفيه إشعار بأن استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وأنتم تعلمون عالمين بأنكم
لابسون كاتمون فإنه أقبح إذ الجاهل قد يعذر وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة يعني صلوة المسلمين وزكاتهم
فإن غيرهما كلا صلوة ولا زكوة أمرهم بفروع الإسلام بعدما أمرهم بأصوله وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون

بها والزكوة من زكا الزرع إذا نمى فإن إخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم أو من الزكاة
بمعنى الطهارة فإنها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل واركعوا مع الراكعين أي في جماعتهم فإن صلوة الجماعة
تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة
اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الأضبط السعدي

لا تذل الضعيف علك أن تر ... كع يوما والدهر قد رفعه

أتأمرون الناس بالبر تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضا الواسع يتناول كل
خير ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الأقارب وبر في معاملة الأجانب وتنسون أنفسكم
وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في أحبار المدينة كانوا يأمرون سرا من نصحوه
باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وأنتم تتلون الكتاب تبكيت
كقوله وأنتم تعلمون أي تتلون التورية وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل أفلا تعقلون قبح
صنيعكم فيصدكم عنه أو أفلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الأصل الحبس سمي به الإدراك
الإنساني لأنه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التي بها النفس تدرك هذا الإدراك والآية ناعية على من
يعظ غيره ولا يعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وأن فعله فعل الجاهل بالشرع أو الأحمق الخالي عن العقل فإن الجامع
بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والإقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم لا منع الفاسق
عن الوعظ فإن الإخلال بأحد الأمرين المأمور بهما لا يوجب الإخلال بالآخر واستعينوا بالصبر والصلوة متصل
بما قبله كأنهم لما أمروا بما يشق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والإعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى
استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله تعالى أو بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من
كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجا إليها فإنها جامعة لأنواع العبادات النفسانية والبدنية
من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه إلى الكعبة والعكوف على العبادة وإظهار الخشوع بالجوارح
وإخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس
عن الأطيبين حتى تجابوا إلى تحصيل المآرب وجبر المصائب روي أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا حزبه أمر فزع إلى
الصلوة ويجوز أن يراد بها الدعا وإنها أي الاستعانة بهما أو الصلوة وتخصيصها برد الضمير إليها لعظم شأنها
واستجماعها ضروبا من الصبر أو جملة ما أمروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين
ما تدعوهم إليه إلا على الخاشعين أي المخبتين والخشوع الإخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع
اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم
إليه راجعون أي يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده أو يتيقنون أنهم يحشرون إلى الله فيجازيهم ويؤيده أن
في مصحف ابن مسعود يعلمون وكأن الظن لما شابه العلم في الرجحان أطلق عليه لتضمن معنى التوقع قال أوس بن حجر

فأرسلته مستيقن الظن أنه ... مخالط ما بين الشراسيف جائف

وإنما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فإن نفوسهم مرتاضة بأمثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لأجله

مشاقها وتسلى بسببه متاعبها ومن ثمة قال عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عيني في الصلوة يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم كرره للتوكيد وتذكير التفضيل الذي هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا
لمن غفل عنها واخل بحقوقها واني فضلتكم عطف على نعمتي على العالمين اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل آبائهم
الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم الله من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم
انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف واتقوا يوما اي ما فيه من الحساب
والعذاب لا تجزي نفس عن نفس شيئا لا تقضي عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على
المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين
للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العائد
المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله ام مال اصابوا
ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى وكانه اريد بالآية
نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثاني
اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثاني اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او بغيره وهو
ان يعطي عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم
نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها سويت بالمفدى وقرأ ابن
كثير وابو عمرو ولا تقبل بالتاء ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله تعالى والضمير لما دلت عليه النفس
الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد او الاناسي والنصرة
اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لاهل
الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للآيات والاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده ان الخطاب
معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان آباءهم تشفع لهم واذ نجيناكم من آل فرعون تفصيل
لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ
انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء والملوك وفرعون
لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل
اذا عتا وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه الوليد من بقايا عاد وفرعون يوسف عليه
السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم يبغونكم من سامه الخسف اذا اولاه
ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء
مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون
او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم
ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون رأى في المنام او قال له
الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا وفي ذلكم بلاء محنة

ان اشير

ان اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله عباده تارة
بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما من ربكم
بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عليه السلام وتوفيقه لتخليصكم او بهما عظيم صفة بلاء وفي الآية تنبيه
على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون
من خير المختبرين واذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم
فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله ⁂ تدوس بنا الجماجم والتريبا ⁂
وقرئ فرّقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثنى عشر بعدد الاسباط فانجيناكم واغرقنا آل فرعون
اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روي ان الحسن كان يقول
اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه وانتم تنظرون ذلك اي غرقهم واطباق ال
البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم
بعضا روي انه تعالى امر موسى ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على
شاطئ البحر فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها
فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر
ثم لما وصل اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان
هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله تعالى به على بني اسرائيل ومن الآيات الملجئة الى العلم بوجود الصانع
الحكيم وتصديق موسى عليه الصلاة والسلام ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة و
نحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة محمد صلى الله عليه وسلم
مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية مثل القرآن والتحدي به والفضائل المجتمعة فيه الشاهدة على
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم دقيقة يدركها الاذكياء واخباره عليه الصلاة والسلام عنها من جملة معجزاته على
ما مر تقريره واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى ان
يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرأ ابن
كثير ونافع وعاصم وابن عمرو وحمزة والكسائي وعدنا لانه تعالى وعده الوحي ووعده موسى المجيء للميقات
الى الطور ثم اتخذتم العجل الها او معبودا من بعده من بعد موسى اي مضيه وانتم ظالمون باشراككم
ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس من بعد ذلك اي الاتخاذ لعلكم تشكرون
اي لكي تشكروا عفوه واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان يعني التوراة الجامع بين كونه كتابا وحجة تفرق
بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين الحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان
وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد
به يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الآيات واذ قال موسى لقومه يا قوم
انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريئا

من التفاوت وميز بعضكم من بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي
كقولهم برئ المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء كقولهم برأ الله آدم من الطين فتوبوا فاقتلوا
انفسكم اتماما لتوبتكم بالبخع وقطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم
يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روي ان الرجل كان يرى
بعضه وقريبه فلم يقدر على المضي لامر الله تعالى فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا
يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهرون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين
الفا والفاء الاولى للتسبب والثانية للتعقيب ذلكم خير لكم عند بارئكم من حيث انه طهرة عن الشرك ووصلة
الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عليه السلام
لهم تقديره ان فعلتم ما امرتم فقد تاب عليكم او عطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله تعالى لهم
على طريقة الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ والترتيب للامر عليه
اشعارا بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقرة التي هي مثل
في الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وحل التركيب انه
هو التواب الرحيم الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم واذ قلتم
يا موسى لن نؤمن لك اي لاجل قولك او لن نقر لك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي في الاصل مصدر قولك
جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية او الحال من الفاعل
او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع جاهر كالكتبة فتكون حالا والقائلون
هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به ان الله الذي اعطاك
التورية وكلمك او انك نبي فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه
تعالى يشبه الاجسام فطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات والاحياز المقابلة للرائي وهي محال
بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة وللافراد من الانبياء في بعض الاحوال
في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين
يوما وليلة وانتم تنظرون ما اصابكم بنفسه او اثره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة وقيد البعث
لانه قد يكون من اغماء او نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم لعلكم تشكرون نعمة البعث او ما كفرتموه لما
رأيتم بأس الله بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا
في التيه وانزلنا عليكم المن والسلوى اي الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر
الى الطلوع وتبعث الجنوب عليهم السماني وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم
لا تتسخ ولا تبلى كلوا من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول وما ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا
بان كفروا هذه النعمة وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره
واذ قلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم

رغدا

رغدا واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو وادخلوا الباب اي باب القرية او القبة التي كانوا يصلون اليها
فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلام سجدا متطامنين مخبتين او ساجدين لله تعالى شكرا
على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اي مسألتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل
بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه
القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا
اصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت
الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الالفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما
ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب
الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه تعالى يفعل لا محالة فبدل الذين ظلموا
قولا غير الذي قيل لهم بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا فانزلنا
على الذين ظلموا كرره مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه
او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون عذابا
مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه
والمراد به الطاعون روي انه مات في ساعة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا
في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت
تنبع من كل وجه ثلاث اعين تسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر
ميلا او حجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه لموسى مع العصا او الحجر الذي فر بثوبه لما
وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل بحمله او للجنس وهذا
اظهر في الحجة قيل لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها
حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى
عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر
من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة اذرع في طول موسى من آس الجنة وله شعبتان تتقدان
في الظلمة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت او فضرب
فانفجرت كما مر في قوله تعالى فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه قد علم كل
اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا واشربوا على تقدير القول من رزق الله
يريد به ما رزقهم من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل مما ينبت به ولا
تعثوا في الارض مفسدين لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد قد يكون منه
ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه
السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا. ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية

جهلاً بالله تعالى وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر عن
الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله تعالى حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب
ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ يريدون به ما رزقوا في التيه
من المن والسلوى وبوحدته انه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انه لا يتغير الوانه
ولذلك اجمعوا او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا
ما الفوه فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ سله لنا بدعائك اياه يُخْرِجْ لَنَا يظهر ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته
سبب الاجابة مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض مِنْ بَقْلِهَا
وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته
الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ قثائها
بالضم وهي لغة فيه قَالَ اي الله تعالى او موسى أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى اقرب منزلة وادون قدرا واصل
الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد الهمة بعيد المحل وقرئ
ادنأ من الدناءة بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعي
اهْبِطُوا مِصْرًا انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر
البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او على تاويل البلد ويؤيده
انه غير منون في مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرائيم فعرب فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ
وَالْمَسْكَنَةُ احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم
على كفران النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان تضاعف جزيتهم
وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ رجعوا به او صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل
البوء المساواة ذَلِكَ اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام
وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والفرقان واية الرجم والتي فيها نعت
محمد صلى الله عليه وسلم من التورية وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ
لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله
ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ اي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء فيه الى الكفر بالايات وقتل النبيين
فان صغار الذنوب سبب يؤدي الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري كبارها وقيل
كرر الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود
الله وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تاويل ما ذكر او تقدم
للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة يصف بقرة

فيها خطوط من سواد وبلق
كانه في الجلد توليع البهق

والذي

والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بالسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد صلى الله عليه وسلم المخلصين منهم والمنافقين وقيل
المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة وَالَّذِينَ هَادُوا تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود اما
عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهوذا وكانهم سموا باسم اكبر اولاد
يعقوب عليه السلام وَالنَّصَارَى جمع نصران كندامى وندمان والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك
لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها او باسم من اسسها وَالصَّابِئِينَ
قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان
كان عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم
مالوا عن سائر الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا من كان منهم في
دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا
ودخل في الاسلام دخولا صادقا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ الذي وعدهم على ايمانهم وعملهم وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب
ومن مبتدأ خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم لتضمن المسند اليه
معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ
فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ باتباع موسى والعمل بالتورية
وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ حتى اعطيتم الميثاق روي ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتورية فرأوا ما فيها من
التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل فقلع الطور وظلله فوقهم حتى قبلوا خُذُوا على
ارادة القول مَا آتَيْنَاكُمْ من الكتاب بِقُوَّةٍ بجد وعزيمة وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا
فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند
المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى
الله عليه وسلم يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ المغبونين بالانهماك في المعاصي
او بالخبط والضلال في الفترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا
افاد اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف
لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا
مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع
امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك
انهم كانوا يسكنون قرية على ساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر
هناك واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها

يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو
الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل
الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك
كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة فجعلناها اي المسخة والعقوبة نكالا عبرة
تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها اي لما قبلها وما بعدها من الامم
اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصتهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من
القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر عنها
وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة اول
هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلالها بنوع آخر من
مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم
شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤوا يطالبون بدمه فامرهم الله ان
يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا مكان هزؤ او اهله او مهزوءا بنا او الهزء
نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم
بالضم وقلب الهمزة واوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزء في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما
رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي
اي ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا ما امروا
به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول انها
بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها
وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان نصف قال :: نواعم بين ابكار وعون ::
بين ذلك اي بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه
الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب
ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ
قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه
عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم
عن المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى ما تؤمرون به من قوله :: امرتك الخير فافعل ما امرت به ::
او امركم بمعنى مأموركم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها
الفقوع نصوع الصفرة ولذلك يؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى اللون
وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل تأكيد كأنه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة
السواد وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى ::

تلك

تلك خيلي منه وتلك ركابي   هن صفر اولادها كالزبيب

ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة
بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين اي تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه
من السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد وقوله ان البقر تشابه
علينا اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم
لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه وتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها
على التذكير والتأنيث وتشابهت وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه وتشبه بالتذكير و
متشابه ومتشابهة ومتشبه ومتشبهة وانا ان شاء الله لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث
لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى وان الامر قد
ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان
التعليق باعتبار التعلق قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب
الارض وسقي الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتأكيد الاولى والفعلان صفتا
ذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان
اي حيث هو وتسقي من اسقى مسلمة سلمها الله تعالى من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لونها من سلم له
كذا اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا
خلط بلونه لونا آخر قالوا الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ الآن بالمد على
الاستفهام والان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة
المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل
او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني
حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا
وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفي قيل
معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها
لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر
الملجأ الى الفعل واذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم في شأنها اذ
المتخاصمون يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح كل قتلها عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم
فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة واعمل
مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه ببعضها عطف
على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تأويل الشخص او القتيل ببعضها كذلك
يحيي الله الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر حيوة القتيل او نزول الآية

ويريكم آياته دلائله على كمال قدرته لعلكم تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا أن من قدر على إحياء نفس قدر
على إحياء الأنفس كلها، وتعلموا على قضيته، ولعله تعالى إنما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه
من التقرب وأداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الأولاد وأن من حق الطالب أن
يقدم قربة والمتقرب أن يتحرى الأحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي الله عنه أنه ضحى بنجيبة بثلاثمائة دينار
وأن المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى والأسباب أمارات لا أثر لها وأن من أراد أن يعرف أعدى عدوه الساعي
في إماتته الموت الحقيقي فطريقه أن يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره
الصبي ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها
لا شية بها من مقابحها بحيث يصل أثره إلى نفسه فيحيا حياة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع
ما بين العقل والوهم من التدارؤ والتنازع ثم قست قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما
في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك يعني إحياء
القتيل أو جميع ما عدد من الآيات فإنها مما يوجب لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها أو أشد قسوة
منها والمعنى أنها في القسوة مثل الحجارة أو زائدة عليها أو أنها مثلها أو مثل ما هو أشد منها قسوة كالحديد فحذف
المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ويعضده قراءة الحسن بالجر عطفا على الحجارة وإنما لم يقل أقسى لما في
أشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة وأو للتخيير أو للترديد بمعنى
أن من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بما هو أقسى منها وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق
فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى أن الحجارة تتأثر وتنفعل فإن منها
ما يتشقق وينبع منه الماء وينفجر منه الأنهار ومنها ما يتردى من أعلى الجبل انقيادا لما أراد الله تعالى به وقلوب
هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل عن أمره والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ إن على أنها
المخففة من الثقيلة ويلزمها اللام الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون
وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وأبو بكر بالياء ضما إلى ما بعده والباقون بالتاء أفتطمعون
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أن يؤمنوا لكم أن يصدقوكم أو يؤمنوا لأجل
دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة من أسلافهم يسمعون كلام الله يعني التوراة
ثم يحرفونه كنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم أو تأويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء
من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى عليه السلام على الطور ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره
إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا وإن شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه أي فهموه
بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون أنهم مفترون مبطلون ومعنى الآية أن أحبار هؤلاء
ومقلديهم كانوا على هذه الحالة فما طمعكم بسفلتهم وجهالهم وأنهم إن كفروا وحرفوا فلهم سابقة
في ذلك وإذا لقوا الذين آمنوا يعني منافقيهم قالوا آمنا بأنكم على الحق ورسولكم هو المبشر به في
التوراة وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق

أتحدثونهم

أتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم أو الذين نافقوا
لأعقابهم إظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن إبداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين
فالاستفهام على الأول تقريع وعلى الثاني إنكار ونهي ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما أنزل
ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به أنه
في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم أو بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيامة وفيه
نظر إذ الإخفاء لا يدفعه أفلا تعقلون إما من تمام كلام اللائمين وتقديره أفلا تعقلون أنهم يحاجونكم
به فيحجونكم أو خطاب من الله للمؤمنين متصل بقوله أفتطمعون والمعنى أفلا تعقلون حالهم وأن
لا مطمع لكم في إيمانهم أولا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين أو اللائمين أو كليهما أو إياهم والمحرفين
أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها إسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان وإخفاء ما فتح
الله عليهم وإظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب جهلة
لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها والتوراة إلا أماني استثناء منقطع والأماني
جمع أمنية وهي في الأصل ما يقدره الإنسان في نفسه من منى إذا قدر ولذلك تطلق على الكذب وعلى ما
يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون أكاذيب أخذوها تقليدا من المحرفين أو مواعيد فارغة سمعوها
منهم من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودا وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة وقيل إلا ما يقرؤون قراءة عارية
عن معرفة المعنى وتدبره من قوله: تمنى كتاب الله أول ليله ... تمنى داود الزبور على رسل
وهو لا يناسب وصفهم بأنهم أميون وإن هم إلا يظنون ما هم إلا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن
بإزاء العلم على كل رأي واعتقاد من غير قاطع وإن جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة
فويل أي تحسر وهلك ومن قال إنه واد أو جبل في جهنم فمعناه أن فيها موضعا يتبوأ فيه من جعل له
الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو في الأصل مصدر لا فعل له وإنما ساغ الابتداء به نكرة لأنه دعاء للذين
يكتبون الكتاب يعني المحرف ولعله أراد به ما كتبوه من التأويلات الزائغة بأيديهم تأكيد كقولك
كتبته بيميني ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا يحصلوا به عرضا من أعراض الدنيا فإنه
وإن جل قليل بالنسبة إلى ما استوجبوه من العقاب الدائم فويل لهم مما كتبت أيديهم يعني المحرف
وويل لهم مما يكسبون يريد به الرشى وقالوا لن تمسنا النار المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث
تتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال ألمسه فلا أجده إلا أياما معدودة محصورة قليلة
روي أن بعضهم قالوا نعذب بعدد أيام عبادة العجل أربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة
آلاف سنة وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يوما قل أتخذتم عند الله عهدا خبرا أو وعدا بما تزعمون وقرأ
ابن كثير وحفص بإظهار الذال والباقون بإدغامه فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر أي إن
اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على أن الخلف في خبره محال أم تقولون على
الله ما لا تعلمون أم معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى أي الأمرين كائن على سبيل التقرير للعلم

بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل أتقولون على التقرير والتقريع بلى اثبات لما نفوه من مساس النار لهم
زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم وتختص بجواب النفى من كسب
سيئة قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد
بالعرض لانها من الخطأ والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة فبشرهم بعذاب اليم
واحاطت به خطيئته اى استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار كالمحاط به لا يخلو عنها شىء من
جوانبه وهذا انما يصح فى شأن الكافر لان غيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه
فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه
استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى يستولى عليه الذنوب وتأخذ بمجامع
قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصى مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها
مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال الله تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بآيات الله وقرأ
نافع خطياته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما فاولئك اصحاب النار ملازموها
فى الآخرة كما انهم يلازمون اسبابها فى الدنيا هم فيها خالدون دائمون او لابثون لبثا طويلا والآية
كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التى قبلها والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه وتعالى على ان يشفع وعده بوعيده لترجى رحمته
ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل
لا تعبدون الا الله اخبار بمعنى النهى كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح
النهى لما فيه من ايهام ان المنهى سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف
قولوا عليه وعلى ارادة القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله ألا ايهذا الزاجرى احضر الوغا
ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل
عليه المعنى كانه قال وحلفناهم لا تعبدون وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء
حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر تقديره وتحسنون
او احسنوا وذى القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى
وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا اى قولا حسنا وسماه
حسنا للمبالغة وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب حسنا بفتحتين وقرئ حسنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز
وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يريد بهما
ما فرض عليهم فى ملتهم ثم توليتم على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم فى عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب اى اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا
منكم يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم وانتم معرضون قوم
عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض واذ اخذنا

ميثاقكم

ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض
بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا
او لانه يوجب قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم
ويصرفكم عن الحياة الابدية فانه القتل فى الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التى هى داركم فانه الجلاء
الحقيقى ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون توكيد كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه
وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا ثم انتم هؤلاء
استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك
هؤلاء الناقضون كقولك انت ذلك الرجل الذى فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار
ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما يحكى عنهم غيبا وقوله تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم
اما حال والعامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تأكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة
صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون على التكثير تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل تخرجون
او مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ عاصم والكسائى وحمزة بحذف احدى التائين وقرئ باظهارهما
وتظهرون بمعنى تتظهرون وان يأتوكم اسارى تفادوهم روى ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء
الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه فى القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين
جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان يأتوكم اسارى فى ايدى الشياطين تتصدوا لانقاذهم بالارشاد والوعظ
مع تضييعكم انفسكم كقوله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقرأ حمزة اسرى وهو جمع اسير
وكانه شبه بالكسالى وجمع جمعه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم
متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشأن او مبهم يفسره اخراجهم
او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم بدل او بيان افتؤمنون ببعض الكتاب يعنى الفداء
وتكفرون ببعض يعنى حرمة المقاتلة والاجلاء فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا كقتل
قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزى ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل فى كل منهما
ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب لان عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون تأكيد للوعيد
اى ان الله سبحانه وتعالى بالمرصاد لا يغفل عن افعالكم وقرأ عاصم فى رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله
منكم وابن كثير ونافع وعاصم فى رواية ابى بكر وخلف ويعقوب يعملون على ان الضمير لمن اولئك الذين
اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة آثروا الحياة الدنيا على الآخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية
فى الدنيا والتعذيب فى الآخرة ولا هم ينصرون بدفعها عنهم ولقد آتينا موسى الكتاب اى التوراة
وقفينا من بعده بالرسل اى ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا
تبعه وقفاه به اذا اتبعه اياه من القفا نحو ذنبه من الذنب وآتينا عيسى البينات المعجزات الواضحات
كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات والانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو

بالعربية من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة :: قلت لزير لم تصله مريمه ::
ووزنه مفعل إذ لم يثبت فعيل وأيدناه وقرئ آيدناه بروح القدس بالروح المقدسة كقولك
حاتم الجود ورجل صدق أراد به جبريل وقيل روح عيسى عليه السلام ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان
أو لكرامته على الله ولذلك أضافه إلى نفسه أو لأنه لم تضمه الأصلاب ولا أرحام الطوامث أو الإنجيل أو اسم
الله الأعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرأ ابن كثير القدس بالإسكان في جميع القرآن أفكلما جاءكم رسول بما لا
تهوى أنفسكم بما لا تحبه يقال هوي بالكسر هوى إذا أحب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط ووسطت
الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيبا من شأنهم ويحتمل أن يكون استئنافا
والفاء للعطف على مقدر استكبرتم عن الإيمان واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى عليهما
السلام والفاء للسببية وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى عليهما السلام وإنما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال
الماضية استحضارا لها في النفوس فإن الأمر فظيع أو مراعاة للفواصل أو للدلالة على أنكم بعد فيه فإنكم حول
قتل محمد لولا أني أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة بأغطية خلقية
لا يصل إليها ما جئت به ولا نفقهه مستعار من الأغلف الذي لم يختن وقيل أصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى
أنها أوعية للعلم لا تسمع علما إلا وعته ولا تعي ما تقول أو نحن مستغنون بما فيها عن غيره بل لعنهم الله بكفرهم
رد لما قالوه والمعنى أنها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فأبطل استعدادهم
أو أنها لم تأب قبول ما تقوله لخلل فيه بل لأن الله خذلهم بكفرهم كما قال تعالى فأصمهم وأعمى أبصارهم
أو هم كفرة ملعونون فمن أين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون فإيمانا قليلا يؤمنون
وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو إيمانهم ببعض الكتاب وقيل أراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب من عند
الله يعني القرآن مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف وجوابه
لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا أي يستنصرون على المشركين
ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في التوراة أو يفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبيا يبعث
منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والإشعار بأن الفاعل يسأل ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا
من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين أي عليهم وأتى بالمظهر للدلالة على
أنهم لعنوا لكفرهم فتكون اللام للعهد ويجوز أن تكون للجنس ويدخلون فيه دخولا أوليا لأن الكلام فيهم بئسما
اشتروا به أنفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا أو اشتروا بحسب ظنهم
فإنهم ظنوا أنهم خلصوا أنفسهم من العقاب بما فعلوا أن يكفروا بما أنزل الله هو المخصوص بالذم بغيا طلبا لما
ليس لهم وحسدا وهو علة أن يكفروا دون اشتروا للفصل أن ينزل الله لأن ينزل أو حسدوه على أن ينزل الله
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالتخفيف من فضله يعني الوحي على من يشاء من عباده على من اختاره للرسالة
فباءوا بغضب على غضب للكفر والحسد على من هو أفضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد بعد عيسى عليهما الصلاة والسلام
أو بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين يراد به إذلالهم بخلاف عذاب العاصي فإنه طهرة لذنوبه

وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله يعم الكتب المنزلة بأسرها قالوا نؤمن بما أنزل علينا أي بالتوراة ويكفرون
بما وراءه حال من الضمير في قالوا ووراء في الأصل مصدر جعل ظرفا ويضاف إلى الفاعل فيراد به ما يتوارى به
وهو خلفه وإلى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الأضداد وهو الحق الضمير لما وراءه والمراد
به القرآن مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فإنهم لما كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها
قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الأنبياء مع ادعاء الإيمان با
لتوراة والتوراة لا تسوغه وإنما أسنده إليهم لأنه فعل آبائهم وأنهم راضون به عازمون عليه وقرأ نافع
وحده أنبئاء بالهمز في كل القرآن ولقد جاءكم موسى بالبينات يعني الآيات التسع المذكورة في قوله تعالى
ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ثم اتخذتم العجل أي إلها من بعده بعد مجيء موسى أو ذهابه إلى الطور
وأنتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته أو بالإخلال بآيات الله أو اعتراض بمعنى وأنتم قوم
عادتكم الظلم ومساق الآية أيضا لإبطال قولهم نؤمن بما أنزل علينا والتنبيه على أن طريقتهم مع الرسول صلى
الله عليه وسلم طريقة أسلافهم مع موسى عليه السلام لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها وإذ أخذنا ميثاقكم
ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا أي قلنا لهم خذوا ما أمرتم به في التوراة بجد واسمعوا
سماع طاعة قالوا سمعنا قولك وعصينا أمرك وأشربوا في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم
صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب أعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان
الإشراب كقوله تعالى إنما يأكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم وذلك لأنهم كانوا مجسمة
أو حلولية ولم يروا جسما أعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل بئسما يأمركم به إيمانكم
أي بالتوراة والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الأمر أو ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلاث
إلزاما عليهم إن كنتم مؤمنين تقرير للقدح في دعواهم الإيمان بالتوراة وتقديره إن كنتم مؤمنين
بها لم يأمركم بهذه القبائح ولا يرخص لكم فيها إيمانكم بها أو إن كنتم مؤمنين بها فبئس ما أمركم به إيمانكم
بها لأن المؤمن ينبغي أن لا يتعاطى إلا ما يقتضيه إيمانه لكن الإيمان بها لا يأمر به فإذن لستم بمؤمنين
قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا
ونصبها على الحال من الدار من دون الناس سائرهم واللام للجنس أو للمسلمين واللام للعهد فتمنوا الموت
إن كنتم صادقين لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاقها وأحب التخلص إليها من الدار ذات الشوائب
كما قال علي رضي الله عنه لا أبالي سقطت على الموت أو سقط الموت علي وقال عمار رضي الله عنه بصفين
الآن ألاقي الأحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة رضي الله عنه حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا أفلح من
ندم أي على التمني سيما إذا علم أنها سالمة له لا يشاركه فيها غيره ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم
من موجبات النار كالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وتحريف التوراة ولما كانت اليد العاملة مختصة
بالإنسان آلة لقدرته بها عامة صنائعه ومنها أكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة أخرى
وهذه الجملة إخبار بالغيب وكان كما أخبر لأنهم لو تمنوا لنقل واشتهر فإن التمني ليس من عمل القلب

يعمر بل هو ان يقول لشيء لكذا ولو كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي والله عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة من وجد بعقله الجاري مجرى علم ومفعولاه هم واحرص وتنكير حيوة لانه اريد به فرد من افرادها وهي الحيوة المتطاولة وقرئ باللام ومن الذين اشركوا محمول على المعنى فكانه قال احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافردهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدا محذوف صفته يود احدهم على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اي ومنهم ناس يود احدهم وهو على الاول بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف لو يعمر الف سنة حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجرى على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير لاحدهم وان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد والله بصير بما يعملون فيجازيهم قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فراه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر رضي الله عنه مدارس اليهود يوما فسالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا احدهما فهو عدو الله تعالى ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه الصلاة والسلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل ثماني لغات قرئ بهن اربع في المشهور جبرئيل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراءة عاصم برواية ابي بكر وجبريل كقنديل قراءة الباقين واربع في الشواذ جبرائل وجبرائيل وجبرايل وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله فانه نزله البارز الاول لجبريل والثاني للقران واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره على قلبك فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله تعالى كانه قال قل ما تكلمت به باذن الله بامره او بتيسيره حال من فاعل نزل مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته

اياه لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه فالسبب في عداوته انه نزله عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدوه كما قال من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما لشانهم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافرد الملكين بالذكر لفضلهما كانهما من جنس اخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم فكانه عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرا نافع وميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال كميعاد وقرئ ميكئل وميكئيل وميكائل ولقد انزلنا اليك ايات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على عظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من اية فنتبعك ٩٩

اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالايات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا اوكلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا نبذه فريق منهم نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التورية لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالايات وقيل ما مع الرسول هو القران وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه راسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعني ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل بالايتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة امنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله تعالى بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها وفسوقا وهم المعنيون بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلو الشياطين عطف على نبذ اي نبذوا كتب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرؤها وتتبعها الشياطين من الجن والانس او منهما على ملك سليمان اي عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد سليمان حتى قيل ان الجن يعلمون الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم وانه تسخر به الجن والانس والريح له وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه ولكن الشياطين كفروا باستعماله وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين يعلمون الناس السحر اغواء واضلال

والجملة حال عن الضمير والمراد بالسحر ما يستعان به في تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك
لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز
الساحر عن النبي والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية او يريه صاحب
خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه وما انزل على الملكين
عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او المراد به نوع اقوى منه او على ما تتلو وهما ملكان نزلا
لتعليم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روي انهما مثلا بشرين وركب فيهما
الشهوة فتعرضا لامراة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما
فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار
صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة
ببابل ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل والمشهور انه بلد من سواد الكوفة هاروت وماروت
عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن
جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت
وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا
له انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد
جوازه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انما نحن مفتونان فلا تكن مثلنا فيتعلمون منهما الضمير لما دل
عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين
به من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ
بضاري على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون
به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع في الدارين
وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه اي استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب
الله تعالى والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ما له في الآخرة من خلاق نصيب
ولبئس ما شروا به انفسهم يحتمل المعنيين على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه
على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التاكيد القسمي العقل الغريزي او العلم
الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل
بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم آمنوا بالرسول والكتاب واتقوا بترك المعاصي كنبذ كتاب
الله واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا
به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية لتدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل
عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة
كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان

ثو

ثواب الله خير جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا الرعي
حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم راعنا اي راقبنا وتأن بنا فيما
تلقننا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية
التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو
انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اي امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا
على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا
وتسبب للسب واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او اسمعوا سماع قبول لا
كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم
يعني الذين تهاونوا بالرسول صلى الله عليه وسلم وسبوه ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين
نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء
مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب
ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر
الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد
به ما يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شيء وليس لاحد
عليه حق والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان عباده ليس لضيق
فضله بل لمشيئته وما عرف به من حكمته ما ننسخ من آية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا
ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء
واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح
الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها
اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرأ ابن عامر ننسخ من
انسخ اي نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننساها اي نؤخرها من
النسء وقرئ ننسها اي ننس احدا اياها وننسها اي انت وتنسها على البناء للمفعول وننسكها باضمار
المفعولين نات بخير منها او مثلها اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب او مثلها في الثواب وقرأ ابو عمرو بقلب
الهمزة الفا الم تعلم ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير منه
والآية دلت على جواز النسخ وتاخير الانزال اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وذلك
لان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله تعالى ورحمة وذلك
يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره واحتج بها
من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتي به بدلا والسنة
ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم والاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مما اتى

به الله تعالى وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن فان التغير والتفاوت
من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلق بها المعنى القائم بالذات القديم الم تعلم الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدا علمهم ان الله له ملك
السموات والارض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شيء قدير وعلى جواز
النسخ ولذلك ترك العاطف وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير انما هو الذي يملك اموركم و
يجريها على ما يصلحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون
اجنبيا عن المنصور فيكون بينهما عموم من وجه ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل
ام معادلة للهمزة في الم تعلم اي الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يامر وينهى كما اراد ام
تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى عليه السلام او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة
به عليه الصلاة والسلام وترك الاقتراح عليه قيل نزلت في اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل الله عليهم
كتابا من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ومن
يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالآيات البينات وشك فيها واقترح
غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان ومعنى الآية لا تقترحوا فتضلوا وسط
السبيل ويؤدي بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبدل الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل ود
كثير من اهل الكتاب يعني احبارهم لو يردونكم ان يردوكم فان لو تنوب عن ان في المعنى دون
اللفظ من بعد ايمانكم كفارا مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين حسدا علة ود من عند انفسهم
يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت
المذكورة في التورية فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه حتى يأتي
الله بامره الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم وقتل بني قريظة واجلاء بني النضير وعن
ابن عباس انه منسوخ باية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق ان الله على كل شيء قدير فيقدر
على الانتقام منهم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالفة والالتجاء
الى الله تعالى بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة او صدقة وقرئ تقدموا من اقدم
تجدوه عند الله اي ثوابه ان الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا
وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا
او نصارى لف بين قولي الفريقين كما في قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع
وهود جمع هائد كعوذ وعائذ وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم
اشارة الى الاماني المذكورة وهي ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل
الجنة غيرهم او الى ما في الآية على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض
والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان

كنتم

كنتم صادقين في دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة
من اسلم وجهه لله اخلص له نفسه او قصده واصله العضو وهو محسن في عمله فله اجره
الذي وعد له على عمله عند ربه ثابتا عند ربه لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية
وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف
عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
في الآخرة وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء اي امر يصح
ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا
بذلك وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب كذلك
مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال
فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وانما
قصد به كل فريق ابطال دين الآخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول
والعمل به فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما
يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله
عام لكل من خرب مسجدا او سعى في تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس
وخربوه وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية
ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل اولئك اي المانعون
ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا ان
يجترؤا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم
منها او ما كان لهم في علم الله تعالى وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم
وقد انجز وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة فيه فجوزه ابو حنيفة
ومنعه مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي او ذلة بضرب
الجزية ولهم في الآخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتي الارض
اي له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد
جعلت لكم الارض مسجدا فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله
اي جهته التي امر بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اي عالم مطلع بما يفعل
فيه ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم
في الاماكن كلها وعن ابن عمر رضي الله عنهما نزلت في صلوة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت
عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطأهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ
لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله

ولذا نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب بنات الله وعطفه على قالت
اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرأ ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي
التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم
تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا بل له ما في السموات والارض رد لما قالوه
واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما في السموات والارض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح
كل له قانتون منقادون لا يمتنعون عن مشيئته وتكوينه وما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب
لذاته فلا يكون له ولدا لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون
على تغليب اولي العلم تحقيرا لشأنهم وتنوين كل عوض من المضاف اليه اي كل ما فيهما ويجوز ان يراد كل من
جعلوه لله ولدا مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والاية مشعرة على فساد ما قالوه
من ثلاثة اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك
وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات والارض مبدعهما ونظيره السميع في قوله

امن ريحانة الداعي السميع   يؤرقني واصحابي هجوع

او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل با
نفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون
والدا والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة
بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير في له وبديع
منصوبا على المدح واذا قضى امرا اي اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء قولا كقوله تعالى وقضى ربك او فعلا
كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه
فانما يقول له كن فيكون من كان التامة بمعنى احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل
وحصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء
الى حجة خامسة وهي ان اتخاذ الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى مستغن عن ذلك وقرأ ابن عامر فيكون
بنصب النون واعلم ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله
تعالى باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله تعالى هو الرب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم
ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد
وقال الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم
الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله او تأتينا آية حجة على صدقك والاول استكبار والثاني جحود لان ما
اتاهم آيات استهانة به وعنادا كذلك قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا
ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن
قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين قد بينا الآيات لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون

الحقائق

الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات او لطلب مزيد يقين
وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك بالحق ملتبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا وكابروا
ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرأ نافع ويعقوب لا تسأل على انه نهي للرسول
الله صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كأنها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر
عنها او السامع لا يصبر على سماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج من النار ولن ترضى عنك اليهود
ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا عنه حتى
يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله تعالى عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب
ان هدى الله هو الهدى اي هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت
اهواءهم آراءهم الزائغة والملة ما شرعه الله تعالى لعباده على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته
والهوى رأي يتبع الشهوة بعد الذي جاءك من العلم اي الوحي او الدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولي
ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين آتيناهم الكتاب يريد به مؤمني اهل الكتاب يتلونه
حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او
خبر على ان المراد بالموصول مؤمنو اهل الكتاب اولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به
بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي
انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها
شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف
من الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح وايذانا بانه فذلكة القضية والمقصود
من القصة واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء في الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء
لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا
وان تأخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات قد تطلق على المعاني فلذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة
المذكورة في قوله التائبون العابدون وقوله ان المسلمين الى آخر الآيتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك
هم الوارثون كما فسرت بها في قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التي هي من سننه وبمناسك الحج وبالكوكب
والقمرين والختان وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنته الآيات التي
بعدها وقرئ ابراهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى اجعل هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه
وقرأ ابن عامر ابراهام فاتمهن فاداهن كملا وقام بهن حق القيام لقوله تعالى وابراهيم الذي وفى وفي القراءة
الاخيرة الضمير لربه اي اعطاه جميع ما دعاه قال اني جاعلك للناس اماما استئناف ان اضمرت ناصب اذ كأنه
قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فتكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير
البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي
له مفعولان والامام اسم من يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مأمورا

باتباعه قال ومن ذريتي عطف على الكاف اى وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب سأكرمك والذرية نسل الرجل
فعلية او فعولة قلبت راؤها الثانية ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق او فعولة او فعيلة قلبت همزتها
من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة قال لا ينال عهدي الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد
يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة من الله وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء
منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد
اذ كل ما نالك فقد نلته واذ جعلنا البيت اى الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا مثابة للناس مرجعا يثوب
اليه اعيان الزوار او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل واحد وامنا
وموضع امن لا يتعرض لاهله كقوله تعالى حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم او يأمن حاجه من عذاب الاخرة
من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤخذ الجاني الملتجي اليه حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة واتخذوا من مقام
ابرهيم مصلى على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا اليه
واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم وهو امر استحباب ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدمه والموضع
الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي انه عليه الصلاة والسلام
اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت
وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه
ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وللشافعي في وجوبها قولان وقيل مقام ابرهيم الحرم كله وقيل
مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرا نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي
عطفا على جعلنا اى واتخذ الناس من مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل
امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان
والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه للطائفين حوله والعاكفين المقيمين عنده او المعتكفين فيه والركع
السجود اى المصلين جمع راكع وساجد واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا يريد به البلد او المكان
بلدا امنا ذا امن كقوله تعالى عيشة راضية او امنا اهله كقولك ليل نائم وارزق اهله من الثمرات
من امن منهم بالله واليوم الاخر ابدل من امن من اهله بدل البعض للتخصيص قال ومن كفر عطف
على من امن والمعنى وارزق من كفر قاس ابرهيم الرزق على الامامة فنبهه سبحانه وتعالى على ان الرزق
رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدا تضمن معنى الشرط
فامتعه قليلا خبره والكفر وان لم يكن سببا للتمتيع لكنه سبب لتقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ
الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى عذاب النار اى الزه اليه لز
المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر
فيهما على انه من دعاء ابرهيم وفي قال ضميره وقرا ابن عامر فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه قليلا ثم نضطره
واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف

ضم

ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب
واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة
من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها
عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة ما يوضع
فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام
القواعد وتبيينها تفخيم لشأنها واسمعيل كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف
عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال
منهما انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من
اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان او الثبات
عليه وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك
اى واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع
وخصا بعضهم لما علما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال
الكلي على الله فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه
وسلم ويجوز ان تكون من للتبيين كقوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف
والمعطوف كما في قوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وارنا من راى بمعنى ابصر او عرف ولذلك
لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج
لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرا ابن كثير والسوسي عن ابي عمرو ويعقوب ارنا قياسا على فخذ في فخذ
وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرا الدوري عن ابي عمرو بالاختلاس
وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما لانفسهما وارشادا
لذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم
ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما كما قال عليه السلام انا دعوة ابرهيم
وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم اياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد
والنبوة ويعلمهم الكتاب القران والحكمة ما يكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك
والمعاصي انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة
ابرهيم استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اى لا يرغب احد عن ملته
الا من سفه نفسه الا من استمهنها واذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم
لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع
فنصب على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه قال جرير

ونأخذ بعده بذناب عيش — اجب الظهر ليس له سنام

او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي
ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد في الدنيا
مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيمة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل
نفسه بالجهل والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ظرف لاصطفيناه او تعليل
له او منصوب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه
نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلائله المؤدية الى المعرفة الداعية الى
الاسلام روي انها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر
ووصى بها ابرهيم بنيه التوصية هو التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصل يقال وصاه اذا
وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الموصى والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت
على تاويل الكلمة او الجملة وقرا نافع وابن عامر واوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابرهيم اي ووصى هو ايضا بنيه
وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابرهيم يا بني على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع من القول
ونظيره   رجلان من ضبة اخبرانا   انا رأينا رجلا عريانا
بالكسر وبنو ابرهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنى
عشر روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا ويشسوخور وزبولون وتفتوف ودوف وكوذا واوشر وبنيامين
ويوسف ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله تعالى فلا تموتن الا وانتم
مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان يكونوا على خلاف تلك الحال اذا ماتوا
والامر بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام
موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد روي ان اليهود قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء
اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت
وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شاهدين وقيل
الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه بدل
من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم
على الثبات عليهما وما يسئل به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه
وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق
المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من ابائه تغليب للاب والجد ولانه كالاب لقوله
عليه الصلاة والسلام عم الرجل صنو ابيه كما قال في العباس رضي الله عنه هذا بقية ابائي وقرئ اله ابيك على
انه جمع بالواو والنون كما قال   ولما تبين اصواتنا   بكين وفديننا بالابينا
او مفرد وابرهيم وحده عطف بيان الها واحدا بدل من اله ابائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة خاطئة

التصريح

التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتاكيد او نصب على الاختصاص
ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا تلك امة قد خلت
يعني ابرهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود وسمي بها الجماعة لان الفرق تؤمها لها ما كسبت ولكم ما
كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم
كما قال عليه السلام لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم ولا تسئلون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون
بسياتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى الضمير الغائب لاهل الكتاب واو للتنويع
والمعنى مقالتهم احدى هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر
قل بل ملة ابرهيم اي بل نكون ملة ابرهيم اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابرهيم وقرئت بالرفع اي ملته ملتنا
او عكسه او نحن ملته بمعنى اهل ملته حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه كقوله تعالى
ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه
وهم مشركون قولوا امنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله فان امنوا بمثل ما امنتم به وما انزل الينا القرآن قدم
ذكره لانه اول بالاضافة الينا او سبب للايمان بغيره وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
الصحف وهي وان نزلت الى ابرهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم
كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب او ابناءه وذراريهم فانهم
حفدة ابرهيم واسحق وما اوتي موسى وعيسى التورية والانجيل وما اوتي النبيون جملة المذكورين منهم
وغير المذكورين من ربهم منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض
واحد لوقوعه في سياق النفي العام فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له اي لله مسلمون مذعنون مخلصون
فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت كقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله اذ لا
مثل لما امن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء للالة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق
يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تابى تعدد الطرق او مزيدة للتاكيد كقوله تعالى جزاء سيئة
بمثلها والمعنى فان امنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على
مثله اي عليه ويشهد له قراءة من قرا بما امنتم به او بالذي امنتم به وان تولوا فانما هم في شقاق اي
ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون فما هم الا في شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين
في شق غير شق الاخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من ناواهم
وهو السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة
او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة الله اي صبغنا
الله صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا
هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ
على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم

في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله آمنا
وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابرهيم ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن
له عابدون تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله في
مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة ابرهيم وقولوا آمنا
بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل اتحاجوننا اتجادلوننا في الله في شانه واصطفائه
نبيا من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم
لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا
باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله تعالى على من يشاء
فالكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا
ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم
ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة
للانكار وعلى قراءة حمزة وابن عامر والكسائي وحفص بالتاء يحتمل ان تكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي
الامرين تاتون المحاجة او ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء قل ءانتم اعلم ام الله وقد نفى الامرين عن ابرهيم
بقوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء
المعطوفون عليه اتباعه في الدين وفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة الله لابرهيم
بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة
اومنا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء
كما في قوله تعالى براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون تذييل للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع
من الافتخار بالاباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي الاية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل
المراد بالامة في الاول الانبياء وفي الثاني اسلاف اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس الذين
خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد المنكرين لتغير القبلة من المنافقين واليهود
والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب واظهار المعجزة ما ولاهم ما صرفهم عن
قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة في الاصل الحالة التي عليها الانسان من الاستقبال
فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلوة قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان بخاصية ذاتية
تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
وهو ما تقتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى وكذلك اشارة
الى مفهوم الاية المتقدمة اي كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم
امة وسطا اي خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم للمكان الذي تستوي اليه المساحة من
الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة

بين التهور

بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء
التي يوصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل اي لتعلموا بالتامل فيما نصب
لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل
فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات فتشهدون
بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء
فيطالبهم الله تعالى ببينة التبليغ وهو اعلم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم
فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه
الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسال عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت
لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على امته عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم
يكون الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة
فانه عليه الصلاة والسلام كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تالفا لليهود او الصخرة
لقول ابن عباس رضي الله عنهما كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على
الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت
المقدس الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة
اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة ابائه او لنعلم الان من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض
يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك الى التي كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على
عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه
باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه
اسند الى نفسه لانهم خواصه او لنميز الثابت من المتزلزل كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم
موضع التمييز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من
من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب وان كانت
لكبيرة ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون هي النافية واللام بمعنى الا والضمير
لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او الردة او التحويلة او التولية او القبلة
وقرئ لكبيرة بالرفع فتكون كان زائدة الا على الذين هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان
والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة وصلاتكم
اليها لما روي انه عليه السلام لما وجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت
ان الله بالناس لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ محافظة
على الفواصل وقرا الحرميان وابن عامر وحفص لرؤف بالمد والباقون بالقصر قد نرى ربما نرى تقلب

وجهك في السماء تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع في روعه
ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود
وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته
كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها ترضاها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئة
الله وحكمته فول وجهك اصرف وجهك شطر المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر في الاصل لما انفصل
عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور اي منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر
والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عليه الصلاة
والسلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال
بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل
الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول
بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة
وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادة الله تعالى تخصيص كل شريعة
بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه صلى الله عليه وسلم يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه وما الله بغافل
عما يعملون وعد ووعيد للفريقين وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالياء ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية
برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك جواب للقسم المضمر ساد مسد جواب
الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بالحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وما انت بتابع قبلتهم
قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له وطمعا في رجوعه
وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل
الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت
اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك
الحق وجاءك فيه الوحي انك اذا لمن الظالمين واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه الاتيان باللام
الموطئة للقسم ٢ القسم المضمر ٣ حرف التحقيق وهي ان ٤ تركيبه من جملة فعلية وجملة اسمية ٥ الاتيان
باللام في الخبر ٦ جعله من الظالمين ولم يقل انك ظالم لان في الاندراج معهم ايهاما بحصول انواع الظلم ٧
التقييد بمجيء العلم تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور
الذنب عن الانبياء الذين اتيناهم الكتاب يعني علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القران او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول
اي يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر رضي الله عنه انه سأل عبد الله
بن سلام رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني
لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون

تخصيص

تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن الحق من ربك كلام مستأنف والحق اما مبتدأ خبره من ربك واللام للعهد
والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله تعالى كالذي
انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر
وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم
الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق
الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة
ولكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة هو موليها احد المفعولين
محذوف اي هو موليها وجهه او الله تعالى موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة
الله موليها اهلها واللام مزيدة للتأكيد وجبر لضعف العامل وقرأ ابن عامر مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها
فاستبقوا الخيرات من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة
اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا في اي موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومفترقها يحشركم الله الى
المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلال الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يأت
بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن
حيث خرجت ومن اي مكان خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه للحق
من ربك وما الله بغافل عما تعملون وقرأ ابو عمرو بالياء والباقون بالتاء ومن حيث خرجت فول وجهك
شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلاث
علل تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته وجري العادة الالهية على ان يولي كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها
ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا
وتقريرا مع ان القبلة لها شأن والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة
بعد اخرى لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج
اليهود بان المنعوت في التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين بانه يدعي
ملة ابرهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا
المعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة ابائه
ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله تعالى حجتهم داحضة لانهم يسوقونها مساقها وقيل الحجة
بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا كقوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم   بهن فلول من قراع الكتائب

للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا على انه استئناف بحرف التنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوهم
فان مطاعنهم لا تضركم واخشوني فلا تخالفوا ما امرتكم به ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة
محذوف اي وامرتكم لاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم او عطف على علة مثلها واخشوني احفظكم

عنهم ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون وفى الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن على رضى الله عنه تمام النعمة الموت
على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله اى ولاتم نعمتى عليكم فى امر القبلة او فى الاخرة كما اتممتها
بارسال رسول منكم او بما بعده اى كما ذكرتكم بالارسال فاذكرونى يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم يحملكم على ما
تصيرون به ازكيا قدمه باعتبار القصد واخره فى دعوة ابرهيم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم
ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحى وكرر الفعل ليدل على انه جنس
اخر فاذكرونى بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لى ما انعمت به عليكم ولا تكفرون بجحد النعم
وعصيان الامر يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر عن المعاصى وحظوظ النفس والصلوة
التى هى ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين ان الله مع الصابرين بالنصر واجابة الدعوة
ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات اى هم اموات بل احياء اى بل هم احياء ولكن لا تشعرون ما
حالهم وهو تنبيه على ان حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هى امر لا يدرك
بالعقل بل بالوحى وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح
والفرح كما تعرض النار على ارواح ال فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع والاية نزلت فى شهداء
بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى
بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الايات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم
بالقرب من الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبر هو لكم هل تصبرون
على البلاء وتستسلمون للقضاء بشىء من الخوف والجوع اى بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم
عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم فى الاخرة وانما اخبرهم
به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شىء او الخوف
وعن الشافعى رضى الله عنه الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات
ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال
الله للملائكة اقبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله
ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد
وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول او لمن
يتاتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه الصلاة والسلام كل شىء يؤذى
المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل وبالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه
راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ان ما بقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم
له والمبشر به محذوف دل عليه اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة فى الاصل الدعاء ومن الله التزكية
والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبى صلى الله عليه وسلم
من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك هم المهتدون

للحق

للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله تعالى ان الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة
من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهى العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار
الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين فلا جناح عليه ان يطوف بهما
كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسر
الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع فى الحج والعمرة وانما
الخلاف فى وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس رضى الله عنهم لقوله فلا جناح فانه يفهم منه
التخيير وهو ضعيف لان نفى الجناح يدل على الجواز الداخل فى معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابى حنيفة انه
واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعى انه ركن لقوله عليه الصلاة والسلام اسعوا فان الله كتب عليكم
السعى ومن تطوع خيرا اى فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف
او تطوع بالسعى ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل
اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب يطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف
فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة لا تخفى عليه ان الذين يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات
كالايات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى وما يهدى الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد
ما بيناه للناس لخصناه فى الكتاب فى التورية اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اى الذين يتاتى منهم
اللعن عليهم من الملائكة والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب عنه واصلحوا ما
افسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه الله فى كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر
عن انفسهم ويقتدى بهم اضرابهم فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم المبالغ
فى قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اى ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات
اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنه من خلقه
وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه
فاعل فى المعنى كقولك اعجبنى ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو ويلعنهم الملائكة خالدين فيها
اى فى اللعنة او النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها
لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة
والهكم اله واحد خطاب عام اى المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى الها
لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان فى الوجود الها لكن لا يستحق منهم العبادة
الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او
منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران اخران لقوله الهكم او لمبتدأ محذوف قيل لما
سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت ان فى خلق
السموات والارض انما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاضلة بالذات مختلفة

بالحقيقة واختلاف الليل والنهار تعاقبهما كقوله تعالى جعل الليل والنهار خلفة والفلك التي تجري
في البحر بما ينفع الناس اى بنفعهم او بالذى ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص
الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما
البحر في غالب الامر وتانيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة
الواحد عند المحققين وما انزل الله من السماء من ماء من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك
والسحاب وجهة العلو فاحيا به الارض بعد موتها بالنبات وبث فيها من كل دابة عطف على انزل كانه استدل
بنزول المطر وتكوين النبات به وبث الحيوانات في الارض او على احيا فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون
بالحيا والبث النشر والتفريق وتصريف الرياح في مهابها واحوالها وقرأ حمزة والكسائي على الافراد والسحاب
المسخر بين السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى ياتي امر الله وقيل مسخر الرياح
تقلبه في الجو بمشية الله تعالى واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا لايات لقوم يعقلون يتفكرون
فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الاية فمج بها اى لم يتفكر فيها
واعلم ان دلالة هذه الايات على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل
انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا تتحرك
السموات او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون
لها اوج وحضيض اصلا او على هذا الوجه لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها
على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه
فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع المؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل
بلا مرجح وعجز الاخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله تعالى لو كان فيهما
آلهة الا الله لفسدتا وفي الاية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث والنظر فيه ومن الناس من
يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله تعالى اذ تبرأ الذين
اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم
كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته اى يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب
استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله ارادة طاعته والاعتناء
بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين امنوا اشد
حبا لله لانه لا تنقطع محبتهم الى الله بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى
سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره
ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذ عاينوه يوم القيامة
واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا ساد مسد
مفعولي يرى وجواب لو محذوف اى لو يعلمون ان القوة لله جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا اشد الندم

وقيل

وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان
القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب للنبي اى ولو
ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا وان الله شديد
العذاب على الاستئناف او اضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اى اذ تبرأ
المتبوعون من الاتباع وقرئ بالعكس اى تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب اى رائين له والواو للحال وقد
مضمرة وقيل عطف على تبرأ وتقطعت بهم الاسباب يحتمل العطف على تبرأ او رأوا والواو للحال والاول اظهر
والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل
السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ وتقطعت على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة
فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء اى ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك
الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية
القلب والا فحال وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة
في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم
حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في
الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما في الارض طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل
على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ
نافع وابو عمرو وحمزة والبزي وابو بكر حيث وقع بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي
الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو
انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه
وليا في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت انما يامركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز
عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء
والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به
وفحشاء لاستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما يتجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول
ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات
وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن راسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى
مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله
الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم للنداء على ضلالهم كانه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء
الحمقى ماذا يجيبون قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين امروا
باتباع القرآن وسائر ما انزل الله من الحجج والايات فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا

فيعم ما انزل الله التورية لانها ايضا تدعو الى الاسلام اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون
الواو للحال او العطف والهمزة للرد والتعجيب وجواب لو محذوف اي لو كان اباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر
الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما اتباع الغير
في الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل
الله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء على حذف مضاف تقديره ومثل داعي
الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا كمثل بهائم الذي ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد
لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتأملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها
فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع ابائهم على ظاهر
حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم في دعائهم الاصنام
بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني عن الاضمار ولكن لا يساعد عليه قوله الا دعاء ونداء لان
الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب صم بكم عمي رفع على الذم فهم لا يعقلون اي بالفعل
للاخلال بالنظر يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما في
الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا لله
على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم فان
عبادته لا تتم الا بالشكر فالمعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه وهو عدم عند عدمه وعن النبي صلى الله
عليه وسلم يقول الله تعالى اني والانس والجن في نبا عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم
عليكم الميتة اكلها او الانتفاع بها وهي التي ماتت من غير ذكاة والحديث الحق بها ما ابين من حي والسمك
والجراد اخرجهما العرف عنها او استثناء الشرع والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها
مطلقا الا ما خصه الدليل كالتصرف في المدبوغ والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل
من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله
رؤية الهلال يقال اهل الهلال واهللته لكن لما جرت العادة بان يرفع الصوت بالتكبير اذا رئي سمي ذلك اهلالا
ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر آخر وقرأ عاصم وابو عمرو وحمزة
بكسر النون ولا عاد سد الرمق او الجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح
للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول احمد فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم
بالرخصة فيه فان قيل انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر
مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا
اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك ما يأكلون
في بطونهم الا النار اما في الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار كقوله ::

اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر ::

يعني



يعني الدية او في المآل اي لا يأكلون يوم القيامة الا النار ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل في بطنه واكل
في بعض بطنه كقوله :: كلوا في بعض بطنكم تعفوا ::
ولا يكلمهم الله يوم القيامة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى
ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم مؤلم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الاخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار
تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص
قولهم :: شر اهر ذا ناب :: او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف
ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه
بالتكذيب والكتمان وان الذين اختلفوا في الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض
كتب الله وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما الى التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم
في تأويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه اي حرفوا ما فيها واما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول
وكلام علمه بشر واساطير الاولين لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم
قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت
وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن
البر ما بيناه واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اي ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر العظيم
الذي يحسن ان تذهلوا بشانه عن غيره امرها وقرأ حمزة وحفص البر بالنصب ولكن البر من امن بالله واليوم
الاخر والملائكة والكتاب والنبيين اي ولكن البر الذي ينبغي ان يهتم به بر من امن او ولكن ذا البر من امن
ويؤيده قراءة من قرأ ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القرآن وقرأ نافع وابن عامر
ولكن بالتخفيف ورفع البر واتى المال على حبه اي على حب المال كما قال عليه الصلاة والسلام لما سئل اي الصدقة
افضل قال ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر والجار و
المجرور في موضع الحال ذوي القربى واليتامى يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوي القربى
لان ايتاءهم افضل كما قال عليه الصلاة والسلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان صدقة
وصلة والمساكين جمع المسكين وهو الذي اسكنته الخلة واصله الدائم السكون كالمسكير للدائم السكر
وابن السبيل المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به
والسائلين الذين الجاهم الحاجة الى السؤال وقال عليه الصلاة والسلام للسائل حق وان جاء على فرسه
وفي الرقاب وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها واقام الصلوة
المفروضة واتى الزكوة يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله واتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض
من الاول بيان مصارفها ومن الثاني اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا
كانت في المال سوى الزكوة وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من

امن والصابرين في البأساء والضراء نصب على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهري البأساء في
الاموال كالفقر والضراء في الانفس كالمرض وحين البأس وقت مجاهدة العدو اولئك الذين صدقوا في الدين واتباع
الحق وطلب البر واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل والاية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها
دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلاثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس
وقد اشير الى الاول بقوله من امن الى والنبيين والى الثاني بقوله واتى المال الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله واقام
الصلوة الى اخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق
ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عليه الصلاة والسلام من عمل بهذه الاية فقد استكمل الايمان يا ايها
الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان في الجاهلية بين حيين من
احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الاخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام
تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فامرهم ان يتباوؤا ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى
كما لا تدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع
مالك والشافعي رضي الله عنهما قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما روي عن علي رضي الله عنه ان رجلا قتل
عبده فجلده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ولم يقده به وروي عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم
بذي عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس
على الاطراف ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله تعالى النفس بالنفس لانه حكاية ما في التورية فلا ينسخ
ما في القران واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق عليه
انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نفيا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص
بالنصب وكذلك كل فعل جاء في القران فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار
بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت
عفا الشيء بمعنى تركه بل اعفاه وعفا يعدى بعن الى الجاني والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله
عما سلف فاذا عدي به الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه ما في الاية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من
جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه فاتباع
بالمعروف واداء اليه باحسان اي فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية العافي بان يطالب الدية بالمعروف
فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها باحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد
والا لما رتب الامر باداءها على مطلق العفو وللشافعي في المسألة قولان ذلك اي الحكم المذكور في العفو والدية
تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا
وخيرت هذه الامة بينهما وبين الدية فله عذاب اليم في الاخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عليه الصلاة والسلام
لا اعافي احدا قتل بعد اخذ الدية ولكم في القصاص حيوة كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء
محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به

يردع

يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة
بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سببا لحياتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني
تخصيص وقيل المراد بالحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الاخرة ولكم في القصاص
يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احدهما خبرا والاخر صلة له او حالا عن الضمير المستكن فيه وقرئ في القصص
اي فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او في القران حيوة للقلوب يا اولي الالباب ذوي العقول الكاملة ناداهم
للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون في المحافظة على القصاص والحكم
به والاذعان له او عن القصاص فتكفوا عن القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهر
اماراته ان ترك خيرا مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعماية
درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد ان
يوصي فسألته كم مالك فقال ثلاثة الاف فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان
هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تأويل ان
يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها
وقيل مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان

ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ باية المواريث وبقوله عليه السلام
ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه نظر لان اية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث
انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقي الامة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز
عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث حقا
على المتقين مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله غيره من الاوصياء والشهود بعدما سمعه وصل اليه وتحقق
عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير والتبديل الا على مبدليه لانهم الذين خانوا وخالفوا
الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل بغير حق فمن خاف من موص اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل
السماء وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر موص جنفا ميلا بالخطأ في الوصية او اثما تعمدا للحيف فاصلح بينهم
بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع فلا اثم عليه في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ان الله
غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين
امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعني الانبياء والامم من لدن ادم وفيه توكيد
للحكم وترغيب في الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع
الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس لعلكم تتقون المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة
التي هي مبدؤها كما قال عليه الصلاة والسلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او الاخلال باداية لاصالته
وقدمه اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا

نصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه
قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء او ثلاثة ايام من كل شهر او بكما كتب على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب عليكم
على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام لما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد او حر شديد
فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا مرضا يضره
الصوم او يعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر في اثناء اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر
فعليه صوم عدد ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب
اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة وعلى الذين يطيقونه
وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند
فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن
عامر برواية ابن ذكوان باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرأ ابن عامر برواية هشام مساكين بغير
اضافة الفدية الى الطعام والباقون بغير اضافة وتوحيد المسكين وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه من الطوق
بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويطيقونه على ان
اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يطوقونه ويتطوقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا
وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول به القراءة
المشهورة اي يصومونه جهدهم وطاقتهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو فالتطوع او الخير خير له وان تصوموا
ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر خير لكم من
الفدية او تطوع الخير او منهما ومن التاخير للقضاء ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه
محذوف دل عليه ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير لكم من ذلك
شهر رمضان مبتدأ خبره ما بعده او خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف
المضاف اي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا وفيه
ضعف او بدل من اياما معدودات والشهر من الشهرة ورمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر
وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية في ابن داية علما للغراب للعلمية والتانيث وقوله عليه
الصلاة والسلام من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من
حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حينما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة
الذي انزل فيه القرآن اي ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى السماء الدنيا ثم نزل منجما
الى الارض او انزل في شانه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول
ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين والموصول بصلته
خبر المبتدأ او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه
سبب اختصاصه بوجوب الصوم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن اي انزل وهو

هداية

هداية للناس باعجازه وآيات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام
فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن
وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب المضمر الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد منكم
هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلاتها فيكون ومن كان مريضا او على سفر فعدة
من ايام اخر مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك اباح الفطر بالسفر والمرض ولتكملوا العدة
ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد
بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى آخرها على سبيل اللف فان قوله
ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير
او لافعال كل لفعله او معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا ويجوز ان يعطف
على اليسر اي ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا نور الله والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه
ولذلك عدي بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر والخبر اي الذي هداكم
اليه وعن عاصم برواية ابي بكر ولتكملوا بالتشديد واذا سألك عبادي عني فاني قريب اي فقل لهم اني
قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي ان
اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة
الداع اذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعي بالاجابة فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما
اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد
وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم
على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الاية الدالة على انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم
مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم
روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء الاخرة او يرقدوا وان
عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا
بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث
وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره هنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك
سماه خيانة وقرئ الرفوث هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة
اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس
قال الجعدي
اذا ما الضجيع ثنى عطفها :: تثنت فكانت عليه لباسا
او لان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بتعريضها
للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم

لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم ومحا عنكم اثره فالان باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على
جواز نسخ السنة بالقران والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كني به عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما
قدره لكم واثبته في اللوح من الولد والمعنى ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع
النكاح لا قضاء الوطر وقيل هو نهي عن العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم وكلوا واشربوا
حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد
معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود
لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما
روي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود ولا يزالون ياكلون ويشربون حتى يتبينا
لهم فنزلت اذ صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز واكتفى اولا باشتهارهما
في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح دلالة على جواز تاخير الغسل اليه
وصحة صوم المصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان لاخر وقته واخراج الليل عنه فينفي صوم الوصال
ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة
والمراد بالمباشرة الوطء وعن قتادة رضي الله عنه كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا
عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطء يحرم فيه
ويفسده لان النهي في العبادة يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهى ان
يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا ان يتخطى كما قال عليه الصلاة والسلام ان لكل ملك
حمى وان حمى الله محارمه ومناهيه كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر
والنواهي ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي ولا ياكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى وبين
نصب على الظرف والحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام مجزوم عطفا على النهي او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء
ولا تلقوا امرها والحكومة فيها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة
الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها
اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرا عليه صلى الله عليه وسلم ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم
ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وفيه دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده
قوله عليه الصلاة والسلام انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي
له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من نار يسالونك عن الاهلة
ساله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم رضي الله عنهما فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي
ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج فانهم سالوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر
وتبدل امره فامره الله ان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان يكون معالم للناس يوقتون بها امورهم

ومعالم

ومعالم للعبادات الموقتة يعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات
من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان المفروض لامر وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها قرا ابو عمرو
وورش وحفص بضم الباء والباقون بالكسر ولكن البر من اتقى قرا نافع وابن عامر بتخفيف لكن ورفع البر كانت
الانصار اذا احرم لم يدخل دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخل ويخرج من نقب او فرجة وراءه ويعدون
ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر وانما البر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سالوا عن
الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد او انهم لما سالوا عما لا يعنيهم
ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سالوه تنبيها على
تعكيسهم في السؤال وتمثيلهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البر بان تعكسوا في مسائلكم
ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله واتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول بر او باشروا الامور من
وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه والاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر ١٨٦
وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال
المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم
من المشايخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول ما روي
ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلو له مكة ثلاثة
ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت
ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد والمفاجاة به من غير دعوة او المثلة وقتل من نهيتم عن قتله
ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل وحرم والثقف
الحذق في ادراك الشيء علما او عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال

فاما تثقفوني فاقتلوني ... فمن اثقف فليس الى خلود

واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل
اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتالم النفس بها وقيل معناه
شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه
لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثم فانهم الذين هتكوا
حرمته وقرا حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو
اسد كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك الجزاء جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال والكفر
فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون الدين لله
خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا تعتدوا
على المنتهين لانه لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله
تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفا

الاولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة واتفق
خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به
والحرمات قصاص احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليه يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم
بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير واتقوا الله في الانتصار ولا تعتدوا الى ما لم يرخص
لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شانهم وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فانه يقوي
العدو ويسلطهم على اهلاككم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله
رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد
ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وعدي بالى لتضمنه معنى
الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة والتسرة
اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم ولا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف
المفعول واحسنوا اعمالكم واخلاقكم وتفضلوا على المحاويج ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله
ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرا واقيموا
الحج والعمرة وما روى جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك معارض
بما روي ان رجلا قال لعمر رضي الله عنه اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت
لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدتهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله
بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان
تحرم بهما من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي او ان
تكون النفقة حلالا فان احصرتم منعتم يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضي مثل صده
واصده والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي لقوله فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس رضي الله عنهما
لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة لما روي عنه عليه الصلاة والسلام
من كسر او عرج فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مؤول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه الصلاة والسلام لضباعة
بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر او فالواجب
ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة
او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عليه الصلاة والسلام ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي
حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله تعالى ولا تحلقوا رؤسكم
حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر
فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصاره على الهدي دليل

عدم

عدم القضاء وقال ابو حنيفة يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية
وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي ومطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه
كجراحة وقمل ففدية فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد
روي انه عليه الصلاة والسلام قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم
ثلاثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلاثة اصوع فاذا امنتم الاحصار او كنتم
في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه
بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر
من الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه وقال ابو حنيفة
انه دم نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلاثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام
وقبل التحلل وقال ابو حنيفة في اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا
يجوز صوم يوم النحر وايام التشريق عند الاكثر وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي رضي
الله عنه او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة رضي الله عنه وقرئ سبعة بالنصب
عطفا على محل ثلاثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس
الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة
هو العدد دون الكثرة فانه يطلق لها كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة كمال
العشرة فانه اول عدد كامل اذ به ينتهي الاحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي ذلك اشارة
الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة اذ لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك
منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر
عندنا فان من كان على اقل فهو مقيم الحرم او في حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس
وغير المكي عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا ان الله شديد
العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر اي وقته كقولك البرد شهران
معلومات معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة رضي
الله عنه وذو الحجة كله عند مالك رضي الله عنه وبناء الخلاف على ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله
ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح
الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهران وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل
او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا او بالتلبية
او سوق الهدي عند ابي حنيفة وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي رضي الله عنه وان من احرم بالحج لزمه
الاتمام فلا رفث فلا جماع او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حد الشرع بالسيئات
وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج في ايامه نفي الثلاثة على قصد النهي

للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت منها مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلاة
والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع
على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف
سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا ان يقفوا ايضا بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله
حث على الخير عقب به النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم
التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون
كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان
قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرأ عن كل شيء
سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم جناح ان
تبتغوا اي في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ
ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه
فنزلت فاذا افضتم من عرفات دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف
المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتانيث لان
تنوين الجمع تنوين مقابلة لا تنوين تمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض
لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التانيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء تانيث وانما هي مع
الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها
كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه
او لان جبريل كان يدور به في المشاعر فلما اراه اياه قال قد عرفت او لان آدم وحواء التقيا فيه فتعارفا او لان الناس
يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل على وجوب الوقوف
بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مامور بها بقوله تعالى ثم افيضوا او مقدمة للذكر المامور به وفيه نظر اذ
الذكر غير واجب بل مستحب وعلى تقدير انه واجب فهو واجب مقيد لا واجب مطلق حتى تجب مقدمته والامر به
غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلاة العشائين عند المشعر الحرام جبل يقف عليه
الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مازمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عليه الصلاة والسلام
لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما
سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل
والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هداكم كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية
حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله اي الهدى لمن الضالين الجاهلين بالايمان
والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله تعالى وان نظنك لمن الكاذبين
ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر

الناس

الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا ان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن
الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من المزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس
بالكسر اي الناسي يريد آدم من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا
الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا
قضيتم مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم اباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه
كما تفعلون بذكر اباءكم في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر
اباءهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا
الله ذكرا كذكركم اباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا
واما منصوب بالعطف على اباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من اباءكم او بمضمر دل عليه
المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لاباءكم فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر
الله تعالى الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد الحث على الاكثار والارشاد اليه ربنا آتنا في الدنيا اجعل
ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق اي نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق
ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير وفي الآخرة حسنة يعني الثواب
والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء
وعذاب النار امرأة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه
احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار امثلة للمراد بها اولئك اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم
نصيب مما كسبوا اي من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم
منه ما قدرناه فسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة
اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات
واذكروا الله في ايام معدودات كبروه في ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق
فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم القر والذي بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار
عندنا وقبل طلوع الفجر عنده فلا اثم عليه باستعجاله ومن تاخر فلا اثم عليه ومن تاخر في النفر حتى رمى في
اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة رضي الله عنه يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجيل
والتاخر التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتاخر لمن اتقى اي الذي
ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه
منهما واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم
المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله
بسبب المتعجب منه في الحياة الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى
الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة

ولا يعجبك في الآخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة أو لأنه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه يحلف
ويستشهد الله على أن ما في قلبه موافق لكلامه وهو ألد الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام
المخاصمة ويجوز أن يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى أشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الأخنس بن شريق
الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الإسلام وقيل في المنافقين
كلهم وإذا تولى أدبر وانصرف عنك وقيل إذا غلب وصار واليا سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل
كما فعله الأخنس بثقيف إذ بيتهم وأحرق زرعهم وأهلك مواشيهم أو كما يفعله ولاة السوء بالقتل والإتلاف
أو بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه
عليه وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم حملته الأنفة وحمية الجاهلية على الإثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا
من قولك أخذته بكذا إذا حملته عليه وألزمته إياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب
وهو في الأصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به
والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب ومن الناس من يشري نفسه يبيعها أي يبذلها في الجهاد أو يأمر بالمعروف
وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه وقيل إنها نزلت في صهيب بن سنان الرومي أخذه
المشركون وعذبوه ليرتد فقال إني شيخ كبير لا ينفعكم إن كنت معكم ولا يضركم إن كنت عليكم فخلوني
وما أنا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه وأتى المدينة والله رؤوف بالعباد حيث أرشدهم إلى مثل هذا الشراء وكلفهم
بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالكسر والفتح الاستسلام
والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والإسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم للجملة
لأنها تكف الأجزاء من التفرق حال من الضمير أو السلم لأنها تؤنث كالحرب قال

السلم تأخذ منها ما رضيت به … والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

والمعنى استسلموا لله وأطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين أو ادخلوا في الإسلام بكليتكم ولا تخلطوا
به غيره والخطاب لمؤمني أهل الكتاب فإنهم بعد إسلامهم عظموا السبت وحرموا الإبل وألبانها
أو في شرائع الله كلها بالإيمان بالأنبياء والكتب جميعا والخطاب لأهل الكتاب أو في شعب الإسلام
وأحكامه كلها فلا تخلوا بشيء والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق
إنه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فإن زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات الآيات
والحجج الشاهدة على أنه الحق فاعلموا أن الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم إلا بحق هل ينظرون
استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده إلا إلا أن يأتيهم الله أي يأتيهم أمره أو بأسه كقوله تعالى أو يأتي
أمر ربك فجاءها بأسنا أو يأتيهم الله ببأسه فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله إن الله عزيز حكيم
في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما أظلك وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الأبيض وإنما يأتيهم
العذاب فيه لأنه مظنة الرحمة فإذا جاء منه العذاب كان أفظع لأن الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان
أصعب فكيف إذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فإنهم الواسطة في إتيان أمره أو الآتون على الحقيقة

ببأسه

ببأسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل أو الغمام وقضي الأمر أتم أمر إهلاكهم وفرغ منه وضع الماضي موضع المستقبل
لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الأمر عطفا على الملائكة وإلى الله ترجع الأمور قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو
وعاصم على أنه من الرجع وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث غير يعقوب على أنه من الرجوع وقرئ أيضا
بالتذكير وبناء المفعول سل بني إسرائيل أمر للرسول عليه الصلاة والسلام أو لكل أحد والمراد بهذا السؤال تقريعهم
كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة أو آية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على أيدي الأنبياء وكم خبرية
أو استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية أو الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها ومن
للفصل ومن يبدل نعمة الله أي آياته فإنها سبب الهدى الذي هو أجل النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد
الرجس أو بالتحريف والتأويل الزائغ من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت إليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض
بأنهم بدلوها من بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فإن الله شديد العقاب
فيعاقبه أشد عقوبة لأنه ارتكب أشد جريمة زين للذين كفروا الحياة الدنيا حسنت في أعينهم وأشربت
محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها وأعرضوا عن غيرها والمزين في الحقيقة هو الله إذ ما من شيء إلا وهو
فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق الله فيها من الأمور البهية
والأشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب أي
يسترذلونهم ويستهزؤون بهم على رفضهم الدنيا وإقبالهم على العقبى ومن للابتداء كأنهم جعلوا السخرية مبتدأة
منهم والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة لأنهم في عليين وهم في أسفل السافلين أو لأنهم في كرامة وهم في
مذلة أو لأنهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وإنما قال والذين اتقوا بعد قوله
من الذين آمنوا ليدل على أنهم متقون وأن استعلاءهم للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب
بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء أخرى كان الناس أمة واحدة متفقين على الحق فيما
بين آدم وإدريس أو نوح أو بعد الطوفان أو متفقين على الجهالة والكفر في فترة إدريس أو نوح فبعث
الله النبيين مبشرين ومنذرين أي فاختلفوا فبعث الله وإنما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه
وعن كعب الذي علمته من عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفا والمرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة
عشر والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون وأنزل معهم الكتاب يريد به الجنس ولا يريد
به أنه أنزل مع كل واحد كتابا يخصه فإن أكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وإنما كانوا يأخذون بكتب
من قبلهم بالحق حال من الكتاب أي ملتبسا بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس أي الله أو النبي المبعوث أو كتابه
فيما اختلفوا فيه في الحق الذي اختلفوا فيه أو فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق أو الكتاب
إلا الذين أوتوه أي الكتاب المنزل لإزالة الخلاف أي عكسوا الأمر فجعلوا ما أنزل مزيحا للاختلاف سببا
لاستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى
الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه أي للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما اختلفوا فيه
بإذنه بأمره أو بإرادته ولطفه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم لا يضل سالكه أم حسبتم أن تدخلوا

الجنة خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بعدما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء الآيات تشجيعا
لهم على الثبات مع مخالفتهم وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما يأتكم ولم يأتكم واصل لما لم زيدت
عليها ما وفيها توقع ولذلك جعل مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم
البأساء والضراء بيان له على الاستئناف وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد
حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرأ
نافع يقول بالرفع على انه حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله استبطاء له لتأخره
ألا إن نصر الله قريب استئناف على ارادة القول اي فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر
وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله تعالى والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد
والرياضات قال عليه الصلاة والسلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسألونك ماذا ينفقون
عن ابن عباس ان عمرو بن الجموح الانصاري كان هما ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا
واين نضعها فنزلت قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سئل عن
المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان في سؤال عمرو وان لم
يكن مذكورا في الآية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما انفقتم من خير وما تفعلوا من خير في معنى الشرط
فان الله به عليم جوابه اي ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض
الزكوة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة
او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم
اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا شيئا وهو
خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو
شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس
اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان
الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم يعرف عينها يسألونك عن الشهر الحرام روي انه عليه الصلاة والسلام
بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها
عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف وكان
ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف
ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول
الله العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وهي اول غنيمة
في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية قتال فيه بدل
اشتمال من الشهر وقرئ عن قتال بتكرير العامل قل قتال فيه كبير اي ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ
بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى

ومنع

منع دلالة الآية على حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقا فان قتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم وصد صرف ومنع
عن سبيل الله اي الاسلام او ما يوصل العبد الى الله تعالى من الطاعات وكفر به اي بالله والمسجد الحرام على ارادة المضاف
اي وصد المسجد الحرام كقول ابي دواد : اكل امرئ تحسبين امرا ... ونار توقد بالليل نارا :
ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يتقدم العطف على الموصول
على العطف على الصلة ولا على الهاء في به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار واخراج اهله منه
اهل المسجد الحرام وهم النبي والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء
الاربعة المعدودة من كبائر قريش وافعل من يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اكبر من القتل
اي ما ترتكبونه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم
عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل
كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على
قرنه ان ظفرت بي فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر
فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها في احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعي والمراد
بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهي لغة فيه في الدنيا لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من
الفوائد الدنيوية والآخرة لسقوط الثواب واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين
آمنوا نزلت ايضا في السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا وجاهدوا
في سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كانهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمة الله
ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم والله
غفور لما فعلوا خطأ وقلة احتياط رحيم باجزال الاجر والثواب يسألونك عن الخمر والميسر روي انه
نزل بمكة قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر
ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها
قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فام احدهم فقرأ قل يا ايها
الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فقل من يشربها
ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا
فيه هجاء للانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم
بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب
والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلى كانه يخمر العقل كما
سمي سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة رحمه
الله نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر
كالموعد سمي به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره والمعنى يسألونك عن تعاطيهما لقوله

وقل فيهما اى فى تعاطيهما اثم كبير من حيث انه يؤدى الى الانتكاب عن المامور وارتكاب المحظور وقرأ حمزة والكسائى
كثير بالثاء ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفى الخمر خصوصا تشجيع
الجبان وتوفير المروة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما اى المفاسد التى تنشأ منهما اعظم من المنافع
المتوقعة منهما ولهذا قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر
انه ليس كذلك لما مر ويسئلونك ماذا ينفقون قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سال اولا عن المنفق والمصرف
ثم سال عن كيفية الانفاق قل العفو العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق ما تيسر
له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال :. خذى العفو منى تستديمى مودتى :.
وروى ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها فى بعض المغانم فقال خذها منى صدقة
فاعرض عنه حتى كرر عليه مرارا فقال عليه الصلاة والسلام هاتها مغضبا فاخذها فحذفه بها حذفا لو اصابه
لشجه ثم قال ياتى احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى وقرأ
ابو عمرو برفع الواو كذلك يبين الله لكم الايات اى مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من
الاحكام والكاف فى موضع النصب صفة لمصدر محذوف اى تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة
والمخاطب به جمع على تاويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون فى الدلائل والاحكام فى الدنيا والاخرة اى مداخلتهم
لاصلاحهم واصلاح اموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة اى انهم
اخوانكم فى الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح
وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح اى يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم اى ولو
شاء الله اعناتكم لاعنتكم اى كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهى المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم
ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم ما تقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا
المشركات حتى يؤمن اى ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اى ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم
الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح
ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روى
انه عليه الصلاة والسلام بعث مرثد الغنوى الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان
يهواها فى الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بى فقال نعم
ولكن استامر رسول الله فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة اى ولامرأة مؤمنة حرة كانت
او مملوكة فان الناس عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم بحسنها وشمائلها ولو للحال ولو بمعنى ان
وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه ولعبد مؤمن
خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهى عن مواصلتهم وترغيب فى مواصلة المؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين
المشركين والمشركات يدعون الى النار اى الكفر المؤدى الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم والله
اى واولياؤه يعنى المؤمنين حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم يدعوا الى الجنة والمغفرة

اى الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه اى بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته
ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون لكى يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز فى العقول من ميل
الخير ومخالفة الهوى ويسئلونك عن المحيض روى ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحيض ولا يواكلونها كفعل اليهود
والمجوس واستمر ذلك الى ان سال ابو الدحداح فى نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجئ والمبيت
ولعله سبحانه وتعالى انما ذكر يسئلونك بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لان السؤالات الاول كانت فى اوقات متفرقة
والثلاثة الاخيرة كانت فى وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى اى الحيض مستقذر مؤذ من يقربه
نفرة منه فاعتزلوا النساء فى المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه الصلاة والسلام انما امرتم ان تعتزلوا
مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط
النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا
بانه العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه
صريحا قراءة حمزة والكسائى وعاصم فى رواية ابن عياش يطهرن اى يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله
فاذا تطهرن فاتوهن فانه يقتضى تاخر جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة ان طهرت لاكثر الحيض جاز
قربانها قبل الغسل من حيث امركم الله اى المأتى الذى امركم الله به وحلله لكم ان الله يحب التوابين من الذنوب
ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان بغير المأتى نساؤكم حرث لكم
مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى فى ارحامهن من النطف بالبذور فاتوا حرثكم اى فاتوهن كما تاتون
المحارث وهو كالبيان لقوله فاتوهن من حيث امركم الله انى شئتم اى من اى جهة شئتم روى ان اليهود كانوا
يقولون من جامع امرأته من دبرها فى قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
وقدموا لانفسكم ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله بالاجتناب
عن معاصيه واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين الكاملين فى الايمان بالكرامة
والنعيم الدائم امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم ولا تجعلوا
الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت فى الصديق رضى الله عنه لما حلف ان
لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة رضى الله عنها او فى عبد الله بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشير
بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما يعرض دون الشىء وللمعرض
للامر ومعنى الاية على الاول ولا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف
عليها كقوله عليه الصلاة والسلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذى هو خير
وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان تكون
للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اى ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثانى ولا
تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين
وان تبروا علة للنهى اى انهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله

والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين والله سميع عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو
في ايمانكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم
به جاهلا لمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التاكيد لقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم
الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطات فيها قلوبكم
السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطاتم فيه من الايمان
ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها والله غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة
على يمين الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف
وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن تربص اربعة اشهر مبتدا ما قبله خبره
او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اي للمولي حق التلبث
في هذه المدة ولا يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك قال الشافعي لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ويؤيده فان فاؤا
رجعوا عن اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولي اثم حنثه اذا كفر او ما توخى بالايلاء من ضرار المراة
ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة وان عزموا الطلاق اي وان صمموا قصده فان الله سميع لطلاقهم عليم
بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة الايلاء في اربعة اشهر فما فوقها وحكمه ان المولي ان فاء في المدة بالوطء ان قدر
والوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطئ ان يكفر والا بانت بعدها بتطليقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين
فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت عليه الايات والاخبار
ان الحكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر في معنى الامر وتغيير العبارة للتاكيد والاشعار بانه مما يجب ان
يسارع الى امتثاله فكان المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدا
يزيده فضل تاكيد بانفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فامرن
ان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلاثة قروء نصب على الظرف او المفعول به اي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو
يطلق للحيض لقوله عليه السلام دعي الصلاة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين كقول الاعشى

لما ضاع فيها من قروء نسائكا

واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الاية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قاله الحنفية
لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون في الحيض واما قوله عليه الصلاة والسلام
طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر رضي الله عنهما مره
فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك
العدة التي امر الله تعالى ان تطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتوسعون
في ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين مكان الاخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن
معنى الكثرة فحسن بناؤها ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد والحيض استعجالا في
العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر ليس المراد

منه

منه تقييد نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له ان يفعل
وبعولتهن اي ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للاية التي
تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتانيث
الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف اي
واهل بعولتهن وافعل ههنا بمعنى الفاعل في ذلك اي في زمان التربص ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا لاضرار
المراة وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ولهن مثل الذي
عليهن بالمعروف اي ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها
لا في الجنس وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر
والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن في غرض الزواج
ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم يشرعها
لحكم ومصالح الطلاق مرتان اي التطليق الرجعي اثنتان لما روي انه عليه الصلاة والسلام سئل اين الثالثة
فقال او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية
الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة فامساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول
او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدا وتخيير مطلق
عقب به تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا اي من الصدقات روي ان
جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيبه في دين ولا خلق ولكن اكره الكفر
في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم
قامة واقبحهم وجها فاختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء
اليهم لانهم الامرون بهما عند الترافع وقيل انه خطاب للازواج وما بعده خطاب للحكام وهو يشوش
النظم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن
الا يقيما حدود الله بترك اقامة احكامه من مواجب الزوجية وقرا حمزة ويعقوب يخافا على البناء
للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم
ايها الحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به على الرجل في اخذ ما افتدت به نفسها
واختلعت وعلى المراة في اعطائه تلك حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها فلا
تعتدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في
التهديد واعلم ان ظاهر الاية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق
الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ايما امراة سالت زوجها طلاقا
من غير باس فحرام عليها رائحة الجنة وما روي انه عليه الصلاة والسلام قال لجميلة اتردين عليه حديقته

فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه الصلاة والسلام اما الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد
لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء واختلف في انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق فسخ او
طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي ان يكون
طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان
طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان او تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على
ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك الطلاق
حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد
كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روي ان امراة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالاية
مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم
الردع عن التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه
ابو حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما
ان يتراجعا ان يرجع كل من المراة والزوج الاول الى الاخر بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما
انهما يقيمان ما حدده الله وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم هاهنا غير سديد لان عواقب الامور
غيب تظن ولا تعلم ولانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وتلك حدود الله
اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي اخر
عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذي به ينتهي قال

كل حي مستكمل مدة العمر
ومود اذا انتهى اجله

والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو على الاتساع وهو المراد في الاية ليصح ان يرتب عليه فامسكوهن بمعروف
او سرحوهن بمعروف اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضي عدتهن
من غير تطويل وهو اعادة للحكم في بعض صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن
كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها لتطول العدة عليها فنهى عنه بعد الامر بضده مبالغة
ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بالضرار
اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا ايات الله هزوا بالاعراض عنها
والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه نهى عن الهزء واراد به الامر بضده
وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه الصلاة والسلام ثلاث جدهن جد
وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق واذكروا نعمت الله عليكم التي من جملتها الهداية وبعثة محمد صلى
الله عليه وسلم بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة القران والسنة افردهما بالذكر

اظهارا

اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم تاكيد وتهديد
واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن وعن الشافعي رضي الله عنه دل سياق الكلامين
على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن المخاطب به الاولياء لما روي انها نزلت في معقل
بن يسار حين عضل اخته جميلا ان ترجع الى زوجها الاول بالاستيناف فيكون دليلا على ان المراة لا تزوج
نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه بسبب توقفه على
اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة ولا يتركونهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب
قوله واذا طلقتم وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد
بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشبت
بيضها فلم يخرج اذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف
بما يعرفه الشرع وتستحسنه المروءة حال من الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف
وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من غير كفؤ غير منهي عنه ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجميع على
تاويل القبيل او كل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول
عليه الصلاة والسلام على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره
كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر
ازكى لكم انفع واطهر من دنس الاثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور
علمكم والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم
يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات يعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص
بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان
للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة
والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى
المولود له اي الذي يولد له يعني الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي
لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استيجار الام فجوزه الشافعي
ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجة او معتدة نكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف
نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه
وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب اي لا يكلف كل منهما
الاخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا من قوله
لا تكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل او الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان
يكون بمعنى تضر والباء من صلته اي لا تضر الوالدة بالولد فتفرط في تعهده وتقصر فيما ينبغي له وقرئ
لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها

تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق فلا ينبغي
ان يضارا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما
تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبي اي مون المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين
من قوله عليه الصلاة والسلام واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي رضي الله عنه اذ لا نفقة عنده
فيما عدا الولادة وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابي ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة وقيل عصباته
وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور
اي فصالا صادرا عن تراض منهما وتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة استخراج الراي من شرت
العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما في ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم احدهما
على ما يضر به لغرض او غيره وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت
المراة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه
فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع للولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى
المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة وقرا ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله
وقرئ اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا
وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل
واتقوا الله مبالغة في المحافظة على ما شرع في امر الاطفال واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي وازواج الذين
او والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح
الياء اي يستوفون آجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير
في مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا
يوما ولعل المقتضي لهذا التقدير ان الجنين في غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى
فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي
تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قال الشافعي والحرة والامة كما قال الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف
المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن علي وابن عباس رضي
الله عنهم انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة
والمسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليها للعدة بالمعروف بالوجه الذي
لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح والله بما
تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام
المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر
لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان

المضمومة

المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول
لها انك لجميلة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك او اكننتم في انفسكم او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه
تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع
توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن
نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطء لانه يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن في السر
على ان المعنى بالمواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه
محذوف اي لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو
ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز
تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر
العزم القطع حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم
على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله حليم لا
يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان
النبي صلى الله عليه وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفي ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي
تجامعوهن وقرا حمزة والكسائي تماسوهن بضم التاء ومد الميم في جميع القران او تفرضوا لهن فريضة الا ان
تفرضوا او حتى تفرضوا او وتفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء
لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة
غير ممسوسة ولم يسم لها مهر اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمي لها
فلها نصفه فمنطوق الاية ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الاخيرتين ومتعوهن
عطف على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راي الحاكم
ويؤيده قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي على كل من الذي له سعة والمقتر الضيق الحال ما يطيقه
ويليق به ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام لانصاري طلق امراته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك
وقال ابو حنيفة هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها عن ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم
الاية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي في احد قوليه الممسوسة
المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وقرا حمزة والكسائي وحفص وابن ذكوان بفتح الدال متاعا
تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك
حقا على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين
للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة لما ذكر حكم المفوضة
اتبعه حكم قسيمها فنصف ما فرضتم اي فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفي
تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون اي المطلقات فلا ياخذن شيئا والصيغة

يحتمل التذكير والتأنيث والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل
مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح اى الزوج المالك لعقده
وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه
واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي يلي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المرأة صغيرة وهو قول قديم
للشافعي وان تعفوا اقرب للتقوى يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الاول عبارة
عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق
قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها
قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم اى ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم
على بعض ان الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها
والمداومة عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها
والصلوة الوسطى اى الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا وهي صلوة العصر لقوله عليه الصلاة والسلام يوم الاحزاب
شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملا الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع
الملائكة وقيل صلاة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل لقوله عليه الصلاة والسلام
افضل العبادات احمزها وقيل الفجر لانها بين صلاتي الليل والنهار والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة
وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين طرفي الليل وعن عائشة
انه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون صلوة من الاربع خصت بالذكر مع
العصر لانفرادها بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص والمدح وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين له في
القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فان خفتم من عدو
او غيره فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين او راكبين ورجال جمع راجل او رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على
وجوب الصلوة حال المسايفة واليه ذهب الشافعي رضي الله عنه وقال ابو حنيفة لا يصلي حال المشي والمسايفة
ما لم يمكن الوقوف فاذا امنتم وزال خوفكم فاذكروا الله صلوا صلوة الامن او اشكروه على الامن كما علمكم
ذكرا مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية الصلوة حالتي الخوف والامن او شكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة
ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم قرأها
بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا
وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم
متاعا الى الحول مكانه وقرأ الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتو
فون اهل وصية او كتب عليهم وصية وعليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا الى الحول نصب بيوصون ان
اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قرأ به لانه بمعنى التمتيع غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كقولك
هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اى غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان

يحتضروا

يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى والنفقة وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله
اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما في التلاوة متأخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او
الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي حنيفة فان خرجن عن منزل الازواج فلا جناح عليكم ايها
الائمة في ما فعلن في انفسهن كالتطيب وترك الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه
لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج
وتركها والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم يراعي مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على
المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعد ما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه
الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب
والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير للتأكيد او تكرير القصة
كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة يبين الله لكم آياته وعد بانه سيبين لعباده من
الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل
فيها الم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم
يسمع فانه صار مثلا في التعجب الى الذين خرجوا من ديارهم يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع
فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله وقدره
او قوما من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم
وهم الوف اى الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل متألفون جمع آلف او الف كقاعد
وقعود والواو للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اى قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن
فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله تعالى ومشيئته وقيل ناداهم به ملك
وانما اسند الى الله تخويفا وتهويلا ثم احياهم قيل مر حزقيل على اهل داوردان وقد عريت عظامهم
وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فقاموا يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة
وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص
عليكم حالهم لتستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون اى لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر
الاعتبار والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة
واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله
المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة
الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا او بدل له واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه
قرضا حسنا اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة
والانفاق في سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم

بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى أيقرض الله احد وقرأ ابن كثير
فيضعفه بالرفع والتشديد وابن عامر ويعقوب بالنصب أضعافا كثيرة كثرة لا يقدرها الا الله وقيل الواحد
بسبعمائة وأضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى
التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض
ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم وقرأ نافع والكسائي
والبزي وابو بكر بالصاد ومثله في الاعراف في قوله تعالى في الخلق بسطة واليه ترجعون فيجازيكم على ما
قدمتم ألم تر الى الملإ من بني اسرائيل الملأ جماعة يجتمعون للتشاور ولا واحد له كالقوم ومن للتبعيض
من بعد موسى اي من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل
ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رأيه
وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما
ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا فصل بين عسى
وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما
عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا وقرأ نافع عسيتم بكسر السين قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله
وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي اي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه
من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون
ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من
ابناء الملوك اربعمائة واربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر
والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت
ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روي ان نبيهم عليه السلام
لما دعا الله ان يملكهم اتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون له
الملك علينا من اين يكون له ذلك ويستأهله ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال والحال
انا احق بالملك منه وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا
راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة في اولاد لاوي بن
يعقوب والملك في اولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة
في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوطه
نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا
بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا
في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد
يده فينال رأسه وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بانه واسع

الفضل

الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسب وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا
منه حجة على انه سبحانه وتعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت الصندوق
فعلوت من التوب لانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقلق ومن قرأ بالهاء
فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التأنيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به صندوق التورية وكان
من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان
اي في اتيانه سكون لكم وطمأنينة او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التورية وكان موسى
اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس
وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر
ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد عليهم الصلوة والسلام وقيل التابوت هو القلب
والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقر العلم والوقار بعد ان لم يكن
وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هرون وآلهما
ابناؤهما او نفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة
قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون
به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك الله طالوت فاصابهم بلاء حتى
هلكت خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقهما الملائكة الى طالوت ان في ذلك لآية
لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي صلى الله عليه وسلم وان يكون ابتداء خطاب
من الله سبحانه وتعالى فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه
عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي انه قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع
عليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسألوا ان يجري الله لهم نهرا قال ان
الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب منه فليس مني فليس من اشياعي
او ليس بمتحد معي ومن لم يطعمه فانه مني اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه مأكولا او مشروبا
قال

وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا

وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله
فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم والصابئون على الخبر في قوله ان الذين آمنوا
والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير وقرأ ابن عامر والكوفيون غرفة بضم الغين
فشربوا منه الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل
الاستثناء او افرطوا في الشرب منه الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى
فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وقيل ثلاثة الاف وقيل الفا روي ان من اقتصر على الغرفة
كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا

لقاصد الاخرة فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه اى القليل الذين لم يخالفوه قالوا اى بعضهم لبعض
لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اى قال
الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله وقيل
هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير فى قالوا للكثير المنخزلين عنه اعتذارا فى التخلف وتخذيلا للقليل
وكانهم تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره
وكم يحتمل الخبر والاستفهام ومن مبينة او مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فاوت راسه اذا شققته
او من فاء اذا رجع فوزنها فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده
اى ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجاوا
الى الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سالوا اولا افراغ الصبر فى قلوبهم الذى هو ملاك الامر ثم ثبات القدم
فى مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المرتب عليهما غالبا فهزموهم باذن الله فكسروهم
بنصره او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان ايشى فى عسكر طالوت
مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الى نبيهم انه الذى يقتل جالوت فطلبه
من ابيه فجاء وقد كلمه فى الطريق ثلاثة احجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت فحملها فى مخلاته ورماه بها فقتله
ثم زوجه طالوت بنته واتاه الله الملك اى ملك بنى اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة
وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن
الله ذو فضل على العالمين ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم
لغلبوا وافسدوا فى الارض ولفسدت الارض بشؤمهم وقرأ نافع هنا وفى الحج دفاع الله تلك آيات الله اشارة
الى ما قص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق
بالوجه المطابق الذى لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير
تعرف واستماع تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها فى السورة او المعلومة للرسول عليه الصلاة
والسلام او جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره
منهم من كلم الله تفضيل له وهو موسى عليه السلام وقيل موسى ومحمد عليهما السلام كلم الله موسى ليلة الحيرة
وفى الطور ومحمد ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب
فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بان فضله على غيره من
وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة
والمعجزات المستمرة والايات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم
شانه كانه العلم المتعين لهذا الوصف المستغنى عن التعيين وقيل ابرهيم خصصه بالخلة التى هى اعلى المراتب وقيل
ادريس لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه
بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى فى تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله

لانها

لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم
من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحة لاختلافهم فى الدين وتضليل بعضهم بعضا
ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه التزام دين الانبياء تفضلا ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه
ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا
والاية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض لكن بقاطع لان اعتبار الظن
فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة لمشيئته خيرا كان او شرا ايمانا او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا
مما رزقناكم ما اوجب عليكم انفاقه من قبل ان ياتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان ياتى
يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلوا ما تنفقونه وتفتدون به من العذاب
ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحوكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضى له قولا حتى تتكلوا على شفعاء
تشفع لكم فى حط ما فى ذممكم وانما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانها فى التقدير جواب هل فيه بيع او خلة
او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون
الزكوة هم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال فى غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه
تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان ومن لم يحج وايذانا بان ترك الزكوة من صفات الكفار لقوله وويل للمشركين
الذين لا يؤتون الزكوة الله لا اله الا هو مبتدا وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف فى انه
هل يضمر للاخير مثل فى الوجود او يصح ان يوجد الحى الذى يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب
لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا
حفظه وقرئ القيام والقيم لا تاخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع

وسنان اقصده النعاس فرنقت   فى عينه سنة وليس بنائم

والنوم حال يعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس
الظاهرة عن الاحساس راسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفى
للتشبيه وتاكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان ماوف الحيوة قاصرا فى الحفظ والتدبير ولذلك
ترك العاطف فيه وفى الجمل التى بعده له ما فى السموات وما فى الارض تقرير لقيوميته واحتجاج على تفرده فى الالوهية
والمراد بما فيهن ما وجد فيهما داخلا فى حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له السموات والارض
وما فيهن من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل
بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه عنادا ومناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضى او امور الدنيا وامور الاخرة او عكسه
او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما فى السموات والارض لان فيهما العقلاء او لما دل
عليه من ذا من الملائكة والانبياء ولا يحيطون بشئ من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموه وعطفه
على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتى التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض

تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات
بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ من كرسي العالم والملك
وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله عليه الصلاة والسلام ما السموات
السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك
الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل اسم لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد
وكانه منسوب الى الكرسي وهو الملبد ولا يؤده ولا يثقله ماخوذ من الاود وهو الاعوجاج حفظهما
اي حفظه السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول وهو العلي المتعالي عن الانداد
والاشباه العظيم المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الاية مشتملة على امهات المسائل الالهية
فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم
هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرا عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا
يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع
عنده الا من اذن له عالم الاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل ما يصح
ان يملك ويقدر عليه لا يؤده شاق ولا يشغله شان متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم
ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ان اعظم اية في القرآن اية الكرسي من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته
ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال من قرأ اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول
الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره
وجار جاره والابيات حوله لا اكراه في الدين اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا
يحمله عليه ولكن قد تبين الرشد من الغي تميز الايمان من الكفر بالايات الواضحة ودلت الدلائل على
ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين
له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار
في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما
وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى الرسول صلى الله عليه وسلم فنزلت فمن يكفر بالطاغوت
بالشيطان والاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد عن عبادة الله فعلوت من الطغيان قلبت
عينه ولامه ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسل فقد استمسك بالعروة الوثقى طلب الامساك
عن نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعار لمتمسك المحق من النظر الصحيح والراي القويم
لا انفصام لها لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته والله سميع بالاقوال عليم بالنيات
ولعله تهديد على النفاق الله ولي الذين امنوا محبهم او متولي امورهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت
في علمه انه يؤمن يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس

والشبه

والشبه المؤدية الى الكفر الى النور الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر
او من الموصول او منهما او استيناف مبين او مقرر للولاية والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين
او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما يخرجونهم من النور الى الظلمات من النور الذي منحوه بالفطرة الى
الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات او من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل
نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار التسبب لا يابى تعلق قدرته
تعالى وارادته به اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد
المؤمنين تعظيم لشانهم الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه تعجيب من محاجة نمرود وحماقته
ان اتاه الله الملك لان اتاه اي ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريقة
العكس كقولك عاديتني لاني احسنت اليك او وقت ان اتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله
الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابرهيم ظرف لحاج او بدل من اتاه على الوجه الثاني ربي الذي يحيي ويميت
يخلق الحيوة والموت في الاجساد وقرا حمزة رب بحذف اليا قال انا احيي واميت بالعفو عن القتل وقرا
نافع انا بالالف قال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب اعرض ابرهيم
عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة
وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة
الى اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه ابرهيم بذلك وانما حمله عليه بطر
الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابرهيم الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من
ربك الذي تدعو اليه وحاجه فيه فبهت الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابرهيم الكافر
والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة
الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية تقديره او رايت مثل الذي فحذف
لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى
بخلاف مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي مر وقيل انه عطف محمول
على المعنى كانه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه من كلام ابرهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره
او ان كنت تحيي فاحي كاحياء الله الذي مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع
نمرود والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها
من القري وهو الجمع وهي خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها قال انى يحيي هذه الله
بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيي ان كان القائل مؤمنا واستبعادا
ان كان كافرا وانى في موضع نصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة عام فالبثه
ميتا مائة عام او اماته فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت القائل هو الله وساغ ان
يكلمه وان كان كافرا لانه امن بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبي قال لبثت يوما او بعض يوم كقول

الطاف وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل المغرب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فراى بقية منها
فقال او بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان
واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدرت لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحما
المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضى البازى وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد وقيل
كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله وقرا حمزة والكسائى لم يتسن بغير الهاء فى
الوصل وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما فى مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما
حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما بعده ولنجعلك اية للناس اى وفعلنا ذلك
لنجعلك اية روى انه اتى قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرا التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله
فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث
مائة سنة وانظر الى العظام يعنى عظام الحمار او الاموات الذين تعجب من احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها
او نرفع بعضها الى بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام اى انظر اليها محياة وقرا
ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى انشر ثم نكسوها
لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شئ قدير قال اعلم
ان الله على كل شئ قدير فحذف الاول لدلالة الثانى عليه او ما قبله اى فلما تبين له ما اشكل عليه وقرا حمزة
والكسائى قال اعلم على الامر والامر مخاطبه او هو نفسه خاطبها به على طريقة التبكيت واذ قال ابرهيم رب
ارنى كيف تحيى الموتى انما سال ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمرود انا احيى واميت قال له ان احياء
الله برد الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير اخر ثم سال ربه
ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى قال اولم تؤمن بانى قادر على الاحياء باعادة التركيب
والحيوة قال له ذلك وقد علم انه اعرق الناس فى الايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه
قال بلى ولكن ليطمئن قلبى اى بلى امنت ولكن سالت لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان
الى الوحى والاستدلال قال فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر
النسر بدل الحمامة وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحيوة الابدية انما يتاتى باماتة حب الشهوات والزخارف
الذى هو صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بهما
الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بهما الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص
الحيوان والطير مصدر سمى به او جمع كصحب فصرهن اليك فاملهن واضممهن اليك لتتاملها وتعرف
شياتها لئلا تلتبس عليك بعد الاحياء وقرا حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال

ولكن اطراف الرماح تصورها

وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه ... على الليت قنوان الكروم الدوالح

وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه وفصرهن من التصرية

وهي الجمع

وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اى ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التى بحضرتك قيل
كانت اربعة وقيل سبعة وقرا ابو بكر جزؤا وجزؤ بضم الزاى حيث وقع ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن
الله تعالى ياتينك سعيا ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا روى انه امر بان يذبحها وينتف ريشها
ويقطعها فيمسك رؤوسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل
جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤوسهن وفيه اشارة الى ان من اراد احياء نفسه
بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه
مسرعات متى دعاهن بداعية العقل او الشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابرهيم عليه السلام ويمن
الضراعة فى الدعاء وحسن الادب فى السؤال انه تعالى اراه ما اراد ان يريه فى الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا
بعد ان اماته مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة فى كل ما يفعله
ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة اى مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة
على حذف مضاف انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب
كما يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله تعالى والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع
شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضى وقوعه وقد يكون فى الذرة والدخن وفى البر فى الارض
المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن
اجله تفاوتت الاعمال فى مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم
بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى نزلت
فى عثمان رضى الله عنه فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانه
اتى النبى صلى الله عليه وسلم باربعة الاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على من احسن اليه والاذى
ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى لهم اجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما
بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل
والحاجة او نيل مغفرة من الله بالرد الجميل او عفو من السائل بان يعذره ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها اذى
خبر عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله غنى عن انفاق بمن واذى حليم عن معاجلة
من يمن ويؤذى بالعقوبة يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها بكل
واحد منهما كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر كابطال المنافق الذى يرائى
بانفاقه لا يريد به رضاء الله ولا ثواب الاخرة او مماثلين الذى ينفق رئاء الناس فالكاف فى محل النصب
على المصدر او الحال ورئاء نصب على المفعول له او الحال بمعنى مرائيا او المصدر اى انفاق رئاء فمثله فمثل
المرائى بانفاقه كمثل صفوان كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا
املس نقيا من التراب لا يقدرون على شئ مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه

والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس او الجمع كما في قوله
وان الذي حانت بفلج دماؤهم ... هم القوم كل القوم يا ام خالد
والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرياء والمن والاذى على الانفاق من
صفة الكفار ولا بد للمؤمن ان يتجنب عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم
وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن
بذل ماله وروحه ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدئا من اصل انفسهم وفيه تنبيه على
ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس على البخل وحب المال كمثل جنة بربوة اي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاة
كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقرا ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح
وقرئ بالكسر وثلاثتها لغات فيها اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرا ابن كثير ونافع وابو
عمرو بالسكون للتخفيف ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج
الواحد في قوله من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اي مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل
اي فيصيبها او فالذي يصيبها طل او فطل يكفيه لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير
القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم
اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين
في زلفاهم بالوابل والطل والله بما تعملون بصير تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص ايود احدكم
الهمزة فيه للانكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات
جعل الجنة منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها من كل
الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع
واصابه الكبر اي كبر السن فان الفاقة والعالة في الشيخوخة اصعب والواو للحال او للعطف حملا على
المعنى فكأنه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على
الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت عطف على اصابه او تكون باعتبار ريح عاصف تنعكس
من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها
كرياء وايذاء في الحسرة والاسف فاذا كان يوم القيامة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا
شانه واشبههم به من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه
الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون
اي تتفكرون فيها فتعتبرون بها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله و
جياده ومما اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات ما اخرجنا لكم من الحبوب والثمر والمعادن فحذف
المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث منه ولا تقصدوا الردي منه اي من المال او مما اخرجنا وتخصيصه
بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولا تأمموا ولا تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة من فاعل

تيمموا

تيمموا ويجوز ان يتعلق منه به ويكون الضمير للخبيث والجملة حال منه ولستم بآخذيه اي وحالكم انكم
لا تأخذونه في حقوقكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ
تغمضوا اي تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا
عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يأمركم به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته الشيطان يعدكم
الفقر في الانفاق والوعد في الاصل شائع في الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون وبضمتين وفتحتين
ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي والله يعدكم مغفرة منه
اي يعدكم في الانفاق مغفرة لذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم في الدنيا او في الآخرة والله
واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاقه يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول
اول اخر للاهتمام بالمفعول الثاني ومن يؤت الحكمة بناؤه للمفعول لانه المقصود وقرا يعقوب بالكسر اي
ومن يؤته الله فقد اوتي خيرا كثيرا اي اي خير كثير اذ حيز له خير الدارين وما يذكر وما يتعظ بما قص من
الآيات او وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله في قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب ذوو
العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او
علانية في حق او باطل او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط في طاعة او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم
عليه وما للظالمين الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذر من
انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها
وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرا ابو عمرو وابو بكر وقالون بكسر
النون وسكون العين وروي عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو اقيس وان تخفوها وتؤتوها الفقراء
اي تعطوها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا في التطوع ولمن لم يعرف بالمال فان ابداء
الفرض لغيره افضل لنفي التهمة عن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين
ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم
قرا ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالياء اي والله يكفر او الاخفاء وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية
ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتدأة او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اي ونحن
نكفر وقرا نافع وحمزة والكسائي به مجزوما على محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات
والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما
عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث ولكن الله يهدي من يشاء
صريح بان الهداية من الله وبمشيئته وانها تخص بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة
فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله
حال وكانه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا ابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على
ما قبله اي وليست نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي في معنى

النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تاكيد للشرطية السابقة او ما يخلف للمنفق استجابة
لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار
ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفعوهم فنزلت وهذا في غير الواجب اما الواجب
فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون ثواب نفقاتكم للفقراء متعلق بمحذوف اي اعمدوا
للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد
لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من
اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في
كل سرية بعثها رسول الله يحسبهم الجاهل بحالهم وقرا ابن عامر وحمزة وعاصم بفتح السين اغنياء من
التعفف من اجل تعففهم عن السوال تعرفهم بسيماهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلى الله عليه
وسلم او لكل احد لا يسالون الناس الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل
لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسالون وان سالوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين
لقوله ∴ على لاحب لا يهتدى بمناره ∴
ونصبه على المصدر فانه كنوع من السوال او على الحال وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في
الانفاق وخصوصا على هولاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات
والاحوال بالخير نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار
وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم
نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين ولذلك جوز
الوقف على وعلانية الذين ياكلون الربوا اي الاخذون له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربوا
شائع في المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او في العوض بان
يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها
بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام المصروع
وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط
العشواء من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل
وهو متعلق بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكل الربوا او بيقوم او بيتخبطه فيكون
نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقولهم ولكن لان الله اربى في بطونهم ما اكلوه من
الربى فاثقلهم ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا
والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس
للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهما بدرهمين ضيع درهما

ومن

ومن اشترى سلعة تساوي درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها وتوقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل
الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال للقياس بمعارضة النص فمن جاءه موعظة من ربه فمن
بلغه وعظ من الله وزجر كالنهي عن الربوا فانتهى فاتعظ وتبع النهي فله ما سلف تقدم اخذه التحريم
ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على
راي سيبويه ان الظرف غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة
وصدق النية وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب ببركته ويهلك المال الذي
يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عليه الصلوة والسلام ان
الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربي احدكم مهره وعنه عليه الصلوة والسلام ما نقصت زكوة من مال قط
والله لا يحب لا يرضى ولا يحب محبته للتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه
ان الذين امنوا بالله ورسوله وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة عطفهما
على ما يعمهما لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من ات
ولا هم يحزنون على فائت يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا واتركوا بقايا ما
شرطتم على الناس من الربوا ان كنتم مومنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم به روي انه كان
لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله
ورسوله فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرئ حمزة وعاصم في رواية ابن عياش فاذنوا اي
فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضي
ان يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء الى امر الله كالباغي ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت قالت
ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون
باخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم راس مالهم
وهو سديد على ما قلناه اذ المصر على التحليل مرتد وماله فيء وان كان ذو عسرة وان وقع غريم
ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن
نظرة وهي الانظار وقرئ فناظره على الخبر اي فالمستحق ناظره بمعنى منتظره او صاحب نظرته على طريق
النسب وفناظره على الامر اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة يسار وقرا نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان
كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله ∴ واخلفوك عد الامر الذي وعدوا ∴
وان تصدقوا بالابراء وقرا عاصم بتخفيف الصاد خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذون
لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه الصلوة والسلام لا يحل دين رجل مسلم
فيوخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما
ترجعون فيه الى الله يوم القيمة او يوم الموت فتاهبوا لمصيركم اليه وقرا ابو عمرو ويعقوب بفتح

التا وكسر الجيم ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص ثواب
وتضعيف عقاب وعن ابن عباس انها آخر اية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها في راس المائتين
والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدى وثمانين
وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين اذا داين بعضكم بعضا
تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او آخذا وفائدة ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة
ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم
بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن
ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بالعدل من
يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه
موثوقا به معدلا بالشرع ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه
الله من كتبة الوثائق او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما
احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تاكيدا ويجوز ان يتعلق
الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق وليكن
المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي او الكاتب
ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اي من الحق او مما املى عليه فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص
العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه
لخرس او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل العقل
او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه
القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان من رجالكم من رجال
المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة تقبل شهادة
الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد
او فليستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي
حنيفة ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى
علة اعتبار العدد اي لاجل ان احداهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في
الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح ان يجيء عدو
فادفعه فكانه قيل ارادة ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن
وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار
ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وسموا شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف
منزلة الواقع وما مزيدة ولا تسأموا ان تكتبوه ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق

او الكتاب

او الكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا يقول المؤمن
كسلت صغيرا او كبيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا الى اجله الى وقت حلوله
الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة
واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على غير قياس او من قاسط بمعنى ذي
قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى ان لا ترتابوا واقرب من ان تشكوا
في جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم
جناح ان لا تكتبوها استثناء من الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين وادارتها بينهم
تعاطيهم اياها يدا بيد اي الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا بأس ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان ونصب
عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله

بني اسد هل تعلمون بلاءنا ... اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا

ورفعها الباقون على انها الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع او مطلقا
لانه احوط والاوامر التي في هذه الاية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف في احكامها
ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البناءين ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما
عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا
الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان وان تفعلوا الضرار او ما نهيتم عنه
فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه
المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم كرر لفظ الله في الجمل الثلاث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية
وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية وان كنتم على سفر اي مسافرين
ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذي يستوثق به رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان وليس هذا
التعليق لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك لانه عليه الصلاة والسلام رهن درعه في المدينة
من يهودي بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب في السفر
الذي هو مظنة اعوازه والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرأ ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع
رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف فان امن بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض المديونين
واستغنى بامانته عن الارتهان فليؤد الذي اؤتمن امانته اي دينه سماه امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان
به وقرئ الذي ايتمن بقلب الهمزة ياء والذتمن بادغام الياء في التاء وهو خطأ لان المنقلبة عن الهمزة
في حكمها فلا تدغم وليتق الله ربه في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود
او المديونون والشهادة شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه آثم قلبه اي يأثم قلبه او قلبه يأثم والجملة
خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان مقترفه ونظيره العين زانية والاذن زانية او للمبالغة فانه
رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر

ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد لله ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتيب المغفرة
والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم القيمة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض
فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد رفعهما
ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستئناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم
بغير فاء جعلهما بدلا منه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله

متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا :. تجد حطبا جزلا ونارا تاججا :.

وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا يدغم الا في مثله والله على كل شيء قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة
امن الرسول بما انزل اليه من ربه شهادة وتنصيص من الله تعالى على صحة ايمانه والاعتداد به وانه
جازم في امره غير شاك فيه والمؤمنون كل امن بالله وملئكته وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون
على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمومنين او يجعل مبتدا فيكون
الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدا ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او
لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرا حمزة والكسائي وكتابه يعني
القرآن او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر
من الكتب لا نفرق بين احد من رسله اي يقولون لا نفرق وقرا يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل
لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله تعالى وكل اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق
النفي كقوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب
وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر لنا غفرانك او نطلب غفرانك واليك المصير
المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما
دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيها طوقها ويتيسر عليها كقوله تعالى يريد بكم اليسر وهو يدل على
عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت من الخير وعليها ما اكتسبت من شر لا
ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه
اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا ان
نسينا او اخطانا اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطا من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا
يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطا
فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا
فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه الصلاة والسلام
رفع عن امتي الخطا والنسيان ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبئا ثقيلا يأصر صاحبه اي يحبسه مكانه يريد
به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه

على

على من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل
الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكاة او ما اصابهم
من الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف التي لا تفي بها
الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص منه والتشديد ههنا
لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة
وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولانا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من
حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روي انه عليه الصلاة والسلام لما دعا
بهذه الدعوات قيل له فعلت وعنه عليه الصلاة والسلام انزل الله ايتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن
بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قراهما بعد العشاء الاخرة اجزاتاه عن قيام الليل وعنه عليه الصلاة
والسلام من قرا الايتين من اخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال سورة البقرة
وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه الصلاة والسلام السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن
فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم في المشهور وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها
ليدل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم في حكم الوقف كقولهم واحد
اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم تحرك في لام
وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرا ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل الحي
القيوم روي انه عليه الصلاة والسلام قال ان اسم الله الاعظم في ثلاث سور في البقرة الله لا اله الا هو
الحي القيوم وفي آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب
القرآن نجوما بالحق بالعدل او بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو في موضع الحال
مصدقا لما بين يديه من الكتب وانزل التوراة والانجيل جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الورى
والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو
ليس من ابنية العربية وقرا ابو عمرو وابن ذكوان والكسائي التورية بالامالة في جميع القرآن ونافع وحمزة
بين اللفظين الا قالون فانه يقرا بالفتح كقراءة الباقين من قبل من قبل تنزيل القرآن هدى للناس على
العموم ان قلنا انا متعبدون بشرائع من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب
الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة ليعم ما عداها كانه قال وانزل
سائر ما يفرق به بين الحق والباطل او الزبور او القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا
لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به بين المحق والمبطل او المعجزات

إن الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه إن الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته لا إله إلا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه هن أم الكتاب اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات فافرد على تأويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة وأخر متشابهات محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات واما قوله تعالى الر كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت عن فساد المعنى وركاكة اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لا انه في معنى المعرف او عن آخر من فأما الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بظاهره او بتأويل باطل ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تأويله وطلب ان يؤولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل وما يعلم تأويله الذي يجب ان يحمل عليه إلا الله والراسخون في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد يقولون آمنا به استئناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدأ كل من عند ربنا اي كل من المتشابه والمحكم من عنده وما يذكر إلا أولو الألباب مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الآية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب عن قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو اباه بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن

غيرها

غيرها وبانه صوره في الرحم والمصور لا يكون ابا للمصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استئناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال عليه الصلاة والسلام قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد إذ هديتنا الى الحق او الايمان بالقسمين من المحكم والمتشابه وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب إنك أنت الوهاب لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء ربنا إنك جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزاء يوم لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل إن الله لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدليل منفصل كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا إن الذين كفروا عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركو العرب لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا اي من رحمته او طاعته على معنى البدلية او من عذابه وأولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كدأب آل فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك او استئناف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء كدأبهم في الكفر والعذاب وهو مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشأن والذين من قبلهم عطف على آل فرعون وقيل استئناف كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او استئناف بتفسير حالهم او خبر ان ابتدأت بالذين من قبلهم والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه الصلاة والسلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او استئناف وتقديره بئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمؤمنين في فئتين يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين وكان قريبا من الفين او مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعد ما قللهم في اعينهم حتى اجترؤوا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله به في قوله فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيدها قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته

وقرئ بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا رأي العين رؤية ظاهرة معاينة
والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما أيد اهل بدر ان في ذلك اي التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم
العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الواقعة آية ايضا يحتملها ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول
لعبرة لاولي الابصار لعظة لذوي البصائر وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات اي المشتهيات
سماها شهوات مبالغة وايماء الى انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله احببت حب الخير و
المزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة الا
خروية لو كان على وجه يرتضيه الله او لانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية
في معرض الذم وفرق الجبائي بين المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك
ثور واختلف في انه فعلال او فنعال والمقنطرة ماخوذة منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة
من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم ذلك
متاع الحيوة الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن المآب اي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من
اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل أؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب
الله خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استئناف
لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من
خير وازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان من الله قرأه عاصم في رواية ابي بكر في جميع القرآن
بضم الراء ما خلا الحرف الثاني في المائدة وهو قوله تعالى رضوانه سبل السلام بكسر الراء وهما لغتان والله
بصير بالعباد اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات
وقد نبه بهذه الآية على نعمه فادناها متاع الحيوة الدنيا واعلاها رضوان الله لقوله ورضوان من الله اكبر
واوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة للمتقين
او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق
المغفرة والاستعداد لها الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك
على احسن ترتيب فان معاملته مع الله اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل
وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت
الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فبالاستغفار لان المغفرة
اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحد منها وكمالهم فيها او
لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق
والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون
شهد الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها

والملائكة بالاقرار واولو العلم بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة
الشاهد قائما بالقسط مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله تعالى وانما جاز افراده
بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او من هو
والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل
وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا من الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر
لمحذوف لا اله الا هو كرره للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة
وليبني عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم
بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد روي في فضلها انه عليه الصلاة والسلام
قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا
عبدي الجنة وهي دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة
مؤكدة للاولى اي لا دين مرضي عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم وقرأ الكسائي بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او ما
يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على الثاني واعتراض
ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود
والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب
ونفاه آخرون مطلقا او في التوحيد فثلث النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى
اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في امر عيسى عليه السلام الا من بعد ما جاءهم العلم اي بعد ما
علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة
وخفاء في الامر ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك
في الدين او جادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج فقل اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك
فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعت اليه الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس
لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن عطف على التاء وحسن للفصل
او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب ااسلمتم كما
اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم
بالبلادة او المعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال وان تولوا
فانما عليك البلاغ اي فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد
ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من
الناس فبشرهم بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل اولوهم الانبياء ومتابعيهم
وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة

البصرة وقرأ حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء فى خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر
أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة كقولك زيد فاحسبهم رجل صالح والفرق انه لا يغير
معنى الابتداء بخلافهما وما لهم من ناصرين تدفع عنهم العذاب ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب
اى التورية يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم الداعى محمد صلى الله عليه وسلم وكتاب الله القران
او التورية لما روى انه عليه الصلاة والسلام دخل مدارسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اى
دين انت فقال على دين ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم
فابيا فنزلت وقيل نزلت فى الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان
الادلة السمعية حجة فى الاصول ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب
وهم معرضون قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه بالصفة ذلك
اشارة الى التولى والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم
امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون
من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل او ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب
عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما
يحيق بهم فى الاخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما روى ان اول راية ترفع يوم القيمة من
رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤوس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس
ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد فى النار لان توفية
ايمانه وعمله لا تكون فى النار ولا قبل دخولها فاذن هى بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير لكل
نفس على المعنى لانه فى معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض عن يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص
هذا الاسم كدخول يا عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا
بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك يتصرف فيما يمكن التصرف
فيه تصرف الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك من
تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطى منه ما تشاء من تشاء وتسترد فالملك الاول عام والاخران
بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء
فى الدنيا او فى الاخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك على كل شئ قدير
ذكر الخير وحده لانه المقضى بالذات والشر مقضى بالعرض اذ لا يوجد شر جزئى ما لم يتضمن خيرا
كليا او لمراعاة الادب فى الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روى انه عليه الصلاة والسلام لما خط
الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم يعمل فيها المعاول
فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة
صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه

٧ او فى الكتب السماوية ومن للتبعيض او للبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير ح

المسلمون

المسلمون وقال اضاءت لى منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لى منها
القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لى قصور صنعاء واخبرنى جبريل ان امتى ظاهرة
على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور
الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله
انك على كل شئ قدير تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى
وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة
وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج
الدخول فى مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما فى الاخر بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج الحى
من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها واماتتها او انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل
اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو وابو بكر الميت بالتخفيف
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم
وبغضهم الا فى الله او عن الاستعانة بهم فى الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين اشارة الى
انهم الاحقاء بالموالاة وان فى موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اى اتخاذهم اولياء
فليس من الله فى شئ اى من ولاية الله فى شئ يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعادين لا يجتمعان قال

تود عدوى ثم تزعم اننى   صديقك ليس النوك عنك بعازب

الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل معدى بمن لانه فى معنى
تحذروا وتخافوا وقرأ يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا فى الاوقات كلها الا وقت المخافة
فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه
والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر
بتناهى المنهى عنه فى القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر
من الكفرة قل ان تخفوا ما فى صدوركم او تبدوه يعلمه الله اى انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها
ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما فى السموات وما فى الارض فيعلم سركم وعلنكم والله على كل شئ قدير
فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والاية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه وكانه قال
ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتى يحيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها
فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود اى تتمنى
كل نفس يوم تجد صحائف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير والشر محضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله
امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير فى عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما
عملت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان تكون شرطية ولكن

الحمل على الخبر او وقع مضى لانه حكاية كائن ووفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره للتأكيد والتذكير
والله رؤف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو
مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى عذابه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله المحبة ميل النفس
الى الشيء لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان
كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي
ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول
في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اي يرض عنكم ويكشف
الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك
بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روي
انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح
حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم
تصديقا من العمل قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا
فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة
على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى
ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران على العالمين بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك
قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسول وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان
مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وال ابرهيم اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل
فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وال عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن
يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن العازر بن ابي يوذ بن زربابل بن ساليان بن
يوحنا بن اوشيا بن امون بن منشكن بن حازقا بن احاز بن يوثام بن عزريا بن يورام بن ساقط
ابن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود بن ايشى بن عوبد بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عمياد
بن رام بن حصروم بن فارص بن يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمانماية سنة ذرية بعضها
من بعض حال او بدل من الالين او منهما ومن نوح اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض
في الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت
الواو ياء وادغمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع
بقول امراة عمران عليم بنيتها اذ قالت امراة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني فينتصب به او
وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام وكان لعمران بن يصهر بنت
اسمها مريم اكبر من هرون فظن ان المراد زوجته ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان
وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى ابني خالة من الاب روي انها كانت عاقرا عجوزا فبينما هي في ظل

شجرة

شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا
ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر
مشروعا عندهم في الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا محررا معتقا لخدمته لا
اشغله شيء او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فتقبل مني ما نذرته انك انت السميع العليم
لقولي ونيتي فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتأنيثه لانه كان انثى وجاز
انتصاب انثى حالا عنه لان تأنيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تأويل مؤنث
كالنفس والحبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره
والله اعلم بما وضعت اي بالشيء الذي وضعت وهو استئناف من الله تعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا
لها بشانه وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها اي
ولعل لله سبحانه وتعالى فيه سرا والانثى كانت خيرا وقرئ وضعت على خطاب الله لها وليس الذكر كالانثى
بيان لقوله والله اعلم اي وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون
من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت فيكون اللام للجنس واني سميتها مريم عطف
على ما قبله من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها
حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية
امور متغايرة واني اعيذها بك اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم
الرمي بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل
من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها
فان الله عصمها ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن
حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة
روي ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه
النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤوس بني اسرائيل
وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر
فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف
اي بذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل اي فاخذها في اول امرها حين ولدت
بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها وكفلها زكريا شدد الفاء
حمزة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول
اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكريا مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب
اي الغرفة التي بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمي به لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت
في اشرف موضع من بيت المقدس وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها غيره

وذا خرج غلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتا في الصيف وبالعكس قال يا مريم انى
لك هذا من اين لك هذا الرزق الاتي في غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاوليا
وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت
صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة ان الله يرزق من يشا بغير حساب
بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من كلامها وان يكون من كلام الله
تعالى روي ان فاطمة رضي الله عنها اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع
بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا فقالت
هو من عند الله ان الله يرزق من يشا بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة بني اسرائيل
ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت على
جيرانها هنالك دعا زكريا ربه في ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى
كرامة مريم ومنزلتها من الله قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر
وقيل لما راى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسال وقال هب لي من لدنك لانه
لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة انك سميع الدعا مجيبه فنادته الملائكة اي من جنسهم
كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي كان جبريل وحده وقرا حمزة والكسائي فناداه بالامالة والتذكير
وهو قائم يصلي في المحراب اي قائما في الصلوة ويصلي صفة قائم او خبر او حال اخر او حال عن الضمير في قائم
ان الله يبشرك بيحيى اي بان وقرا حمزة وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان الندا نوع منه وقرا
حمزة والكسائي يبشرك ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل
مصدقا بكلمة من الله اي بعيسى سمي بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات
التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم
وكان فائقا للناس كلهم في انه ما هم بمعصية وحصورا مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي
روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا
منهم او كائنا من عداد من لم يات كبيرة ولا صغيرة قال رب انى يكون لي غلام استبعادا من حيث
العادة او استعظاما وتعجبا او استفهاما عن كيفية حدوثه وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر في
وكان له تسع وتسعون سنة ولامراته ثمان وتسعون وامراتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها
ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشا اي يفعل ما يشا من العجائب مثل ذلك الفعل
وهو انشا الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشا من
خلق الولد او كذلك الله مبتدا وخبر اي الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشا بيان له او كذلك
خبر مبتدا محذوف اي الامر كذلك والله يفعل ما يشا بيان له قال رب اجعل لي اية علامة اعرف
بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال ايتك الا تكلم الناس ثلثة ايام

اى لا تقدر على تكليم الناس ثلاثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضا
لحق النعمة وكانه قال ايتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق من السوال الا رمزا
اشارة بنحو يد او راس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثنا منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل
على الضمير وقرى رمزا بفتحتين كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس معا بمعنى مترامزين
كقوله ∴ متى ما تلقني فردين ترجف ∴ روانف اليتيك وتستطارا ∴
واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة وهو موكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على
انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر
الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرى بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة
يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نسا العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن
انكر الكرامة زعم ان ذلك معجزة زكريا او ارهاص لنبوة عيسى فان الاجماع على انه سبحانه لم
يستنبي امراة لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفا الاول تقبلها من
امها ولم يقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناوها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر
من النسا والثاني هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير اب وتبرئتها مما قذفتها
به اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها اية للعالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلاة
في الجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او
للتنبيه على ان الواو لا توجب الترتيب او ليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس في صلاتهم ركوع ليسوا
مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله تعالى امن هو قانت انا الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة
لقوله تعالى وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ذلك من انبا الغيب نوحيه اليك اي ما ذكرنا من
القصص من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل
اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان
طريق معرفة الوقائع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقي ان يكون الاتهام
باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اي يلقونها
ليعلموا او يقولوا ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من
اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك
لقيته سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب
المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه
مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبريل ومن العيس وهو بياض يعلوه
حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تمييز الاسما نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر
افراد المبتدا فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلاثة فان الاسم

علامة المسيح والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب
لها تنبيها على انه يولد من غير اب اذ الاولاد تنسب الى الاباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا والاخرة
حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيره للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الاخرة الشفاعة
ومن المقربين من الله وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة او رفعه الى السماء وصحبة الملائكة ويكلم الناس في المهد وكهلا
اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه
وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشاد الى انه بمعزل عن الالوهية
ومن الصالحين حال ثالثة من كلمة او ضميرها الذي في يكلم قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب
او استبعاد عادي او استفهام عن انه يكون بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبريل
او الله وجبريل حكى لها قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق
الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل
كلام مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج او عطف
على يبشرك او وجيها والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما وقرأ نافع وعاصم
ويعلمه بالياء ورسولا الى بني اسرائيل اي قد جئتكم باية من ربكم منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره
ونقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق فكانه قال
وناطقا باني قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث الى
غيرهم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من اية او رفع
على هي اني اخلق والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة الطير وقرأ نافع اني بالكسر فانفخ فيه الضمير
للكاف اي في ذلك المماثل فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا طيارا بامر الله نبه به على ان احياءه من الله
لا منه وقرأ نافع هاهنا وفي المائدة طائرا بالالف والهمزة وابرئ الاكمه والابرص الاكمه الذي ولد اعمى او
الممسوح العين روي انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه
عيسى وما يداوي الا بالدعاء واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لوهم الالوهية فان الاحياء ليس
من جنس الافعال البشرية وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التي لا
تشكون فيها ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات
او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين يدي من التوراة عطف على رسولا على الوجهين او منصوب
باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي وجئتكم مصدقا ولاحل لكم مقدر باضماره او مردود على قوله
اني قد جئتكم باية او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذي حرم
عليكم اي في شريعة موسى عليه السلام كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وهو
يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى عليه السلام ولا يخل ذلك بكونه مصدقا بالتوراة كما
لا يعود نسخ القران بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان

وجئتكم

وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي جئتكم
باية اخرى الهمنيها ربكم وهو قوله ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة
بين النبي والساحر او جئتكم باية على ان الله ربي وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر
انه تكرير لقوله قد جئتكم باية من ربكم اي جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة
والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات القاهرة و
الايات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول
المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال
فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن
المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله صلى
الله عليه وسلم قل امنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك
بالحواس قال من انصاري الى الله ملتجئا الى الله او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري
مضمنا معنى الاضافة اي من الذين يضيفون انفسهم الى الله تعالى في نصري وقيل الى هاهنا بمعنى مع او في
او اللام قال الحواريون حواري الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات
لخلوص الوانهن سمي به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون
البيض استنصر بهم عيسى من اليهود وقيل قصارين يحورون الثياب اي يبيضونها نحن انصار الله اي
انصار دينه امنا بالله واشهد بانا مسلمون لتشهد لنا يوم القيامة حين تشهد الرسل لقومهم وعليهم
ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الشاهدين بوحدانيتك او مع
الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء على الناس
ومكروا اي الذين احس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى
والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند
الى الله الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا
يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك
ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ
روي انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع سا
عات ثم رفعه الى السماء واليه ذهب النصارى ورافعك الي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين
كفروا من سوء جوارهم وقصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة يعلونهم بالحجة
او السيف في غالب الامر ومتبعوه من امن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الان لم تسمع غلبة اليهود
عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الي مرجعكم الضمير لعيسى ومن تبعه ومن كفر به وغلب المخاطبين على
الغائبين فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا

والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم أجورهم تفسير للحكم وتفصيل له
وقرأ حفص فيوفيهم بالياء والله لا يحب الظالمين تقرير لذلك ذلك إشارة إلى ما سبق من نبأ عيسى وغيره
وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك وقوله من الآيات حال من الهاء ويجوز أن يكون الخبر ونتلوه حالا على أن العامل
معنى الإشارة وأن يكونا خبرين وأن ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على الحكم أو المحكم
الممنوع عن تطرق الخلل إليه يريد به القرآن وقيل اللوح إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم إن شأنه الغريب
كشأن آدم خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما به التشبيه وهو أنه خلق بلا أب كما خلق آدم
من التراب بلا أب وأم شبه حاله بما هو أغرب إفحاما للخصم وقطعا لمواد الشبهة والمعنى خلق قالبه من التراب
ثم قال له كن أي أنشأه بشرا كقوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر أو قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز أن تكون ثم
لتراخي الخبر لا المخبر ويكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر محذوف أي هو الحق وقيل الحق مبتدأ ومن ربك
خبره أي الحق المذكور من الله فلا تكن من الممترين خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على طريقة التهييج لزيادة
الثبات أو لكل سامع فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم أي من البينات
الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالرأي والعزم ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم
أي يدع كل منا ومنكم نفسه وأعزة أهله وألصقهم بقلبه إلى المباهلة ويحمل عليها وإنما قدمهم على النفس لأن
الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل أي نتباهل بأن نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح
اللعنة وأصله الترك من قولهم بهلت الناقة إذا تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان
روي أنهم لما دعوا إلى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قال العاقب وكان ذا رأيهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم
نبوته ولقد جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا إلا هلكوا فإن أبيتم إلا إلف دينكم فوادعوا
الرجل وانصرفوا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي
خلفه وعلي خلفها وهو يقول إذا أنا دعوت فأمنوا فقال أسقفهم يا معشر النصارى إني لأرى وجوها لو سألوا
الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا فأذعنوا لرسول الله وبذلوا له الجزية ألفي حلة حمراء وثلاثين
درعا من حديد فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم
الوادي نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من أتى بهم من أهل بيته
إن هذا ما قص من نبأ عيسى ومريم لهو القصص الحق بجملتها خبر إن وهو فصل يفيد أن ما ذكره في شأن
عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخلت فيه لأنه أقرب إلى المبتدأ من خبره وأصلها أن
تدخل المبتدأ وما من إله إلا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تأكيدا للرد على النصارى في تثليثهم وإن
الله لهو العزيز الحكيم لا أحد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الألوهية فإن تولوا
فإن الله عليم بالمفسدين وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على أن التولي عن الحجج والإعراض
عن التوحيد إفساد للدين والاعتقاد المؤدي إلى فساد النفس بل وإلى فساد العالم قل يا أهل الكتاب يعم
أهل الكتابين وقيل يريد به وفد نجران أو يهود المدينة تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل

والكتب

والكتب وتفسيرها ما بعدها ألا نعبد إلا الله أن نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل
غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه أهلا لأن يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله
ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الأحبار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل لأن كلا منهم بعضنا
بشر مثلنا روي أنه لما نزلت اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم
يا رسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قالوا نعم قال هو ذاك فإن تولوا عن
التوحيد فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون أي لزمتكم الحجة فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم أو اعترفوا بأنكم
كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر إلى ما راعى في هذه القصة من المبالغة
في الإرشاد وحسن التدرج في الحجاج بين أولا أحوال عيسى وما تعاور عليه من الأطوار المنافية للألوهية ثم
ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما رأى عنادهم ولجاجهم دعاهم إلى المباهلة بنوع من الإعجاز ثم
لما أعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالإرشاد وسلك طريقا أسهل وألزم بأن دعاهم
إلى ما وافق عليه عيسى والإنجيل وسائر الأنبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك أيضا عليهم وعلم أن الآيات والنذر
لا تغني عنهم أعرض عن ذلك وقال اشهدوا بأنا مسلمون يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت
التوراة والإنجيل إلا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في إبراهيم وزعم كل فريق أنه منهم وترافعوا
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى أن اليهودية والنصرانية حدثتا بنزول التوراة والإنجيل
على موسى وعيسى عليهما السلام وكان إبراهيم قبل موسى بألف سنة وعيسى بألفين فكيف يكون عليهما
أفلا تعقلون فتدعون المحال ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم
ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة أخرى
مبينة للأولى أي أنتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم أنكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التوراة
والإنجيل عنادا أو تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر له في كتابكم من دين
إبراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها أنتم أصله أأنتم على الاستفهام للتعجب
من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقرأ نافع وأبو عمرو ها انتم حيث وقع بالمد من غير همز وورش
أقل مدا وقنبل بالهمز من غير ألف بعد الهاء والباقون بالمد والهمز والبزي يقصر المد على أصله والله يعلم
ما حاججتم فيه وأنتم لا تعلمون وأنتم جاهلون به ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح
بمقتضى ما قرره من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما منقادا لله وليس
المراد أنه كان على ملة الإسلام وإلا لاشترك الإلزام وما كان من المشركين تعريض بأنهم
مشركون لإشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين أنهم على ملة إبراهيم إن أولى الناس
بإبراهيم إن أخصهم به وأقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه من أمته وهذا النبي
والذين آمنوا لموافقتهم له في أكثر ما شرع لهم على الأصالة وقرئ والنبي بالنصب عطفا على
الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على إبراهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لإيمانهم

وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى
ان وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او ما يضلون
الا امثالهم وَمَا يَشْعُرُونَ وزره واختصاص ضرره بهم يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ بالتحريف وابراز الباطل في
صورته او بالتقصير في المييز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اى تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه الصلاة
والسلام كلابس ثوبي زور وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ عالمين بما تكتمونه
وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ اى اظهروا الايمان بالقرآن اول النهار
وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ واكفروا به آخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد
بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى
الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل
اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولون آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا
فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التورية لعل اصحابه يشكون فيه وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ولا تقروا
عن تصديق قلب الا لاهل دينكم ولا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم
قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ يهدي من يشاء الى الايمان ويثبته عليه أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ متعلق بمحذوف
اى دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اى ولا تظهروا ايمانكم بان
يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى
الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل او خبر ان على ان هدى
الله بدل من الهدى وقرأ ابن كثير أان يؤتى على الاستفهام للتقريع وهو يؤيد الوجه الاول اى الان يؤتى احد دبرتم
وقرئ ان على انها نافية فيكون من كلام الطائفة اى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل
ما اوتيتم أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم
عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ رد وابطال
لما زعموه بالحجة الواضحة وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ كعبد الله بن سلام استودعه
قرشي الفا ومائتي اوقية ذهب فاداه اليه وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ كفنحاص بن عازوراء
استودعه قرشي آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون
في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة وقرأ حمزة وابو بكر وابو عمرو يؤده اليك ولا يؤده اليك باسكان
الهاء وقالون باختلاس كسرة الهاء وكذا روي عن هشام والباقون باشباع الكسرة إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا
الا مدة دوامك قائما على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة ذَلِكَ اشارة الى ترك
الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده بِأَنَّهُمْ قَالُوا بسبب قولهم لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ اى ليس علينا
في شأن من ليسوا من اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ بادعائهم

ذلك وَهُمْ يَعْلَمُونَ انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية
حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا
انه كذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية
الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر بَلَى اثبات لما نفوه اى بلى عليهم فيهم سبيل مَنْ
أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ استيناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن
او لله وعموم المتقين ناب عن الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره
من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ يستبدلون بِعَهْدِ اللَّهِ بما عاهدوا عليه من الايمان
بالرسول والوفاء بالامانات وَأَيْمَانِهِمْ وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثَمَنًا قَلِيلًا متاع الدنيا
أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ بما يسرهم او بشيء اصلا وان الملائكة يسئلونهم يوم القيمة او لا
ينتفعون بكلمات الله واياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فان
من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله
ويكثر النظر اليه وَلَا يُزَكِّيهِمْ ولا يثني عليهم وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ على ما فعلوه قيل انها نزلت في احبار حرفوا التورية
وبدلوا نعت محمد عليه الصلاة والسلام وحكم الامانات وغيرها واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل
اقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل في ترافع كان بين الاشعث بن قيس ويهودي
في بئر او ارض وتوجه الحلف على اليهودي وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ
بِالْكِتَابِ يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون بقلب الواو
المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ
الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ
اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تأكيد لقوله ما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا
لا تعريضا اى ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضي ان لا يكون فعل العبد فعل الله وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ
وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا
رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير
الله وان نامر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم
عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا
نبيكم واعرفوا الحق لاهله وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب الى الرب بزيادة
الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ
بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق
والخير للاعتقاد والعمل وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من

التدريس وبما تدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان تكون القراة المشهورة ايضا بهذا المعنى
على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم
ويعقوب عطفا على ثم يقول وتكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس
بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ
اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف ويحتمل الحال وقرأ ابو عمرو على اصله برواية
الدوري باختلاس الضمة ايأمركم بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان
الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم
جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم
به اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق
الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين
على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل
الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن
ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض
الكتاب ثم مجيء رسول مصدق له اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي آتيتكموه
وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى
الميمات الثلاث استثقالا وقرأ نافع آتيناكم بالنون والالف جمعا قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي
عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به
قالوا اقررنا قال فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم
من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم فمن تولى بعد ذلك
بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفاسقون المتمردون من الكفرة افغير دين الله يبغون
عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او محذوف تقديره اتتولون فغير دين الله تبغون
وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب
وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها اي طائعين بالنظر
واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت
او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضى عليهم
واليه ترجعون وقرئ بالياء على ان الضمير لمن قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم امر للرسول صلى الله عليه
وسلم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه
اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له

والنزول

والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهي الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه عليه الصلاة
والسلام على المنزل على سائر الرسل لانه المعرف له والعيار عليه لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب
ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام دينا اي غير التوحيد والانقياد
لحكم الله فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين اي الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام
والطالب لغيره فاقد للنفع وواقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل
به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل
ما يغايره ولعل الدين ايضا للاعمال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق
وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال
بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا تقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم
من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار
باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر
ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة
الله والملائكة والناس اجمعين يدل منطوقه على جواز لعنهم ومفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل
الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى مايوسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد
بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه
خالدين فيها في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا ويجوز
ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله غفور يقبل توبته رحيم يتفضل عليه
قيل انها نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل
اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود
كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن او كفروا بمحمد
بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض
الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه
باظهاره لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم
بعدم قبولها تغليظا في شأنهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة او لان توبتهم لا تكون
الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء فيه واولئك هم الضالون الثابتون
على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لما كان الموت
على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية ادخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملؤه وذهبا
نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى كأنه

قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من
احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الاخرة او المراد ولو افتدى بمثله
كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد
اولئك لهم عذاب اليم مبالغة في التحذير والاقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما
وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي
هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضا والجنة حتى تنفقوا مما تحبون اي من المال او مما
يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله والمهجة في سبيله روي انها لما نزلت جاء
ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحا فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح
او رائح واني ارى ان تجعلها في الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فقال زيد انما اردت ان اتصدق بها فقال عليه الصلاة
والسلام ان الله تعالى قد قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان
الاية تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين
وما تنفقوا من شيء اي من اي شيء محبوب او غيره ومن لبيان ما فان الله به عليم فمجازيكم بحسبه كل الطعام
اي المطعومات والمراد اكلها كان حلا لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك لا يستوي
فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب على نفسه كلحوم
الابل والبانها قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفي لم ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل
ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله فهو كتحريمه
ابتداء من قبل ان تنزل التورية اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة
وتشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة عما نعى عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الايات بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على
نوح وابرهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن
في دعوى الرسول عليه الصلاة والسلام موافقة ابرهيم بتحليله لحوم الابل والبانها قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان
كنتم صادقين امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن
محرما روي انه عليه الصلاة والسلام لما قاله لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه دليل على
نبوته فمن افترى على الله الكذب ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية على
بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد ما لزمتهم الحجة فاولئك هم الظالمون الذين لا ينصفون
من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح قل صدق الله تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما
انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابرهيم
او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية

والزمكم

والزمكم تحريم طيبات احلها الله لابرهيم ومن تبعه وما كان من المشركين فيه اشارة الى ان اتباعه واجب
في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود ان
اول بيت وضع للناس اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ على
البناء للفاعل للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب
ولازم وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة
روي انه عليه الصلاة والسلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل
كم بينهما قال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابرهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم
قريش وقيل هو اول بيت بناه ادم فانطمس في الطوفان ثم بناه ابرهيم وقيل كان في موضعه قبل
ادم بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما اهبط امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان
الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الاية وقيل المراد انه اول بيت بالشرف
لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن
في الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه ايات عجيبة كما قال فيه ايات بينات
كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض
لها وان كل جبار قصده بسوء قهره الله كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابرهيم
مبتدا محذوف خبره اي منها مقام ابرهيم او بدل من ايات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان
على ان المراد بالايات اثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة
بينة على التوصيل وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع
الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان امنا جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث
المعنى على مقام لانه في معنى امن من دخله اي ومنها امن من دخله او فيه ايات بينات مقام ابرهيم
وامن من دخله اقتصر بذكرهما من الايات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه الصلاة والسلام حبب
الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين
بقاء الاثر مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيمة قال عليه الصلاة والسلام من مات في احد الحرمين
بعث يوم القيمة امنا وعند ابي حنيفة رضي الله عنه من لزمه القتل بردة او قصاص وغيرهما والتجا الى الحرم
لم يتعرض له ولكن الجي الى الخروج ولله على الناس حج البيت قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرا
حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد من استطاع اليه سبيلا بدل
من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد
قول الشافعي رضي الله عنه انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه
وقال مالك رضي الله عنه انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة
رضي الله عنه انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيله ومن كفر فان

الله غني عن العالمين وضع كفر موضع لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال عليه الصلاة
والسلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الاية من وجوه الدلالة
على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه في صورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله تعالى في رقاب
الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا
من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغنا فانه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن
العالمين بدل عنه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغنا عنه بالبرهان والاشعار بعظم
السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات
والاقبال على الله روي انه لما نزل صدر الاية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال
ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر قل يا اهل
الكتاب لم تكفرون بايات الله اي باياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد صلى الله عليه
وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم
وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون والحال انه
شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار قل يا اهل الكتاب لم تصدون
عن سبيل الله من امن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان
كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المامور
بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج
فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه
تبغونها عوجا حال من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان
فيها عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله ونحوهما او بان تحرشوا بين المؤمنين لتختلف
كلمتهم ويختل امر دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول
عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم
ولما كان المنكر في الاية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد ولما كان في هذه
الاية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون
يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر
من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تالفهم واجتماعهم
فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان
الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح
واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقال
اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية

والف

والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق
بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله بنفسه بعد ما
امر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم الاحقاء بان يخاطبهم
الله ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله انكار وتعجيب لكفرهم
في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك
بدينه او يلتجي اليه في مجامع اموره فقد هدي الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالمواجب والا
جتناب من المحارم كقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو ان يطاع
فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان تنزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة
عليها وفي هذا الامر تاكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء
كما في تؤدة وتخمة والياء الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام
اذا ادرككم الموت فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد
اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدين الاسلام او بكتابه
لقوله عليه الصلاة والسلام القران حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب النجاة
من الردى كما ان التمسك بالحبل سبب السلامة من التردي وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام
ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم
كاهل الكتاب او لا تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق
ويزيل الالفة واذكروا نعمت الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي الى
التالف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم
بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع
بين اولادهما العداوة وتطاولت الحرب مائة وعشرين سنة حتى اطفاها الله بالاسلام والف بينهم
برسوله صلى الله عليه وسلم وكنتم على شفا حفرة من النار مشفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم
اذ لو ادرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم في النار فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار
او للشفا وتانيثه لتانيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة فان شفا البير وشفتها طرفها كالجانب
والجانبة واصله شفو فقلبت الواو الفا في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك مثل ذلك التبيين
يبين الله لكم اياته دلائله لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة
يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الامة
كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب

فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه راسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم
وهكذا كل ما هو فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة يدعون كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس
تامرون والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي وعطف الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح
روي انه عليه الصلاة والسلام سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم
لله واوصلهم اي للرحم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر
واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب
عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا
كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات
الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص بالتفرق في الاصول
دون الفروع لقوله عليه الصلاة والسلام اختلاف امتي رحمة ولقوله عليه السلام من اجتهد فاصاب
فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على
التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر
وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل
الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد
ذلك فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم
اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا حين اشهدهم
على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلائل والآيات فذوقوا العذاب امر اهانة بما
كنتم تكفرون بسبب كفركم او جزاء لكفركم واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله يعني
الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله
لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم لكن قصد ان يكون مطلع
الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون اخرجه مخرج الاستيناف للتأكيد
كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده
نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل
الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمتنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على
الاطلاق كما قال ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما وعد له
واوعد كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله وكان الله غفورا
رحيما وقيل كنتم في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت للناس اظهرت لهم

تامرون

تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بين به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم وتؤمنون
بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان
بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا واظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي
كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم
على خلاف ذلك ولو آمن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما
هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر
وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد
وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم
عليكم او يدفع باسكم عنهم نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال
كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه تكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان
ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التي وافقها الواقع اذ كان
ذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل او ذل
التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم عام الاحوال
اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او متلبسين بذمة الله او كتابه الذي آتاهم وذمة
المسلمين او بدين الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباؤا بغضب من الله رجعوا مستوجبين له وضربت
عليهم المسكنة فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله واليهود في غالب فقراء ومساكين
ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون
الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء والتقييد بغير حق مع انه كذلك في نفس
الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم ايضا ذلك اي الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون
بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي
الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم
وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء
في المساوي والضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة قائمة استيناف لبيان نفي الاستواء والقائمة
المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون آيات الله آناء الليل وهم
يسجدون يتلون القرآن في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ
في المدح وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي انه عليه السلام اخرها ثم خرج
فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم
يؤمنون بالله واليوم الآخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات اخر

لامة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون
في صفاته واصفون اليوم الاخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون في الخيرات واولئك من
الصالحين اي الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه وما تفعلوا من خير
فلن تكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرا وتعديته الى
مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرا حفص وحمزة والكسائي بالياء والباقون بالتاء والله عليم بالمتقين
بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدا الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى ان الذين
كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا واولئك
اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة
او المنافقون رياء او خوفا في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر للمبالغة كقولك برد بارد
اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكته عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط
اشد والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستاصلته ولم يبق لهم فيه
منفعة ما في الدنيا والاخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون
الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون اي ما ظلم المنفقين
بضياع نفقاتهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان
يقدر ضمير الشان لانه لا يحذف الا في الشعر كقوله

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه ::: ولكن من يبصر جفونك يعشق

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذي يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة
الثوب كما شبه بالشعار قال عليه الصلاة والسلام الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون
المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة بطانة اي بطانة كائنة من دونكم لا يالونكم خبالا
لا يقصرون لكم في الفساد والالو التقصير واصله ان يعدى بالحرف ثم عدي الى مفعولين كقولهم
لا الوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة
وما مصدرية قد بدت البغضاء من افواههم اي في كلامهم لانهم لا يتمالكون لفرط بغضهم
وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الايات الدالة على
وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين لكم والجمل الاربع
جاءت مستانفات على التعليل ويجوز ان تكون الثلاث الاول صفات لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم
ولا يحبونكم اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في
موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلته او حال والعامل
فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينصب اولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب
كله بجنس الكتب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم

ايضا

ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم
واذا لقوكم قالوا امنا نفاقا وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تاسفا
وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف
قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدورهم من البغضاء
والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض
الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم
بالاخفى من ضمائرهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم
الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة
وان تصبروا على عداوتهم او مشاق التكاليف وتتقوا موالاتهم او ما حرم الله عليكم لا يضركم كيدهم شيئا
بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل
الانفعال جريا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا
يضركم من ضاره يضيره ان الله بما يعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط اي محيط علمه فيجازيكم
بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما يعملون في عداوتكم عليم فيعاقبهم عليه واذ غدوت اي واذكر اذ غدوت
من اهلك من حجرة عائشة رضي الله عنها تبوئ المؤمنين تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام
مقاعد للقتال مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله تعالى
في مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم روي ان المشركين
نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصحابه وقد دعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة
ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف
وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء و
الصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه الصلاة والسلام رايت
في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني
ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال
رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل ولبس
لامته فلما راوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي
ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح بشعب احد يوم السبت ونزل في
عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال
انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا اذ همت متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت
طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر ان تفشلا ان

تجبنا وتضعفا روي انه عليه الصلاة والسلام خرج في زهاء الف رجل ووعدهم النصر ان صبروا فلما بلغوا
الشوط انخزل ابن ابي في ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري وقال
انشدكم الله والاسلام في نبيكم وانفسكم فقال ابن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه
فعصمهم الله فمضوا مع رسوله عليه الصلاة والسلام والظاهر انها ماكانت عزيمة لقوله والله وليهما
اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما تفشلان وعلى الله فليتوكل
المؤمنون اي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر
تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به وانتم اذلة
حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح
فاتقوا الله في الثبات لعلكم تشكرون بتقواكم ما انعم به عليكم من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون
فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت
على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا
امر الرسول عليه السلام لم تنزل الملائكة الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة منزلين انكار
ان لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بانهم كانوا كالايسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو
وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر اولا بالف من الملائكة ثم صاروا ثلثة الاف ثم صاروا خمسة وقرأ ابن عامر
منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر
والتقوى حثا عليهم وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم اي المشركون من فورهم
هذا من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق
للحال التي لاريث فيها ولا تراخي والمعنى ان يأتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة في حال
اتيانهم بلا تراخ ولا تأخير مسومين معلمين من التسويم الذي هو اظهار سيماء الشيء لقوله عليه الصلاة
والسلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرأ ابن
كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما جعل امدادكم بالملائكة الا بشرى لكم
الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله لا من العدة
والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعد لهم به بشارة لهم وربطا
على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحثا على ان لايبالوا بمن تأخر عنهم العزيز
الذي لا يغالب في اقضيته الحكيم الذي ينصر ويخذل بوسط وبغيره على مقتضى الحكمة والمصلحة
ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص
منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم
او يكبتهم او يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب واو للتنويع دون الترديد فينقلبوا
خائبين فينقطع الامال ليس لك من الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على

قوله

قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم
ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد مامور بانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا
على الامر او شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم
شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون او بمعنى الا ان اي ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله
عليهم فتسر به او يعذبهم فتشتفي منهم روي ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل
يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم
فنهاه الله لعلمه ان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا العذاب بظلمهم ولله ما في السموات وما في
الارض خلقا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد
بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم يا ايها الذين امنوا
لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل
منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرأ ابن
كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا
النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة
للكفار وبالعرض للعصاة واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعد بالوعيد ترهيبا عن
المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له وسارعوا
بادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرأ نافع وابن
عامر سارعوا بلا واو وجنة عرضها السموات والارض اي عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها
بالسعة على طريق التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس رضي الله عنهما كسبع سموات وسبع ارضين
لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا
العالم الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في السراء والضراء في حالتي
الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما بالانفاق
ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من
كظمت القربة اذا ملأتها وشددت رأسها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر
على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي
مضت والله يحب المحسنين يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فتكون الاشارة اليهم والذين
اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اي ذنب كان وقيل
الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك
ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة ومن يغفر

الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وَهُمْ يَعْلَمُونَ حال من يصروا اي لم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها ان عطفته على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الاية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصل ايتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصص بمكارمه وفصل اية هؤلاء بقوله وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ وقائع سنها الله في الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال

ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا راوا مثله في سالف السنن

فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ لتعتبروا بما ترون من اثار هلاكهم هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى ما لخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القران وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وحالكم انكم اعلى منهم شانا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ قرا حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله

فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر

والمداولة كالمعاورة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام يحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريق البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض فيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بل احسبتم ومعناه الانكار وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ولما تجاهدوا وفيه دليل على ان الجهاد فرض كفاية والفرق بين لم ولما ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذف النون وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ اي الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ اي فقد رايتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روي انه لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفا الناس وجعل الرسول يدعو الي عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك رضي الله عنهما يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون وابرا منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا بارتداده بل يضر نفسه وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ على نعمة الاسلام

بالثبات عليه كانس واضرابه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله بمشيئته تعالى وباذنه لملك الموت في قبض روحه
والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه لا يستاخرون عنه ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن
القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول بالحفظ وتاخير الاجل كتابا مصدر موكد
اذ المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا صفة له اي موقتا لا يتقدم ولا يتاخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض
بمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما راى الرماة ذلك
اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم ومن يرد ثواب الآخرة نؤته
منها اي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وكأين اصله
اي دخلت الكاف عليه وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاع
ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار كيأن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف
ثم ابدلت الاخرى الفا كما ابدلت من طائي من نبي بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء اتقياء
او عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب
قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح
على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسروا
جدهم لما اصابهم من قتل النبي او بعضهم وما ضعفوا عن العدو او في الدين وما استكانوا وما خضعوا
للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة
او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند
الارجاف بقتله عليه الصلاة والسلام والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا
ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين اي وما
كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف
الى انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالهم والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب
والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان ان قالوا اعرف
لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين
فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجأ الى الله النصر والغنيمة بفضله وانه المعتد به عنده تعالى يا ايها
الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين
للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم ودينكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابي سفيان
واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى
موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فاستغنوا
به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد
حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت

فقال

فقال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم
ليستأصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في كل القرآن
بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم بالله ما لم ينزل به سلطانا اي آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم
به سلطان وهو كقوله ⁖ ولا ترى الضب بها ينجحر ⁖
واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس مثوى
الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اي وعده
اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة
يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم
من حسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف
القلب وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا هاهنا وقال
آخرون لا نخالف امر الرسول فثبت اميرهم مكانه في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني
بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو
امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة
على امر الرسول صلى الله عليه وسلم ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم
على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة
والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء
ايضا رحمة اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في
الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لا يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول
يدعوكم كان يقول الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى
فاثابكم غما بغم عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله على فشلكم وعصيانكم غما بسبب غم اذقتموه
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم لتتمرنوا على الصبر
في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت ولا ضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم
من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول صلى
الله عليه وسلم اي فآساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على
عصيانكم تسلية لكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون
عليم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى
اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه
والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له
او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون كانها المرة من الامن

يغشى طائفة منكم اي النعاس وقرا حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة هم
المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهموم او ما بهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها
يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة اخرى لطائفة او حال او استيناف على وجه البيان لما قبله وغير
الحق نصب على المصدر اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص
بالملة الجاهلية واهلها يقولون اي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شيء
هل لنا مما امر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى
انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شيء او هل يزول عنا هذا القهر
فيكون لنا من الامر شيء قل ان الامر كله لله اي الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون
او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرا ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء
يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون
طالبون النصر مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اي في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من
يخفون او استيناف على وجه البيان له لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد صلى الله عليه وسلم وزعم
ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير ولم نبرح كما كان راي ابن ابي وغيره ما قتلنا ههنا
لما غلبنا او لما قتل منا من قتل في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم
اي لخرج الذين قدر عليهم القتل وكتبه في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم تنفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه
قدر الامور ودبرها في سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم وليمتحن ما في صدوركم
ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي او عطف على محذوف اي لبرز لنفاذ
القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء او على لكيلا تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس
والله عليم بذات الصدور بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء وانما فعل
ذلك لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان
ببعض ما كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل
فاطاعوه واقترفوا ذنوبا لمخالفة النبي صلى الله عليه وسلم بترك المركز والحرص على الغنيمة والحياة فمنعوا التاييد
وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها
بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر الذنوب سلفت منهم فكرهوا القتال قبل اخلاص التوبة والخروج من
المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة
المذنب كي يتوب يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم
وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم في النسب او المذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة
او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى
لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل

الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا
تكونوا اي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة فذلك اشارة
الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفا كونكم مثلهم
حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي هو
المؤثر في الحيوة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد
والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه
وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم في سبيله وقرا نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم
من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر
والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة
بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وقرا حفص بالياء ولئن متم او قتلتم اي على
اي وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لالى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه
لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرا نافع وحمزة والكسائي متم بالكسر
فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة وما مزيدة للتاكيد والتنبيه والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة
من الله وهو ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا سيء
الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم
فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح
ان يشاور فيه استظهارا برايهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا
وطنت نفسك على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه
وقرئ فاذا عزمت على التكلم اي فاذا عزمت لك على شيء وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا ان الله
يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد
يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من بعد
الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله
وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر
سواه وامنوا به وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل
شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية والمراد منه اما براءة الرسول صلى الله عليه وسلم
عما اتهم به اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها او ظن به
الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم
الغنائم واما المبالغة في النهي للرسول صلى الله عليه وسلم على ما روي انه بعث طلائع فغنم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فتكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا

تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح
له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة يأت بالذي غله على عنقه كما جاء في
الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله
ان يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب
مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب
عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله بسبب المعاصي ومأواه جهنم
وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات
عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب او هم ذوو درجات والله
بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين
انعم على من امن مع الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاع
هم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر مبتدأ محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
من نسبهم او جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة
مفتخرين به وقرئ من انفسهم اي من اشرفهم لانه صلى الله عليه وسلم كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم
يتلو عليهم اياته اي القران بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع وسوء
العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القران والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان هي المخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة والمعنى وان الشان كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر اولما اصابتكم
مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة
احد او على محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف الى اصابتكم اي اقلتم حين اصابتكم مصيبة وهي
قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم ضعفيها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا
وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم اي مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان
الوعد كان مشروطا بالثبات والطاعة او اختيار الخروج من المدينة وعن علي كرم الله وجهه باختياركم
الفداء يوم بدر ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم
وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله فهو كائن بقضائه
او تخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون
والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة او كلام مبتدأ
تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للاخرة او للدفع
عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما
يروع العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه
لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا

واستهزا

واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم
مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين
وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم السنتهم
بالايمان واضافة القول الى الافواه تاكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم
الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدلا من واو يكتمون
او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله

على حالة لو ان في القوم حاتما ... على جوده لضن بالماء حاتم

لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا حال مقدرة بقد اي
قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا في القعود بالمدينة ما قتلوا كما لم نقتل وقرأ هشام ما قتلوا بتشديد
التاء قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين اي ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل
عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب
الموت كثيرة كما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لكل احد وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير رسول الله صلى الله عليه وسلم او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول
الاول محذوف لانه في الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين
بل احياء اي بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة
وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين بما اتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب
من الله والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم المؤمنين
الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم
يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الاخرة وحال من تركوا من خلفهم
من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حياة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب
والاية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف
عليه ادراكه وتالمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في ال فرعون النار يعرضون عليها الاية وما روى
عن ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها
وتاوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيمة
وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة
وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون
كرره للتاكيد وليتعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال
انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما

للتعظيم وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائي بالكسر على أنه استئناف
معترض دال على أن ذلك أجر لهم على إيمانهم مشعر بأن من لا إيمان له أعماله محبطة وأجوره مضيعة
الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح صفة للمؤمنين أو نصب على المدح أو مبتدأ خبره للذين
أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد
لأن المستجيبين كلهم محسنون متقون روي أن أبا سفيان وأصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا
بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب أصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا
إلا من حضر يومنا بالأمس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الأسد وهي على ثمانية أميال
من المدينة وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر وألقى الله الرعب في قلوب
المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلوهم من عبد القيس أو نعيم
بن مسعود الأشجعي وأطلق عليه الناس لأنه من جنسهم كما يقال فلان يركب الخيل وما له إلا فرس واحد
أو لأنه انضم إليه ناس من المدينة وأذاعوا كلامه إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني أبا سفيان
وأصحابه روي أنه نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل إن شئت فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن شاء الله فلما كان القابل خرج في أهل مكة حتى نزل مر الظهران فأنزل الله
الرعب في قلبه وبدا له أن يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير
من زبيب إن ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا
من الإبل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم أتوكم في دياركم فلم يفلت منكم أحد إلا شريد
أفترون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم
يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله فزادهم إيمانا الضمير المستكن للمقول
أو لمصدر قال أو لفاعله إن أريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى أنهم لم يلتفتوا إليه
ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد إيمانهم وأظهروا حمية الإسلام وأخلصوا النية عنده
وهو دليل على أن الإيمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله
الإيمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا
ظاهر إن جعل الطاعة من جملة الإيمان وكذا إن لم يجعل فإن اليقين يزداد بالإلف وكثرة التأمل
وتناصر الحجج وقالوا حسبنا الله محسبنا وكافينا من أحسبه إذا كفاه ويدل على أنه بمعنى المحسب
أنه لا يستفيد بالإضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل ونعم الموكول إليه هو
فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله عافية وثبات على الإيمان وزيادة فيه وفضل وربح في التجارة
فإنهم لما أتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد
عدو واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجراءتهم وخروجهم والله ذو
فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الإيمان والتوفيق للمبادرة إلى الجهاد والتصلب في

الدين

الدين وإظهار الجراءة على العدو وبالحفظ عن كل ما يسوؤهم وإصابة النفع مع ضمان الأجر حتى انقلبوا بنعمة
منه وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة لرأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به إنما ذلكم الشيطان يريد به
المثبط نعيما أو أبا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته يخوف أولياءه
القاعدين عن الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم أو يخوفكم أولياءه الذين هم أبو سفيان وأصحابه فلا تخافوهم
الضمير للناس الثاني على الأول وإلى الأولياء على الثاني وخافون في مخالفة أمري فجاهدوا مع رسولي إن
كنتم مؤمنين فإن الإيمان يقتضي إيثار خوف الله على خوف الناس ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر
يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين أو قوم ارتدوا عن الإسلام والمعنى لا يحزنك
خوف أن يضروك ويعينوا عليك لقوله إنهم لن يضروا الله شيئا أي لن يضروا أولياء الله بمسارعتهم في
الكفر وإنما يضرون بها أنفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر وقرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاي حيث
وقع ما خلا قوله في الأنبياء لا يحزنهم الفزع الأكبر فإنه فتح الياء وضم الزاي فيه والباقون كذلك في الكل
يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة نصيبا من الثواب في الآخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم
على الكفر وفي ذكر الإرادة إشعار بأن كفرهم بلغ الغاية حتى أراد أرحم الراحمين أن لا يكون لهم حظ من رحمته
وأن مسارعتهم في الكفر لأنه تعالى لم يرد أن يكون لهم حظ في الآخرة ولهم في الآخرة عذاب أليم
تكرير للتأكيد وتعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين أو ارتد من الأعراب ولا تحسبن الذين
كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل من يحسب والذين مفعول
وأنما نملي لهم بدل منه وإنما اقتصر على مفعول واحد لأن التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين
كقوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون والمفعول الثاني على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن حال الذين
كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم أو ما مصدرية وكان حقها أن تفصل في الخط ولكنها وقعت
متصلة في الإمام فاتبع وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على أن الذين فاعل وأن
مع ما في حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر وعاصم وحمزة والإملاء الإمهال وإطالة
العمر وقيل تخليتهم وشأنهم من أملى لفرسه إذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء إنما نملي لهم ليزدادوا إثما
استئناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الإرادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ إنما بالفتح
وبكسر الأولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا أن إملاءنا لهم لازدياد الإثم بل للتوبة والدخول
في الإيمان وإنما نملي لهم خير اعتراض معناه أن إملاءنا لهم خير إن انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم
عذاب مهين على هذا يجوز أن يكون حالا من الواو أي ليزدادوا إثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله
ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين
في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي
إلى نبيه بأحوالكم أو بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها إلا الخلص المخلصون منكم كبذل
الأموال والأنفس في سبيل الله ليختبر النبي به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم وقرأ حمزة والكسائي

حتى يميز هنا وفي الانفال بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء مشددا والباقون بفتح الياء وكسر الميم وسكون
الياء وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي احدكم
علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض
المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فآمنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا
على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحي اليهم روي ان
الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي انه عليه الصلاة
والسلام قال عرضت علي امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من
يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر
عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراءات
فيه بما سبق ومن قرأ بالتاء قدر مضافا ليطابق مفعولاه اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا
لهم وكذا من قرأ بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم او من يحسب وان جعله الموصول
كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو اي البخل
شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لذلك والمعنى سيلزمون
وبال ما بخلوا به وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى
لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء
بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اي فائزين بالنجاة منه وقرأ ابن
كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا يحسبن محذوف يدل
عليهما مفعولا مؤكده وكانه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة والمفعول
الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تاكيد الفعل وفاعله ومفعوله الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم
وتدليسهم روي انه عليه الصلاة والسلام سال اليهود عن شيء مما في التورية فاخبروه بخلاف ما كان
فيه واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا
بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون
الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم
والله على كل شيء قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدانيته
وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة
البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة في هذه الآية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة
لجملة انواعه فانه اما ان يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل
صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأها

ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يذكرونه دائما على الحالات كلها
قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه الصلاة والسلام من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر
الله وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلاث حسب طاقتهم لقوله عليه الصلاة والسلام لعمران بن حصين
صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فهو حجة الشافعي رضي الله عنه
في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون في خلق السموات
والارض استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه الصلاة والسلام لا عبادة كالتفكر لانه
المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه الصلاة والسلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع
راسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له
وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي
يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات
والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكم
عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه
على طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك سبحانك تنزيها لك من العبث
وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء
هي الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك من تدخل
النار فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل
المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني افظع
وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم تسبب
لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان
النصر دفع بقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع
لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم
تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما يعدى
بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص ان آمنوا بربكم فآمنا اي بان آمنوا فامتثلنا ربنا فاغفر
لنا ذنوبنا كبائرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن
مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم محبون
لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا
على رسلك اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما امر به سال ما وعد عليه
لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة او قصور في الامتثال او تعبدا
واستكانة ويجوز ان يتعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه

على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة المؤمن
واجابة الداعى وعن ابن عباس الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة فى الابتهال والدلالة على
استقلال المطالب وعلو شانها وفى الاثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف
فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام انى لا اضيع عمل عامل
منكم اى بانى لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان
الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد او للاجتماع والاتفاق
فى الدين وهى جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روى ان ام سلمة قالت
يا رسول الله انى اسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا الى اخره
تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك
او الاوطان والعشائر للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا فى سبيلى بسبب ايمانهم بالله ومن اجله
وقاتلوا الكفار وقتلوا فى الجهاد وقرا حمزة والكسائى بالعكس لان الواو لا توجب ترتيبا والثانى
افضل او لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير
لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونها ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ∴ ثوابا من عند
الله اى اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد والله عنده حسن الثواب
على الطاعات قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد
امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله فلا تطع المكذبين او لكل احد والنهى فى المعنى للمخاطب وانما جعل
للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا
تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم فى مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روى ان بعض المؤمنين كانوا يرون
المشركين فى رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت
متاع قليل خبر مبتدا محذوف اى ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته وفى جنب ما اعد الله للمؤمنين
قال عليه الصلاة والسلام ما الدنيا فى الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع ثم ماواهم
جهنم وبئس المهاد اى ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها
الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال
ابو الشعر الضبى ∴ وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا … جعلنا القنا والمرهفات له نزلا ∴
وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير انزلوها نزلا
وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وان من
اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت فى ابن سلام واصحابه وقيل فى اربعين من نجران واثنين وثلاثين من
الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل فى اصحمة النجاشى لما نعاه جبريل الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فخرج وصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى لم يره قط

وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من القران وما انزل
اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بايات الله
ثمنا قليلا كما يفعل المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خص بهم من الاجر
ووعدوه فى قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب لعلمه بالاعمال وما
تستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التامل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان
سرعة الحساب تستدعى سرعة الجزاء يا ايها الذين امنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما ∴
يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا اعداء الله فى الصبر على شدائد الحرب واعدى عدوكم فى الصبر
على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم وخيولكم فى الثغور
مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال عليه الصلاة والسلام من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة
وعنه عليه الصلاة والسلام من رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر
ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون فاتقوه بالتبرى عما سواه لكى تفلحوا
غاية الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاث المرتبة التى هى الصبر على مضض
الطاعات ومصابرة النفس فى رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها
بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ال عمران اعطى بكل اية منها امانا على جسر
جهنم وعنه عليه الصلاة والسلام من قرا السورة التى يذكر فيها ال عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس

سورة النساء مدنية وآيها مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس خطاب يعم بنى ادم اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة هى ادم
وخلق منها زوجها عطف على خلقكم اى خلقكم من شخص واحد وخلق منه امكم حواء من ضلع من اضلاعه
او محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث
منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها
بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضى ان يكون اكثر
وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة
التى من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التى توجب طاعة موليها او لان المراد به تمهيد للامر بالتقوى
فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبنى جنسه على ما دلت عليه الايات التى بعدها وقرئ وخالق وباث على
حذف مبتدا تقديره وهو خالق وباث واتقوا الله الذى تساءلون به اى يسال بعضكم بعضا
فيقول اسالك بالله واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية فى السين وقرا عاصم وحمزة والكسائى
بطرحها والارحام بالنصب عطفا على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وعلى الله اى اتقوا

الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه
كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اى مما يتقى او يتساءل به
وقد نبه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه الكريم على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه الصلاة والسلام الرحم معلقة
بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا وآتوا
اليتامى اموالهم اى اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة
اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب او على انه جمع على يتمى كاسرى
لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى واسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار
والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ وروده في الآية اما للبلغ على الاصل او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر
حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك
امر بابتلائهم صغارا او لغير البلغ والحكم مقيد فكأنه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول ما روي ان رجلا
من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال
اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم
بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا تأخذوا الرفيع
من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تأكلوها
مضمومة الى اموالكم اى لا تنفقوها معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذا حرام وهو فيما زاد على قدر اجره
لقوله تعالى فليأكل بالمعروف انه الضمير للاكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب
حوبا وحابا كقال قولا وقالا وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء اى ان
خفتم ان لا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن اذ كان الرجل
يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن
او ان خفتم ان لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء فانكحوا
مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج من الذنوب كلها على ما روي انه تعالى
لما عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا في امر
اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة او اجراء لهن مجرى غير
العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره او ما ملكت ايمانكم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اى
ان خفتم ان تجوروا مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة هي ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا
واربعا اربعا غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير
العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل
ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة
درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع

ولو ذكرت

ولو ذكرت بأو لذهب تجويز الاختلاف في العدد فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد ايضا فواحدة
فاختاروا او انكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف او خبره تقديره فتكفيكم واحدة
او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السراري لخفة
مؤنهن وعدم وجوب القسم بينهن ذلك اى التقليل منهن او اختيار الواحدة او التسري ادنى ان لا تعولوا
اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام
المسماة وفسر بان لا يكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال
بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج
وان اريد الاولاد فلان التسري مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة
بالاضافة الى تزوج الاربع وآتوا النساء صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على
التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمها على التوحيد وهو تثقيل صدقة
كظلمة في ظلمة نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن
فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الآية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها في
معنى الايتاء او الحال من الواو او الصدقات اى آتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من
الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على
انه مفعول له او حال من الصدقات اى دينا من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا
يأخذون مهور مولياتهم فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى او مجرى
مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة في قوله : كأنه في الجلد توليع البهق : اردت كان ذلك وقيل
للايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم شيئا من الصداق عن طيب نفس
لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمن معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا لهن
على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من هنؤ
الطعام ومرؤ اذا ساغ من غير غصص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر او جعلتا
حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الانسان والمريء ما تحمد عاقبته روي ان ناسا كانوا يتأثمون ان
يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم نهي للاولياء ان
يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف المال الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم
وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال فيعطي امرأته
واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم وسفهاء لجعلهم قواما على انفسهم
وهو اوفق لقوله التي جعل الله لكم قياما اى تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يأول بانها التي من
جنس ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام قياما للمبالغة وقرأ نافع وابن عامر قيما بمعناه كعوذ بمعنى
عياذ وقرئ قواما وهو ما يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم

بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة تطيب بها نفوسهم
والمعروف ما عرفه العقل او الشرع بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه وابتلوا اليتامى اختبروهم
قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد
وعند ابي حنيفة بان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او
يستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله عليه الصلاة والسلام اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ماله
وما عليه واقيمت عليه الحدود وثماني عشرة عند ابي حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح
عنده فان آنستم منهم رشدا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم فادفعوا
اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ ونظم الاية ان ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى
الشرط والجملة غاية الابتلاء فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط
ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يونس منهم الرشد وقال ابو حنيفة اذا زادت
على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع
اليه المال وان لم يونس منه الرشد ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم
او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف من اكلها ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف
بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال الصبي وعنه
عليه الصلاة والسلام ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق
مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تاكلوها يدل على انه نهي للاولياء ان ياخذوا وينفقوا على
انفسهم اموال اليتامى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة
وابعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وهو
المختار عندنا ومذهب مالك خلافا لابي حنيفة وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم
به ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك
الوالدان والاقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل
نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا
نصيبا او على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه
لم يسقط حقه روي ان اوس بن الصامت الانصاري خلف زوجته ام كجة وثلاث بنات فزوى
ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون
النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس
شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات
الثلثين والباقي ابني العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب واذا حضر القسمة اولو القربى

ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا
عليهم وهو امر ندب للبلغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او ما دل عليه
القسمة وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش
الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر
اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند
الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه
ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى
والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين
بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم
وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة
الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف
بحال اولاده فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعد ما امرهم
بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم
بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة
الشهادة او لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة
الثلث وتضييع الورثة ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه الظلم انما ياكلون
في بطونهم ملء بطونهم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين ياكلون اموال
اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا وسيدخلون نارا واي نار وقرأ
ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا يقال صلي النار قاسى حرها
وصليته شويته واصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها
يوصيكم الله يامركم ويعهد اليكم في اولادكم في شان ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ
الانثيين اي يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص
على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية
وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به فان كن نساء اي فان كان الاولاد
نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر او على تاويل المولودات فوق اثنتين
خبر ثان او صفة للنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم ويدل عليه
المعنى وان كانت واحدة فلها النصف اي وان كانت المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان
التامة واختلف في البنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما
وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه

انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحرى ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثان بقوله تعالى فلهما الثلثان مما ترك ولابويه ولابوى الميت لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل واحد منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تاكيدا السدس مما ترك ان كان له ولد ذكر او انثى غير ان الاب ياخذ السدس مع الانثى بالفرضية وما بقى من ذوى الفروض ايضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقى للاب فكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغى ان يكون لها حيث معهما احد الزوجين ثلث ما بقى من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس فانه يفضى الى تفضيل الانثى على الذكر المساوى لها فى الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة فلامه السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس انهم ياخذون السدس الذى حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او الاخوات وقال ابن عباس لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلاثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرا حمزة والكسائى فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التى قبلها من بعد وصية يوصى بها او دين متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اى هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية او دين وانما قال باو التى للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان فى الوجوب متقدمان على القسمة مجموعين ومفردين وقدم الوصية على الدين وهى متاخرة فى الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور وقرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم فى عاجلكم واجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روى ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الاخر فى الجنة سال ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثيكم منهم او من اوصى منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته او من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية فريضة من الله مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه فى معنى يامركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اى ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بنى بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين فرض للرجل بحق الزوج ضعف ما للمراة كما فى النسب وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا فى الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوى الواحدة والعدد منهن فى الربع والثمن وان كان رجل اى الميت

يورث اى يورث منه من ورث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة تحتمل المعانى الثلاثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثانى مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهى فى الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى ٭ فآليت لا ارثى لها من كلالة ولا من حفى حتى الاقى محمدا ٭ فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذى كلالة كقولك فلان من قرابتى او امراة عطف على رجل وله اى وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المراة لدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او اخت اى من الام ويدل عليه قراءة ابى وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر فى اخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وان مقادير هنا فروض الام فلا يناسب ان يكون لاولادها فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث سوى بين الذكر والانثى فى القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الاية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اى غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة عليه بالوصية دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور فى هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول فى قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده انه قرئ غير مضار وصية بالاضافة اى لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصية منه بالاولاد بالاسراف فى الوصية والاقرار الكاذب والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام التى تقدمت فى امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرائعه التى هى كالحدود المحدودة التى لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير فى يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرا نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليسا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له واللاتى ياتين الفاحشة من نسائكم اى يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت فاحبسوهن فى البيوت واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفى ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن فى اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجرى عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال

ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزاني أو يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس أو النكاح المغني عن السفاح واللذان يأتيانها منكم يعني الزانية والزاني وقرأ ابن كثير واللذانّ بتشديد النون وتمكين مد الألف والباقون بالتخفيف من غير تمكين فآذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الإيذاء أو أعرضوا عنهما بالإغماض والستر إن الله كان توابا رحيما علة الأمر بالإعراض وترك المذمة وقيل هذه الآية سابقة على الأولى نزولا وكان عقوبة الزنى الأذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الأولى في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية والزاني في الزناة إنما التوبة على الله أي قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه إذا قبل توبته للذين يعملون السوء بجهالة متلبسين بها سفها فإن ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته ثم يتوبون من قريب من زمان قريب أي قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى إذا حضر أحدهم الموت وقوله عليه الصلاة والسلام إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وسماه قريبا لأن أمد الحياة قريب كقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل أو قبل أن يشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض أي يتوبون في أي جزء من الزمان القريب الذي هو ما قبل أن ينزل بهم سلطان الموت أو يزين السوء فأولئك يتوب الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله إنما التوبة على الله وكان الله عليما فهو يعلم بإخلاصهم في التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التائب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين من سوف التوبة إلى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكأنه قال وتوبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء أعمالهم وبالذين يموتون الكفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما تأكيد لعدم قبول توبتهم وبيان أن العذاب أعده لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل أصله أعددنا فأبدلت الدال الأولى تاء يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها كان الرجل إذا مات وله عصبة ألقى ثوبه على امرأته وقال أنا أحق بها ثم إن شاء تزوجها بصداقها الأول وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها وإن شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم أن تأخذوهن على سبيل الإرث فتتزوجوهن كارهات لذلك أو مكرهات عليه وقرأ حمزة والكسائي كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن عطف على أن ترثوا ولا لتأكيد النفي أي ولا تمنعوهن من التزويج وأصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الأزواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن أو يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الأزواج ونهاهم عن العضل إلا أن يأتين بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له تقديره ولا تعضلوهن للافتداء إلا وقت أن يأتين بفاحشة أو لا تعضلوهن لعلة إلا أن يأتين بفاحشة وقرأ ابن كثير وأبو بكر مبينة هنا وفي الأحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن

وعاشروهن بالمعروف بالإنصاف في الفعل والإجمال في القول فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا أي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فإنها قد تكره ما هو أصلح دينا وأكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم إلى ما هو أصلح للدين وأدنى إلى الخير وعسى في الأصل علة الجزاء فأقيم مقامه والمعنى فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج تطليق امرأة وتزوج أخرى وآتيتم إحداهن أي إحدى الزوجات جمع الضمير لأنه أراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تأخذوا منه شيئا أي من القنطار أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا استفهام إنكار وتوبيخ أي أتأخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لأن الأخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المأثم قيل كان الرجل منهم إذا أراد امرأة جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر هنا بالظلم وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض إنكار لاسترداد المهر والحال أنه وصل إليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر وأخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة أو ما وثق الله عليهم في شأنهن بقوله تعالى فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان أو ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ولا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وإنما ذكر ما دون من لأنه أريد به الصفة وقيل ما مصدرية على إرادة المفعول من المصدر من النساء بيان ما نكح على الوجهين إلا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم للنهي وكأنه قيل وتستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم إلا ما قد سلف أو من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

والمعنى ولا تنكحوا حلائل آبائكم إلا ما قد سلف إن أمكنكم أن تنكحوه وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فإنه لا مؤاخذة عليه لا أنه مقرر إنه كان فاحشة ومقتا علة النهي أي إن نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لأمة من الأمم ممقوتا عند ذوي المروءات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة أبيه المقتي وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لأنه معظم ما يقصد منهن ولأنه المتبادر إلى الفهم كتحريم الأكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولأن ما قبله وما بعده في النكاح وأمهاتكم تعم من ولدتك أو ولدت من ولدك وإن علت وبناتكم تتناول من ولدتها أو ولدت من ولدها وإن سفلت وأخواتكم الأخوات من الأوجه الثلاثة وكذلك الباقيات والعمة كل أنثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل أنثى ولدها من ولد أنثى ولدتك قريبا أو بعيدا وبنات الأخ وبنات الأخت تتناول القربى والبعدى وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة أما والمرضعة أختا وأمرها على قياس النسب باعتبار المرضعة وولد الطفل

الذي درّ عليه اللبن قال عليه الصلاة والسلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثنا اخت
ابن الرجل وام اخيه من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون
النسب وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ذكر اولا محرمات
النسب ثم الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج
والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى
مفعول وانما لحقه التا لانه صار اسما ومن نسائكم متعلق بربائبكم واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة للفظ
والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية
فان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين
عند جمهور الادباء اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله

اذا حاولت في اسد فجورا فاني لست منك ولست مني

على معنى ان امهات النساء وربائبهن متصلات بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بينهما فقال في رجل
تزوج امرأة فطلقها قبل ان يدخل بها انه لا بأس ان يتزوج بنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب
عامة العلما غير انه روي عن علي رضي الله عنه تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثاني صفة
للنسائين لان عاملهما مختلف وفائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم
بامهاتهن وهن في احتضانكم او بصدده قوي الشبهة بينها وبين اولادكم فصارت احقا بان تجروها
مجراهم لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلما وقد روي عن علي رضي الله عنه جعله شرطا والامهات
والربائب يتناولان القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اي دخلتم معهن الستر وهي كناية عن الجماع
ويؤثر ما ليس بزنا كالوطي بشبهة او بملك يمين وعند ابي حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول فَإِنْ لَمْ
تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ تصريح بعد اشعار دفعا للقياس وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمْ زوجاتهم
سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ احتراز عن المتبنين لا عن ابنا
الولد وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ في موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على
النكاح فان المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلي
رضي الله عنهما حرمتهما اية واحلتهما اية يعنيان هذه الاية وقوله وما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم
وعثمان التحليل وقول علي اظهر لان اية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله عليه الصلاة والسلام ما اجتمع الحلال
والحرام الا غلب الحرام إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ استثناء عن لازم المعنى او منقطع معناه لكن ما سلف مغفور لقوله
إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ ذوات الازواج احصنهن التزويج او الازواج وقرا الجزء الخامس
الكسائي بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ يريد ما ملكت ايمانكم من اللاتي سبين
ولهن ازواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول ابي سعيد اصبنا سبايا يوم اوطاس
ولهن ازواج كفار فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله

وذات

وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق

وقال ابو حنيفة لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي واطلاق الاية والحديث حجة عليه
كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم هؤلا كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع
اي هذه فرائض الله عليكم وكتب لفظ الفعل وَأُحِلَّ لَكُمْ عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب
الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ ما سوى
المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين
المرأة وعمتها وخالتها أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم
ارادة ان تبتغوا النساء باموالكم بالصرف في مهورهن او اثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز
ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكانه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين او بدل مما وراء ذلكم
بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لا بد ان يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصن
النفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب المني فانه الغرض منه فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ
فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع فَرِيضَةً حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف
اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ فيما يزاد على
المسمى او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل نزلت الاية في المتعة التي
كانت ثلاثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت كما روي انه عليه الصلاة والسلام اباحها ثم اصبح يقول
يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وهي النكاح
المؤقت بوقت معلوم سمي بها اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة او تمتيعها بما تعطى وجوزها ابن
عباس رضي الله عنهما ثم رجع عنه إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا بالمصالح حَكِيمًا فيما شرع من الاحكام وَمَنْ لَمْ
يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ في موضع النصب
بطولا او بفعل مقدر صفة له اي ومن لم يستطع منكم ان يعتلي نكاح المحصنات او من لم يستطع منكم
غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحرائر لقوله فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ يعني الاماء
المؤمنات وظاهر الاية حجة الشافعي رضي الله عنه في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة
ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واول ابو حنيفة رضي الله عنه طول المحصنات بان يملك فرشهن على ان
النكاح هو الوطي وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه في قوله المحصنات المؤمنات
ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا
عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم في الايمان فرب
امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح

الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده بعضكم من بعض انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم
عليه السلام ودينكم الاسلام فانكحوهن باذن اهلهن يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على
ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية وآتوهن اجورهن اى ادوا اليهن مهورهن
باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى موالیهن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض
حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك المهر للامة ذهابا الى الظاهر بالمعروف بغير مطل وضرار ونقصان
محصنات عفائف غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء في السر فاذا احصن
بالتزويج وقرا ابو بكر وحمزة بفتح الهمزة والصاد والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد فان اتين بفاحشة
زنا فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحرائر من العذاب من الحد لقوله وليشهد عذابهما طائفة
من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا ينتصف ذلك اى
نكاح الامة لمن خشى العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر
مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد به الحد وهو شرط
آخر لنكاح الاماء وان تصبروا خير لكم اى وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عليه الصلاة والسلام
الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه والله غفور لمن يصبر رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم ما
تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفى عنكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول يريد واللام مزيدة
لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قول قيس بن سعد

اردت لكيما يعلم الناس انه ... سراويل قيس والوفود شهود

وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اى يريد الخلق لاجله ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج
من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طرقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم
عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم بها حكيم في وضعها والله
يريد ان يتوب عليكم كرره للتاكيد والمقابلة ويريد الذين يتبعون الشهوات يعني الفجرة فان
اتباع الشهوات الائتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة
لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت ان تميلوا
عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات ميلا عظيما بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة
على ندور غير مستحل لها يريد الله ان يخفف عنكم فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة
ورخص لكم في المضايق كاحلال نكاح الامة وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق
الطاعات وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثمان آيات في سورة النساء هن خير لهذه الامة مما طلعت
عليه الشمس وغربت هذه الثلاث ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله
لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم
بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربا والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض منكم

استثناء

استثناء منقطع اى ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه او اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة
لتجارة اى تجارة صادرة عن تراض المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التى بها يحل تناول مال الغير
لانها اغلب واوفق لذوى المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع عن صرف
المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرا الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار
الاسم اى الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله جهلة الهند او بالقاء
النفس الى التهلكة ويؤيده ما روى عن عمرو بن العاص انه تأول في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي
صلى الله عليه وسلم او بارتكاب ما يؤدى الى قتلها او باقتراف ما يذللها ويرديها فانه القتل الحقيقي للنفس
وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس
والمال الذى هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفي فضائلها
رأفة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما اى امر ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته
عليكم وقيل معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه ومن
يفعل ذلك اشارة الى القتل او ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا بما
لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فسوف نصليه
نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه
بالياء والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب الصلي وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب التى نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس
نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب
رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التى حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف
وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل اراد به هنا
انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها
بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسائط
يصدق عليها الامران فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما
كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال
الا ترى انه تعالى عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم في كثير من خطراته التى لم تعد على غيره خطيئة فضلا ان
يؤاخذ عليها وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرا نافع هنا وفي
الحج بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الامور
الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضى للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي معربة
عن عدم الرضا بما قسم الله له وانه تشهى لحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم لان تمني

ما لم يقدر له معارضة لحكم القدر وتمني ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا
وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن
اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه الصلاة والسلام ليس الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب
الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة
والنقص كالمكتسب له واسألوا الله من فضله اي لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفد
وهو يدل على ان المنهي هو الحسد او لا تتمنوا واسألوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم وقرأ ابن كثير والكسائي
وسلوا الله من فضله الذي وشبهه ∴ مواجهات امرا مواجها به
وقبل السين واو او فاء بغير همز وحمزة في الوقف على اصله والباقون بالهمز ان الله كان بكل شيء عليما
فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال
ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون
اي ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل او لكل ميت جعلنا
وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى الوارث وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استئناف
مفسر للموالي وفيه خروج الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او لكل قوم جعلناهم
موالي حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة
من مبتدا وخبر والذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ
بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابي حنيفة رضي الله عنه لو اسلم رجل على يد رجل و
تعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث او الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدا ضمن
معنى الشرط وخبره فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه
او معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي
وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه
ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى ان الله كان على كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم
الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبي
وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل
وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة
الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في
الميراث والاستبداد بالفراق وبما انفقوا من اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة روي ان سعد
بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق
بها ابوها الى رسول الله فشكا فقال عليه الصلاة والسلام لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله
امرا والذي اراد الله خير فالصالحات قانتات مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج حافظات

للغيب

للغيب لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه عليه الصلاة والسلام
خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها
وتلا الآية وقيل لاسرارهم بما حفظ الله بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد
والتوفيق له او بالذي حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ
بما حفظ حق الله وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن
وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن واهجروهن في المضاجع في المراقد فلا تدخلوهن
تحت اللحف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اي لا تبايتوهن واضربوهن
يعني ضربا غير مبرح ولا شائن والامور الثلاثة مرتبة ينبغي ان يتدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن
سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب
من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم
او انه على علو شأنه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه تعالى يتكبر
ان يظلم احدا او ينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما خلافا بين المرء وزوجه اضمرهما وان
لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به
كقوله ∴ يا سارق الليلة اهل الدار ∴
او الفاعل كقولهم نهارك صائم فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه
عليكم حالهما لتبيين الامر او الاصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله وآخر
من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو
نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر
ان النصب لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال
مالك رضي الله عنه لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما
الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة
بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما فتتفق كلمتهما ويحصل
مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق
وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر
والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما
او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى
وبصاحب القرابة واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار
قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه والجار الجنب البعيد او الذي
لا قرابة له وعنه عليه الصلاة والسلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام

وجاره حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب
والصاحب بالجنب الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك
وقيل المرأة وابن السبيل المسافر او الضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا
متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويامرون
الناس بالبخل بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدا وخبره محذوف
تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويامرون الناس بالبخل به وقرأ حمزة والكسائي ههنا وفي الحديد
بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة ويكتمون ما اتاهم الله من فضله الغنى والعلم اخفاء ككل ملامة واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله ومن كان
كافرا لنعمة فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والاية نزلت في طائفة من اليهود كانوا
يقولون للانصار تنصيحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم
والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد
لان البخل والسرف الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء في القبح واستجلاب
الذم او مبتدا خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ليتحروا
بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه
على ان الشيطان قرنهم فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد
ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان في النار وماذا
عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله اي وما الذي عليهم او اي تبعة
تحيق بهم بالايمان والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في
الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه من
الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا
فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان ههنا واخره في الاية الاخرى لان القصد بذكره الى التخصيص
ههنا والتعليل ثمة وكان الله بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من الاجر
ولا يزيد في العقاب اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال
مفعال من الثقل وفي ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره عظم جزاؤه وان تك حسنة وان يك مثقال
الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس
تشبيها بحروف العلة وقرأ ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها
وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده
على سبيل التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع
للاجر مزيد عليه فكيف فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم اذا جئنا من كل

امة

امة بشهيد يعني نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدا والخبر
من هول الامر وتعظيم الشان وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك
بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين
لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول
لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم حينئذ اي يود الذين جمعوا بين الكفر والعصيان الامر او الكفرة والعصاة
في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء ولا
يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان تسوى
بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم
اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم
الارض وقرأ نافع وابن عامر تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى
على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا
ما تقولون اي لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في صلاتكم روي
ان عبد الرحمن بن عوف صنع مأدبة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا
وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلوة مواضعها
وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن قربان الصلوة وانما المراد النهي عن الافراط في الشرب والسكر من
السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم سكارى والجملة في موضع
النصب على الحال والجنب الذي اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر
الا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اي لا تقربوا الصلوة جنبا في عامة الاحوال الا
في السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اي جنبا غير
عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر عابري السبيل بالمجتازين
فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه
الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الاية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان
يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى مرضا يخاف
معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه او على سفر لا تجدونه فيه
او جاء احد منكم من الغائط فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغائط المطمئن من الارض
او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل الشافعي على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل
او جامعتموهن وقرأ حمزة والكسائي لمستم ههنا وفي المائدة واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة
فلم تجدوا ماء فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص
بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية له في غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على

بيان حاله والحدث لما لم يجر ذكره ذكر من اسبابه ما يحدث بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل
احواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا فكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من
الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي فتعمدوا
شيا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح به اجزاه وقال
اصحابنا لا بد ان يعلق باليد شيء من التراب لقوله في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي بعضه
وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم العضو الى المنكب وما روي
انه عليه الصلاة والسلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد هنا وايديكم الى
المرافق ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من روية
البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم التورية
لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله
لهم بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ياخذون الرشى ويحرفون التورية ويريدون ان تضلوا
ايها المومنون السبيل سبيل الحق والله اعلم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هولاء وما يريدون
بكم فاحذروهم وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره
والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي من الذين هادوا بيان للذين اوتوا
نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين
هادوا ويحفظكم منهم او خبر محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه اي من الذين هادوا قوم يحرفون
الكلم اي يميلونه عما انزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا
قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت او اسمع غير مجاب
الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون
مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك
او نفهم كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما
يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء
والتوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا وطعنا في الدين استهزاء به وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا
واطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان خيرا لهم واقوم لكان قولهم ذلك
خيرا لهم واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه ولكن
لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا الا ايمانا
قليلا لا يعبا به وهو ايمانهم ببعض الايات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله

قليل التشكي للمهم يصيبه

او الا قليلا منهم امنوا او سيؤمنون يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من

قبل

قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط صورها فنجعلها على هيئة ادبارها
يعني الاقفاء او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في الاخرة واصل الطمس ازالة الاعلام الماثلة وقد يطلق بمعنى
الطلس في ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها
واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث جاءت منه وهي اذرعات الشام يعني اجلاء بني النضير
ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار
ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة او نلعنهم كما لعنا اصحاب
السبت او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت والمسخ بمعنى مثل مسخهم ولعنهم على لسان
كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد به
الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل
الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد مترقب او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد امن
منهم طائفة وكان امر الله بايقاع شيء او وعيده او ما حكم به وقضاه مفعولا نافذا او كائنا
فيقع لا محالة كما اوعدتم به ان لم تؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه بت الحكم على خلود عذابه
وان ذنبه لا ينمحي عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك اي ما دون الشرك صغيرا
كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا والمعتزلة علقوه بالفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك
لمن يشاء وهو لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم ايات الوعيد
بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعلق الامر بالمشية ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها
والاية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار ومن
يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما يستحقر دونه الاثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين
سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق الم تر الى الذين يزكون
انفسهم يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤوا باطفالهم الى رسول
الله فقالوا هل على هولاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا
بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه واثنى عليها بل الله يزكي من يشاء تنبيه على ان تزكيته
هو المعتد به دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبح وقد ذمهم وزكى
المرتضين من عباده المؤمنين واصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا ولا يظلمون بالذم او العقاب
على تزكيتهم انفسهم بغير حق فتيلا ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل
في الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم ابناء الله وازكياء عنده وكفى
به بزعمهم هذا او بالافتراء اثما مبينا لا يخفى كونه ماثما من بين اثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند
الله مما يدعوا اليه محمد وقيل في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون

قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا
فلا نامن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل
ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل
باطل من معبود وغيره ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم اهدى من
الذين امنوا سبيلا اقوم دينا وارشد طريقا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد
له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة او غيرها ام لهم نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى
الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم
فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا ما يوازي
نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم ان بخلوا بالنقير وهم
ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا فقراء اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من
الملك على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيئا واذا اذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز
فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا لا يؤتوا على النصب ام يحسدون الناس بل يحسدون رسول
الله واصحابه او العرب او الناس جميعا لان من حسد على النبوة فكانما حسد الناس كلهم كمالهم
ورشدهم وبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكان بينهما تلازما
وتجاذبا على ما اتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود
منهم فقد اتينا ال ابراهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وابناء عمه الكتاب والحكمة
النبوة واتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه الله تعالى مثل ما اتاهم فمنهم من اليهود
من امن به بمحمد صلى الله عليه وسلم او بما ذكر من حديث ال ابراهيم ومنهم من صد عنه اعرض
عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن ال ابراهيم من امن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين امره
فكذا لا يوهن كفر هؤلاء امرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها اي وان لم يعجلوا
بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم
نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك
الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه
بالعذاب كما قال ليذوقوا العذاب اي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق لهم مكانه جلد اخر والعذاب
في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لالة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه
ما يريده حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم
لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا
فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل

صفة

صفة مشتقة من الظل لتاكيده كقولهم شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم ان الله يامركم ان
تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار
لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيه رسول الله وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى
علي رضي الله عنه يده واخذه منه وفتح فدخل رسول الله وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه
المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامره الله تعالى ان يرده اليه فامر عليا ان يرده ويعتذر اليه
وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحي بان السدانة في اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس ان
تحكموا بالعدل وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى
بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اي نعم الشيء الذي
يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المامور به
من اداء الامانات والعدل في الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم وما تفعلون
في الامانات يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم يريد به امراء المسلمين
في عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعد ما امرهم
بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول
والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم انتم واولوا الامر منكم في شيء من امور
الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب
لاولي الامر على طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة
الى سنته بعده واستدل به منكروا القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون
القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك
الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة الرسول فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة مثبت بالكتاب ومثبت
بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فان الايمان
يوجب ذلك ذلك اي الرد خير لكم واحسن تاويلا عاقبة او احسن تاويلا من تاويلكم بلا رد ٦٢
الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا
الى الطاغوت عن ابن عباس ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه
المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى النبي صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال
تحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق
اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق
حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل عليه السلام ان عمر فرق
بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل
ويؤثر لاجله سمي بذلك لفرط طغيانه او لتشبيهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث

انه الى من عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ ان يكفروا
بها على ان الطاغوت جمع كقوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله
والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير رأيت المنافقين
يصدون عنك صدودا وهو مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين السد انه غير
محسوس والسد محسوس ويصدون في موضع الحال فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر
المنافق او النقمة من الله بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضى بحكمك ثم جاؤك حين يصابوا
للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا
وتوفيقا ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب
القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه اولئك
الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب فاعرض عنهم
اي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم او عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم
في انفسهم اي في معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح في السر انجع قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم
امرهم بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء وتعلق
الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم على الموصوف والقول
البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه
في طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام
كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه
لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالنفاق والتحاكم
الى الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول واعتذروا
اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول ان
يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب لوجدوا
الله توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا
ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد القسم لا لتظاهر لا
في قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما
شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا
مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك في ضيق من امره ويسلموا
تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم
تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا
او اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرأ ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا

بكسر

بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا الفضل
وقرأ عاصم وحمزة بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه
الا قليل منهم الا اناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على
قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدري الفعلين وقرأ ابن عامر
بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول ومطاوعته
طوعا ورغبة لكان خيرا لهم في عاجلهم واجلهم واشد تثبيتا في دينهم لانه اشد لتحصيل العلم
ونفي الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والاية ايضا مما نزلت في شان المنافق واليهودي
وقيل انها والتي قبلها نزلتا في حاطب بن ابي بلتعة خاصم الزبير في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل
فقال عليه الصلاة والسلام اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عليه الصلاة
والسلام اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك واذا لاتيناهم من لدنا
اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو تثبتوا لاتيناهم لان اذا
جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب
قال عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك مع
الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين او حال منه او من ضميره قسمهم اربعة اقسام
بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال
العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي
النظر في الحجج والايات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا
عنها على ما هي عليه ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في اعلاء
كلمة الله تعالى ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم
عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال
والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء
او لا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والاخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة
وهم العلماء الراسخون في العلم الذين هم شهداء الله في ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات
تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن اولئك رفيقا فيه معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز
او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق او لانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي
ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فساله عن حاله
فقال ما بي من وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك
ثم ذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت

في منزل دون منزلك وان لم ادخل فلا احب ان لا اراك ابدا فنزلت ذلك اشارة الى ما للمطيعين من الاجر
ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم الفضل صفته من الله
خبره او الفضل خبره ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه وبمقادير
الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر
كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا الى الجهاد ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة
من ثبيت على فلان تثبية اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه او انفروا
جميعا مجتمعين كوكبة واحدة والاية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات
كلها كيفما امكن قبل الفوات وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله المؤمنين منهم والمنافقين
والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم او ثبطوا غيرهم كما ثبط
ابن ابي ناسا يوم احد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل
بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير
وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله
علي اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله كفتح
وغنيمة ليقولن اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من كان لم
تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا
عظيما للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون
معكم لمجرد المال او حال عن الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة
المسلمين تضريبا وحسدا كان لم يكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز
يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا تفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها
لفظا ومعنى وكان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وهو محذوف وقرا ابن كثير وحفص
عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتانيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم
وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك
الوقت او العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة اي الذين
يبيعونها بها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الاخرة
او الذين يشترونها ويختارونها على الاخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكى عنهم ومن
يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم غلب او قتل
ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب
تنبيها على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة
وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين وما لكم مبتدأ وخبر لا تقاتلون

في

في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين عطف على اسم الله وفي سبيل
المستضعفين وهو تخليصهم من الاسر وصونهم عن العدو او على سبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص
المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي
الكفار اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة
لصد المشركين او لضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي
ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا في
استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد الذين يقولون ربنا اخرجنا
من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله
دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر ففتح مكة على نبيه
فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية
مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا جرى على غير من هو له
كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى
الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان
لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله ان كيد الشيطان
كان ضعيفا اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان
اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اي عن القتال واقيموا
الصلوة واتوا الزكوة واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس
كخشية الله يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجاة جواب لما
وفريق مبتدا منهم صفته ويخشون خبره وكخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او
الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه او اشد خشية عطف عليه ان
جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف
على اسم الله اي كخشية الله اشد خشية منه على الفرض اللهم الا ان يجعل خشية من خشية الله
وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال
حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله تعالى عنهم قل متاع الدنيا قليل
سريع التقضي والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا اي ولا تنقصون ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا
عنه او من اجالكم المقدرة وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم
الموت وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدا وانما
متصل بلا تظلمون ولو كنتم في بروج مشيدة في قصور او حصون مرتفعة والبروج في الاصل بيوت
على اطراف القصور من تبرجت المرأة اذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة

شاهقة مشيدة من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم
سيئة يقولوا هذه من عندك كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية تقعان على النعمة والبلية وهما
المراد في الاية اي وان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هي الا
بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله يبسط
ويقبض حسب ارادته فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به وهو القران فانهم
لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من عند الله او حديثا ما كبهائم لا افهام لها او حادثا من صروف
الزمان فيتفكروا فيه فيعلموا ان الباسط والقابض هو الله ما اصابك يا انسان من حسنة من نعمة
فمن الله تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره ولذلك قال
عليه الصلاة والسلام ما يدخل احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية
فمن نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله تعالى كل من عند الله فان الكل منه ايجادا
وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتنان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضي الله عنها ما من مسلم
يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والايتان
كما ترى لا حجة فيهما لنا ولا للمعتزلة وارسلناك للناس رسولا حال قصد بها التاكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم
ان علق بها اي رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا
من في زور كلام وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه في الحقيقة
مبلغ والامر هو الله روي انه عليه الصلاة والسلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال
المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت
ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك
البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم بامر طاعة اي امرنا طاعة ومنا طاعة واصلها
النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيت طائفة منهم غير الذي
تقول اي زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان
الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر او البيت المبني لانه يسوى ويدبر وقرا ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام
لقربهما في المخرج والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائفهم للمجازاة او في جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم
فاعرض عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله في الامور سيما في شانهم وكفى بالله
وكيلا يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القران يتاملون في معانيه ويتبصرون ما فيه واصل
التدبر النظر في ادبار الشيء ولو كان من عند غير الله اي ولو كان من كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه تصعب
معارضته وبعضه تسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض
احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره ههنا للتنبيه على ان

اختلاف

اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الاحوال في الحكم والمصالح واذا جاءهم امر من
الامن او الخوف مما يوجب الامن او الخوف اذاعوا به افشوه كما يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر
عن سرايا رسول الله او اخبرهم الرسول بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم
وكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة او لتضمن الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه اي ولو ردوا ذلك الخبر الى
الرسول والى اولي الامر منهم الى رايه وراي كبار الصحابة البصراء بالامور او الامراء لعلمه لعلم ما اخبروا به
على اي وجه يذكر الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف
المنافقين فيذيعونها فتعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر يستخرجون علمه من
جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر اول ما يحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته
بارسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال الا قليلا الا قليلا منكم تفضل الله عليه
بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل
او الا اتباعا قليلا على الندور فقاتل في سبيل الله ان تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك
الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك
لا الجنود روي انه عليه الصلاة والسلام دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت
فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل اي لا نكلف
الا فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا الا نفسه لقوله وحرض المؤمنين على القتال اذ ما عليك في شانهم الا التحريض
عسى الله ان يكف باس الذين كفروا يعني قريشا وقد فعل بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا
والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من
يشفع شفاعة حسنة راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله
ومنها الدعاء للمسلم قال عليه الصلاة والسلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك
ولك مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها ومن يشفع شفاعة
سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها في القدر وكان الله على كل
شيء مقيتا مقتدرا من اقات على الشيء اذا قدر قال ∴ وذي ضغن كففت الضغن عنه ... وكنت على اساءته مقيتا ∴
او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن
منها او ردوها الجمهور على انه في السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة
الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية واما برد مثله لما روي ان رجلا قال لرسول الله السلام
عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال اخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله
وبركاته وقال اخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله
تعالى وتلا الاية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب السلامة
عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل والترديد بين ان يحيي المسلم ببعض التحية وبين ان يجيب

تمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء
الحاجة ونحوها والتحية في الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحياة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل
لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية العطية واوجب الثواب او الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعي
رضي الله عنه ان الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدأ
وخبر او الله مبتدأ والخبر ليجمعنكم الى يوم القيامة اي الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيامة او
مفضين اليه او في يوم القيامة ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيامة كالطلاب والطلابة وهو قيام الناس
من القبور او للحساب لا ريب فيه في اليوم او الجمع فهو حال من اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله
حديثا انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال
فما لكم في المنافقين فئتين فما لكم تفرقتم في امر المنافقين فئتين اي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك
ان ناسا منهم استأذنوا رسول الله في الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة
مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم احد او في قوم هاجروا
ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين
حال عاملها لكم كقولك ما لك قائما وفي المنافقين حال من فئتين اي متفرقين فيهم او من الضمير اي فما لكم تفترقون
فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم
بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه من المهتدين
ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا ان تكفروا ككفرهم
فتكونون سواء فتكونون معهم سواء في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني
لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتحققوا ايمانهم بهجرة
هي لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان الظاهر بالهجرة
او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا
ولا نصيرا اي جانبوهم راسا ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم
ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون
محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميون فانه عليه الصلاة والسلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال
بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجا اليه فله من الجوار مثل ماله وقيل بنو بكر بن زيد
مناة او جاءوكم عطف على الصلة اي والذين جاءوكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى من
المأمور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول وكف عن قتال الفريقين
او على صفة قوم وكانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم
والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون
او استئناف حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه انه قرئ حصرة صدورهم وحصرات

صدورهم

صدورهم وهم بنو مدلج جاءوا رسول الله غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا
قومهم اي عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان قوى قلوبهم
وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم
فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا
فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم اسد
وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا
الى الفتنة دعوا الى الكفر والى قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب
فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم وينبذوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم
واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض واولئكم جعلنا لكم
عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم
او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شانه ان يقتل مؤمنا
بغير حق الا خطأ فانه على عرضته ونصبه على الحال او المفعول له اي لا يقتله في شيء من الاحوال الا حال
الخطأ او لا يقتله لعلة الا للخطأ او على انه صفة مصدر محذوف اي الا قتلا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي
والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يقارنه القصد الى الفعل او الشخص او لا
يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه ويكون
فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والاية نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي
ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل مؤمنا
خطأ فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق للكريم من الشيء
ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها
بالراس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها
كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله يأمرني ان اورث امراة اشيم الضبابي
من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم تكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا
عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف
صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه
فهو في محل النصب على الحال من القاتل او الاهل او الظرف فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن
فتحرير رقبة مؤمنة اي فان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب
الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان لم
يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين متتابعين
توبة نصب على المفعول له اي شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او على المصدر اي وتاب الله

عليكم توبة او الحال بحذف مضاف اى فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله وصفتها وكان الله عليما بحاله
حكيما فيما امر فى شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه
واعد له عذابا عظيما لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد
به التشديد اذ روى عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى وانى لغفار لمن تاب
ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل فى مقيس بن
ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا فى بنى النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله ان يدفعوا اليه ديته
فدفعوا اليه ديته ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا او المراد بالخلود المكث الطويل فان
الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم فى سبيل
الله سافرتم وذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقرا حمزة والكسائى
فتثبتوا فى الموضعين هنا وفى الحجرات من التثبت ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية
الاسلام وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائى بغير الف اى الاستسلام والانقياد وفسر به السلم
ايضا لست مؤمنا وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اى مبذولا له الامان تبتغون
عرض الحيوة الدنيا تطلبون ماله الذى هو حطام سريع النفاد وهو حال من الفاعل فى تقولوا مشعر
بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله لماله
كذلك كنتم من قبل اى اول ما دخلتم فى الاسلام تفوهتم بكلمة الشهادة فحصنت لها دماؤكم
واموالكم من غير ان يعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة
فى الدين فتبينوا وافعلوا بالداخل فى الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم
دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تاكيد
لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما به
وبالغرض منه فلا تتهافتوا فى القتل واحتاطوا فيه روى ان سرية لرسول الله غزت اهل فدك
فهربوا وبقى مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا
وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه
فنزلت وقيل نزلت فى المقداد مر برجل فى غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال ود
لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطأه مغتفر
لا يستوى القاعدون من المؤمنين فى موضع الحال من القاعدون او من الضمير
الذى فيه غير اولى الضرر بالرفع صفة للقاعدون لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل
منه وقرا نافع وابن عامر والكسائى بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه
صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولى الضرر
فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشى رسول الله فى مجلسه الوحى فوقعت فخذه على

فخذى

فخذى حتى خشيت ان ترضها ثم سرى عنه فقال اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر
والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم اى لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة
وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد فى الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته
فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة جملة موضحة لما نفى الاستواء فيه والقاعدون
على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اى بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل
ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوى درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى
المثوبة الحسنى وهى الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت فى زيادة العمل المقتضى لمزيد
الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول
الثانى له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه و
مغفرة ورحمة كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته
اسواطا واجرا على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعليهما
كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم فى
الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثانى ما جعل لهم فى الاخرة وقيل المراد بالدرجة ارتفاع منزلتهم
عند الله وبالدرجات منازلهم فى الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والثانى هم الذين اذن لهم
فى التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والاخرون من جاهد نفسه وعليه
قوله عليه الصلاة والسلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكان الله غفورا لما عسى ان يفرط منهم
رحيما بما وعد لهم ان الذين توفاهم الملائكة يحتمل الماضى والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على
مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفى الملائكة انفسهم فيتوفونها اى يمكنهم من استيفائها فيستوفونها
ظالمى انفسهم فى حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت فى ناس من مكة اسلموا
ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اى الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم فى اى شئ كنتم
قالوا كنا مستضعفين فى الارض اعتذارا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار
الدين واعلاء كلمته قالوا اى الملائكة تكذيبا لهم وتبكيتا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها
الى قطر اخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك ماويهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم
الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر
قالوا والعائد محذوف اى قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا
مصيرهم او جهنم وفى الاية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبى
صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق
ابيه ابراهيم ونبيه محمد الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم
فى الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان

فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم
عنها وان قومهم لا يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين
اذ لا توقيت فيه او حال عنه او من المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما تتوقف عليه واهتداء
السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ
العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يامن ويترصد الفرصة ويعلق
بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا
متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا
من الرغام وسعة في الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه
الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر محذوف اي ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله

سأترك منزلي لبني تميم ... والحق بالحجاز فاستريحا

فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند
الله ثبوت الامر الواجب والاية نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم
اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك
فمات واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة بتنصيف ركعاتها
ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عليه الصلاة والسلام اتم في السفر وان عائشة رضي
الله عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت
فقال احسنت يا عائشة واوجبه ابو حنيفة لقول عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان
نبيكم ولقول عائشة اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر و
ظاهرهما يخالف الاية فان صحا فالاول مأول كانه تام في الصحة والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة الى
تاويل الاية بانهم الفوا الاربع فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصر ونقصان فسمى الاتيان
بهما قصرا على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب به انفسهم واقل سفر تقصر فيه اربعة برد عندنا وستة
عند ابي حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة صفة محذوف اي شيئا من الصلوة عند
سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان
الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا شريطة باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر
مفهومها كما لم يعتبر في قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت
السنن على جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم
وهو القتال والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بمفهومه من خص صلوة
الخوف بحضرة الرسول لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها ليأتم به الائمة
بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين

فلتقم

فلتقم احداهما معك يصلون وتقوم الاخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم اي المصلون حزما وقيل
الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم فاذا سجدوا يعني المصلين فليكونوا اي
غير المصلين من ورائكم يحرسونكم يعني النبي صلى الله عليه وسلم ومن يصلي معه فغلب المخاطب على
الغائب ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل على ان
الامام يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله صلى الله عليه وسلم ببطن النخل وان اريد به ان يصلي بكل ركعة
ان كانت الصلوة ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلاتهم منفردين
ويذهبوا الى وجه العدو وتاتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظر قاعدا حتى يتموا صلاتهم
ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة يصلي بالاولى ركعة
ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو وتاتي الاخرى فيصلي بها ركعة ويتم صلاته ثم تعود الى وجه العدو
وتاتي الاولى فتؤدي الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلاتها ثم تعود وتاتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة
وتتم صلاتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة
في وجوب الاخذ ونظيره قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان ود الذين كفروا لو تغفلون عن
اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلاتكم
فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ الحذر والاسلحة ولا جناح عليكم
ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخص لهم في
وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب
دون الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو ان الله اعد
للكافرين عذابا مهينا وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا ان
الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا في الامور على مراسم التيقظ
والتدبر فيتوكلوا على الله فاذا قضيتم الصلوة اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا
وعلى جنوبكم فداوموا على الذكر في جميع الاحوال او فاذا اردتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيفما
امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم
من الخوف فاقيموا الصلوة فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها وأتوا بها تامة ان الصلوة كانت على
المؤمنين كتابا موقوتا فرضا محدود الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في شيء من الاحوال وهذا
دليل على ان المراد بالذكر الصلوة وانها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب في المعركة وتعليل للامر بالاتيان
بها كيفما امكن وقال ابو حنيفة لا يصلي المحارب حتى يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب
الكفار بالقتال ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون
الزام لهم وتقريع على التواني فيه بان ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه
من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجو عدوهم فينبغي ان يكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها

وقرئ أن تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لأن تكونوا تألمون وقوله فإنهم يألمون علة للنهي عن الوهن لأجله
والآية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما بأعمالكم وضمائركم حكيما فيما يأمر وينهى إنا أنزلنا
إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس نزلت في طعمة بن أبيرق من بني ظفر سرق درعا من
جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي
فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق
حتى انتهوا إلى منزل اليهودي فأخذوها فقال دفعها إلي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو
ظفر انطلقوا بنا إلى رسول الله فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا إن لم تفعل هلك وافتضح
وبرئ اليهودي فهم رسول الله أن يفعل بما أراك الله بما عرفك وأوحى به إليك وليس من الرؤية
بمعنى العلم وإلا لاستدعى ثلاثة مفاعيل ولا تكن للخائنين أي لأجلهم والذب عنهم خصيما للبرآء
واستغفر الله مما هممت به إن الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين
يختانون أنفسهم يخونونها فإن وبال خيانتهم يعود عليها أو جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما
عليها والضمير لطعمة وأمثاله أو له ولقومه فإنهم شاركوه في الإثم حين شهدوا على براءته وخاصموا
عنه إن الله لا يحب من كان خوانا مبالغا في الخيانة مصرا عليها أثيما منهمكا فيه روي أن طعمة
هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله يستخفون من الناس
يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو أحق بأن يستحيى ويخاف
منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه إلا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه إذ يبيتون
يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان
الله بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شيء ها أنتم هؤلاء مبتدأ وخبر جادلتم عنهم في الحياة الدنيا
جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا أو صلة عند من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من
يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم من عذاب الله ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره أو يظلم
نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة
ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا لذنوبه رحيما متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على
التوبة والاستغفار ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله لقوله
وإن أسأتم فلها وكان الله عليما حكيما فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته ومن يكسب خطيئة
صغيرة أو ما لا عمد فيه أو إثما كبيرة أو ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا ووحد
الضمير لمكان أو فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا بسبب رمي البريء وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك
سوى بينهما وإن كان مقترف أحدهما دون مقترف الآخر ولولا فضل الله عليك ورحمته بإعلام ما
هم عليه بالوحي والضمير للرسول لهمت طائفة منهم من بني ظفر أن يضلوك عن القضاء بالحق
مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه إلى نفي همهم بل إلى نفي تأثيره فيه وما يضلون

الا

إلا أنفسهم لأنه ما أزلك عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك من شيء فإن الله عصمك وما
خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الأمر لا ميلا في الحكم ومن شيء في موضع النصب على المصدر أي
شيئا من الضرر وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الأمور
أو من أمور الدين والأحكام وكان فضل الله عليك عظيما إذ لا فضل أعظم من النبوة لا خير في
كثير من نجواهم من متناجيهم لقوله تعالى وإذ هم نجوى أو من تناجيهم فقوله إلا من أمر بصدقة
أو معروف على حذف مضاف أي إلا نجوى من أمر أو على الانقطاع بمعنى ولكن من أمر بصدقة ففي نجواه
الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفسر ههنا بالقرض وإغاثة الملهوف وصدقة
التطوع وسائر ما فسر به أو إصلاح بين الناس أو إصلاح ذات البين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات
الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما بنى الكلام على الأمر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على أنه لما دخل الآمر في
زمرة الخيرين كان الفاعل أدخل فيهم وأن العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الأمر من حيث إنه وصلة إليه
وقيد الفعل بأن يكون لطلب مرضات الله لأن الأعمال بالنيات وأن من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق
به من الله أجرا ووصف الأجر بالعظم تنبيها على حقارة ما فات في جنبه من أغراض الدنيا وقرأ أبو
عمرو وحمزة يؤتيه بالياء ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق فإن كلا من المتخالفين في شق غير شق
الآخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم
عليه من اعتقاد وعمل نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخل بينه وبين ما اختاره
ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة
الإجماع لأنه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك إما لحرمة
كل واحد منهما أو أحدهما أو الجمع بينهما والثاني باطل إذ يقبح أن يقال من شرب الخمر وأكل الخبز استوجب
الحد وكذا الثالث لأن المشاقة محرمة ضم إليها غيرها أو لم يضم وإذا كان اتباع غير سبيلهم محرما
كان اتباع سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد الأفهام إلى مبادئ الأحكام إن الله
لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتأكيد أو لقصة طعمة وقيل جاء شيخ إلى
رسول الله وقال إني شيخ منهمك في الذنوب إلا أني لم أشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم
أتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصي جرأة وما توهمت طرفة عين أني أعجز الله هربا وإني لنادم تائب
فما ترى حالي عند الله فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فإن الشرك أعظم أنواع
الضلالة وأبعدها عن الصواب والاستقامة وإنما ذكر في الأولى فقد افترى لأنها متصلة بقصة أهل
الكتاب ومنشأ شركهم كان نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله إن يدعون من دونه إلا إناثا يعني
اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه أنثى بني فلان وذلك إما لتأنيث أسمائها
كما قال ⁂ وما ذكر فإن يسمن فأنثى ⁂ شديد الأزم ليس له ضروس ⁂
فإنه عنى القراد وهو ما كان صغيرا سمي قرادا فإذا كبر سمي حلمة أو لأنها كانت جمادات والجمادات تؤنث

من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله سبحانه ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما
يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي
جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى
على التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخبيث وخبث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد
واسد واسد وانثا واثنا بقلبها على قلب الواو لضمها همزة وان يدعون وان يعبدون بعبادتها
الا شيطانا مريدا لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعته في ذلك عبادة له والمارد
والمريد الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملابسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء للتي
تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف عليه
اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه
اولا على ان الشرك ضلال في الغاية على التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك
ينافي الالوهية غاية المنافاة فان الاله ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بان عبادة
الشيطان وهي افظع في الضلال لثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير
والهدى فتكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني انه ملعون لضلاله فلا تستجلب مطاوعته سوى
الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء
ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحياة وان لا بعث ولا عقاب ولامرنهم
فليبتكن اذان الانعام يشقونها لتحريم ما احل وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر
والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل والقوة ولامرنهم فليغيرن
خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم
والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي هي الاسلام واستعمال
الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء
مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او
اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثاره ما يدعوه اليه على ما امر الله به ومجاوزته
عن طاعة الله فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع راس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من
النار يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار
النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه اولئك مأواهم
جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس
صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله والذين آمنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا اي وعده وعدا
وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني مؤكد

لغيره

لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم
ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الاية
معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد
في تحصيله ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال باماناتكم
ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما
وقر في القلب وصدقه العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم
وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي
على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين
وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا
اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما
معدودة ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا لما روي انه لما نزلت قال ابو بكر فمن
ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللأواء قال بلى يا رسول
الله قال هو ذاك ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته
من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها وشيئا منها فان كل احد لا يتمكن
من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات
اي كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب
المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء
من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي ارحم الراحمين
ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر يدخلون الجنة هنا وفي الغافر
ومريم بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله
اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه
على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية وهو محسن آت بالحسنات تارك للسيئات واتبع ملة
ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا عن سائر الاديان وهو حال من المتبع
والملة وابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند
خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل
النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق
في الرمل فانهما يترافقان في الطريق او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استئناف
جيء بها للترغيب في اتباع ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روي ان ابراهيم عليه
السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه

لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤا منها الغرائر
حياء من الناس فلما اخبروا ابرهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام فقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت
حوارى واختبزت فاستيقظ ابرهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت من خليلك المصري فقال
بل من عند خليلي الله فسماه الله خليلا وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ خلقا وملكا يختار منهما من
يشاء وما يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على
مجازاتهم على الاعمال وَكَانَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فمجازيهم
على خيرها وشرها وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصن اتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال
ويحوز الغنيمة فقال عليه الصلاة والسلام كذلك امرت قُلِ اللّٰهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ يبين لكم حكمه فيهن والافتاء
تبيين المبهم وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ عطف على اسم الله او ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل
فيكون الافتاء مسندا الى الله والى ما في القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني
زيد وعطاؤه او استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره
والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم كانه قيل واقسم
بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى فِي يَتَامَى النِّسَاءِ صلة يتلى
ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى عليكم في شانهن والا فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى
الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها
اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى على انه ايامى فقلبت همزته ياء اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ
اي فرض لهن من الميراث وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى
كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات وياكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا في ميراثهن والواو تحتمل
الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد
في صغرها وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون
النساء وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ ايضا عطف عليه اي ويفتيكم او ما يتلى في ان تقوموا هذا اذا جعلت
في يتامى صلة لاحدهما وان جعلته بدلا فالوجه نصبها عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينصب
وان تقوموا باضمار فعل اي ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم
او للقوام بالنصفة في شانهم وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا وعد لمن آثر الخير في ذلك
وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامراة فاعل فعل يفسره الظاهر نُشُوزًا
تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها أَوْ إِعْرَاضًا بان يقل مجالستها ومحادثتها
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصَالِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب
له شيئا تستميله به وقرا الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا

على

على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما في القراءة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ
يصالحا من اصلح بمعنى اصطلح وَالصُّلْحُ خَيْرٌ من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ويجوز ان لا يراد به
التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ
الشُّحَّ ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة
ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المراة تسمح بالاعراض عنها والتقصير
في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي اذا كرهها او احب غيرها وَإِنْ تُحْسِنُوا
في العشرة وَتَتَّقُوا النشوز والاعراض ونقص الحق فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ من الاحسان والخصومة
خَبِيرًا عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي
هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة للسبب مقام المسبب وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ لان
العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول اللهم
هذا قسمي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك وَلَوْ حَرَصْتُمْ على تحري ذلك وبالغتم فيه
فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فَتَذَرُوهَا
كَالْمُعَلَّقَةِ التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له امراتان يميل مع
احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وَإِنْ تُصْلِحُوا ما كنتم تفسدون من امورهن وَتَتَّقُوا فيما يستقبل
فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا يغفر لكم ما مضى من ميلكم وَإِنْ يَتَفَرَّقَا وقرئ وان يتفارقا اي وان
يفارق كل منهما صاحبه يُغْنِ اللّٰهُ كُلًّا منهما عن الآخر ببدل او سلوة مِنْ سَعَتِهِ غناه وقدرته
وَكَانَ اللّٰهُ وَاسِعًا حَكِيمًا مقتدرا في افعاله واحكامه وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
تنبيه على كمال سعته وقدرته وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ يعني اليهود
والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق الآية لتاكيد الامر
بالاخلاص وَإِيَّاكُمْ عطف على الذين أَنِ اتَّقُوا اللّٰهَ بان اتقوا الله ويجوز ان تكون ان مفسرة
لان التوصية في معنى القول وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ على ارادة القول
اي وقلنا لكم ولهم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع
بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وَكَانَ اللّٰهُ غَنِيًّا عن الخلق
وعبادتهم حَمِيدًا في ذاته حمد او لم يحمد وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ذكره ثالثا للدلالة
على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما افاض عليها من الوجود وانواع
الخصائص والكمالات على كونه حميدا وَكَفَى بِاللّٰهِ وَكِيلًا راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته
فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ يفنكم ومفعول يشا
محذوف دل عليه الجواب وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ويوجد قوما آخرين مكانكم او خلقا آخرين مكان الانس
وَكَانَ اللّٰهُ عَلَى ذٰلِكَ من الاعدام والايجاد قَدِيرًا بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا

تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله من العرب ومعناه
معنى قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روي انه لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على
ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة فعند الله ثواب
الدنيا والآخرة فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء
او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها الاية وكان
الله سميعا بصيرا عارفا بالاغراض فيجازي كلا بحسب قصده يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين
بالقسط مواظبين على العدل مجتهدين في اقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو
خبر ثان او حال ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة
بيان للحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين ولو على والديكم واقاربكم ان يكن
اي المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة
ولا تجوروا فيها ميلا او ترحما فالله اولى بهما بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما او
لهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع الى ما دل عليه المذكور وهو
جنسا الغني والفقير لا اليه والا لوحد ويشهد عليه انه قرئ فالله اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا
لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة
العدل قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي باسكان اللام وبعدها واوان الاولى مضمومة
والثانية ساكنة وقرأ حمزة وابن عامر وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة فاديتموها فان
الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين او للمنافقين او لمؤمني
اهل الكتاب اذ روي ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة
وعزير ونكفر بما سواه فنزلت آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب
الذي انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه او آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بألسنتكم
او آمنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول القرآن
والثاني الجنس وقرأ نافع والكوفيون الذي نزل والذي انزل بفتح النون والهمزة والزاي والباقون
بضم النون والهمزة وكسر الزاي ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
اي ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ان
الذين آمنوا يعني اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم آمنوا بعد عوده اليهم
ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم او قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا
على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اذ يستبعد منهم
ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم لو

اخلصوا

اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف متعلق به اللام مثل لم
يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان الاية في المنافقين وهم قد
آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين
ووضع بشر مكان انذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين في محل النصب
او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين او هم الذين ايبتغون عندهم العزة ايتعززون بموالاتهم
فان العزة لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه الله وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين لا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القرآن وقرأ
عاصم نزل والقائم مقام فاعله ان اذا سمعتم آيات الله وهي المخففة والمعنى انه اذا سمعتم
يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الآيات جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم
حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو ويؤيده
الغاية وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا الاية والضمير
في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم في الاثم لانكم قادرون
على الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك او لان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن
من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين
والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافرد مثلهم لانه
كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبني كقوله تعالى مثل ما انكم
تنطقون الذين يتربصون بكم ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين
والكافرين او ذم مرفوع او منصوب او مبتدأ خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن
معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال
قالوا الم نستحوذ عليكم اي قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ
الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل ونمنعكم من المؤمنين
بان خذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم وانما سمي
ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور على امر دنيوي سريع الزوال فالله
يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ او في الدنيا
والسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شراء الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس
الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفي ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضي العدة ان المنافقين يخادعون
الله وهو خادعهم سبق الكلام فيه اول البقرة واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى متثاقلين
كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان يراءون الناس ليخالوهم مؤمنين والمراءاة
مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يرائيه عمله وهو يريه

استحسانا له ولا يذكرون الله إلا قليلا إذ المرائي لا يفعله إلا بحضرة من يرائيه وهو أقل أحواله ولأن ذكرهم
باللسان قليل بالإضافة إلى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلاة وقيل الذكر فيها فإنهم لا يذكرون فيها غير
التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من واو يراؤون كقوله ولا يذكرون أي يراؤونهم غير ذاكرين مذبذبين
أو واو يذكرون أو منصوب على الذم والمعنى مرددين بين الإيمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا
وأصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بالكسر أي مذبذبين قلوبهم أو دينهم أو يتذبذبون كقولهم صلصل
بمعنى تصلصل وقرئ بالدال غير المعجمة بمعنى أخذوا تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء
منسوبين إلى المؤمنين ولا إلى الكافرين أو لا صائرين إلى أحد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا
إلى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
الكافرين أولياء من دون المؤمنين فإنه صنيع المنافقين ودينهم فلا تتشبهوا بهم أتريدون أن
تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فإن موالاتهم دليل على النفاق أو سلطانا يسلط عليكم
عقابه إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار وهو الطبقة التي في قعر جهنم وإنما كان كذلك لأنهم
أخبث الكفرة إذ ضموا إلى الكفر استهزاء بالإسلام وخداعا للمسلمين وأما قوله عليه الصلاة والسلام ثلاث
من كن فيه فهو منافق وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا
ائتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ وإنما سميت طبقاتها السبع دركات لأنها متداركة متتابعة
بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك أوجه لأنه يجمع على
أدراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه إلا الذين تابوا عن النفاق وأصلحوا ما أفسدوا من أسرارهم
وأحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله وثقوا به وتمسكوا بدينه وأخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم
إلا وجهه فأولئك مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما
فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم أيتشفى به غيظا أو يدفع به ضررا
أو يستجلب به نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وإنما يعاقب المصر بكفره لأن إصراره عليه كسوء مزاج
يؤدي إلى مرض فإذا أزاله بالإيمان والشكر ونقى عنه نفسه تخلص من تبعته وإنما قدم الشكر لأن الناظر
يدرك النعمة أولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا
يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما بحق شكركم وإيمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم إلا
جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي أن رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب
عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا أي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه
الله وكان الله سميعا لكلام المظلوم عليما بالظالم إن تبدوا خيرا طاعة وبرا أو تخفوه أو تفعلوه سرا
أو تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر إبداء الخير وإخفائه تسبيب له ولذلك رتب عليه
فإن الله كان عفوا قديرا أي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فأنتم أولى بذلك
وهو حث للمظلوم على العفو بعدما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الأخلاق إن الذين يكفرون بالله

ورسله

ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ويقولون نؤمن ببعض
ونكفر ببعض نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعضهم ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا
وسطا بين الإيمان والكفر ولا واسطة إذ الحق لا يختلف فإن الإيمان بالله إنما يتم بالإيمان برسله
وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا أو إجمالا فالكفر ببعض ذلك كالكفر بالكل في الضلال كما قال تعالى فماذا
بعد الحق إلا الضلال أولئك هم الكافرون هم الكاملون في الكفر لا عبرة بإيمانهم هذا حقا مصدر
مؤكد لغيره أو صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا أي يقينا محققا وأعتدنا للكافرين
عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أضدادهم ومقابلوهم وإنما دخل بين
على أحد وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث إنه وقع في سياق النفي أولئك سوف نؤتيهم أجورهم
الموعودة لهم وتصدير بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على أنه كائن لا محالة وإن تأخر وقرأ حفص عن عاصم
وقالون عن يعقوب بالياء على تلوين الخطاب وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف
حسناتهم يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في أحبار اليهود قالوا
إن كنت صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى عليه السلام وقيل كتابا محررا بخط سماوي
على ألواح كما كانت التوراة أو كتابا نعاينه حين ينزل أو كتابا إلينا بأعياننا بأنك رسول الله فقد سألوا
موسى أكبر من ذلك جواب شرط مقدر أي إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى شيئا أكبر
منه وهذا السؤال وإن كان من آبائهم أسند إليهم لأنهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهم والمعنى
أن عرقهم راسخ في ذلك وأن ما اقترحوا عليك ليس بأول جهالاتهم فقالوا أرنا الله جهرة
عيانا أي أرناه نره جهرة أو مجاهرين معاينين له فأخذتهم الصاعقة نار جاءت من السماء فأهلكتهم
بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي
امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفها
أيضا أوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على التوراة إذ لم تأتهم بعد فعفونا عن ذلك وآتينا
موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم توبة عن اتخاذهم ورفعنا فوقهم
الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا على لسان موسى والطور مظل
عليهم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت على لسان داود ويحتمل أن يراد على لسان موسى حين ظلل عليهم الجبل
فإنه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمان داود وقرأ ورش عن نافع لا تعدوا على أن أصله لا
تعتدوا فأدغمت التاء في الدال وقرأ قالون بإخفاء حركة العين وتشديد الدال والنص عنه بالإسكان وأخذنا
منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا وأطعنا فبما نقضهم ميثاقهم أي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم
ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتأكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز أن تتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون
التحريم بسبب النقض وما عطف عليه إلى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لأنه رد
لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة قولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم بآيات الله بالقرآن

او بما فى كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلوم او فى اكنة مما تدعونا
اليه بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم وخذلها ومنعها التوفيق للتدبر فى
الايات والتذكر بالمواعظ فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا لاعبرة به لنقصانه
وبكفرهم بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز
ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم
فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلاة والسلام وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعنى
نسبتها الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله اى بزعمه ويحتمل انهم قالوه استهزاء
ونظيره ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون وان يكون استينافا من الله بمدحه او وضعا للذكر الحسن
مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روى ان رهطا من اليهود سبوه وامه
فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء
فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه
شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب وقيل دخل
طيطانوس اليهودى بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فخرج فظن انه عيسى فاخذ وصلب
وامثال ذلك الخوارق التى لا تستبعد فى زمان النبوة وانما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جرائتهم على الله
وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات الباهرة وتبجحهم به لا بقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند
الى الجار والمجرور كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او فى الامر على قول من قال لم يقتل
احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثمة مقتولا وان الذين
اختلفوا فيه فى شان عيسى فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا
فقتلناه حقا وتردد الاخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه
عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعنى الى السماء رفع الى السماء وقال قوم صلب
الناسوت وصعد اللاهوت لفى شك منه لفى تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على
مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اى
ولكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذى تسكن اليه النفس جزما
كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما
علموه يقينا كقوله ... كذاك تخبر عنها العالمات بها ... وقد قتلت بعلمى ذالكم يقنا ...
من قولهم قتلت الشىء علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات
لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما فيما دبره بعيسى وان من اهل الكتاب
الا ليؤمنن به قبل موته اى وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن به جملة قسمية وقعت
صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثانى والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان

عيسى

عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك انه قرئ الا ليؤمنن
به قبل موتهم بضم النون لان احدا فى معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به
قبل ان يضطروا اليه ولا ينفعهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء آمن به اهل الملل
جميعا روى انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا ليؤمن به
حتى تكون ملة واحدة وهى ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب
مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث فى الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه
ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله
فبظلم من الذين هادوا فباى ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعنى ما ذكره بقوله وعلى
الذين هادوا حرمنا وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا
عنه كان الربوا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهى على التحريم واكلهم اموال
الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من
تاب وآمن لكن الراسخون فى العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اى منهم او من
المهاجرين والانصار يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدأ والمقيمين الصلوة نصب
على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اى يؤمنون
بالكتب والانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون او الضمير فى يؤمنون او على انه مبتدأ والخبر اولئك
سنؤتيهم والمؤتون الزكوة رفعه لاحد الاوجه المذكورة والمؤمنون بالله واليوم الاخر قدم عليه
الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود بالاية اولئك سنؤتيهم اجرا
عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح وقرأ حمزة سيؤتيهم بالياء انا اوحينا اليك
كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا
من السماء واحتجاج عليهم بان امره فى الوحى كسائر الانبياء واوحينا الى ابرهيم واسحق ويعقوب
والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين
عليهم تعظيما لهم فان ابرهيم اول اولى العزم منهم وعيسى اخرهم والباقون اشرف الانبياء و
مشاهيرهم وآتينا داود زبورا وقرأ حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا نصب
بمضمر دل عليه واوحينا اليك كارسلنا او فسره قد قصصناهم عليك من قبل اى من قبل هذه السورة
او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحى
خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد
منهم رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلا موطئا
لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا
لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء

الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك الجزئيات من المصالح والاكثر عن ادراك الكليات واللام متعلقة بارسلنا او
بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والاخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه
مصدر وبعد ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريده حكيما فيما دبر من امر النبوة
وخص كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله وكانه لما تعنتوا
عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون ولكن
الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما انزل اليك من القران المعجز الدال على نبوتك روي انه لما
نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه انزله متلبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتاليفه
على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة ويستاهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس
في معاشهم ومعادهم والجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير لما
قبلها والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغني
عن النظر والتامل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى
هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفته الملائكة وشهدوا وكفى بالله شهيدا اي وكفى
بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا
بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اغرق في الضلال وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا
وظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم بانكار نبوته والناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم او بما يعم ذلك والاية
تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا
ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا لجري حكمه السابق ووعده المحتوم على ان من مات
على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه
يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها
ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فآمنوا
خيرا لكم اي ايمانا خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم
ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يؤدي الى حذف الشرط وجوابه وان تكفروا
فان لله ما في السموات والارض يعني وان تكفروا فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم
ونبه على غناه بقوله لله ما في السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله
عليما باحوالهم حكيما فيما دبر لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين غلت
اليهود في حط عيسى حتى رموه بانه ولد لغير رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى
خاصة فانه اوفق لقوله ولا تقولوا على الله الا الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد انما المسيح
عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها وروح منه وذو
روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة له وقيل سمي روحا لانه كان يحيي الاموات والقلوب

فآمنوا

فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة اي الالهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله
تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون
الله ثلاثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح
القدس الحياة انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصبه كما سبق انما الله اله واحد اي واحد
بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد اي اسبحه تسبيحا من ان
يكون له ولد فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق اليه فناء له ما في السموات وما في الارض خلقا
وملكا لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة
اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه
لن يستنكف المسيح لن يانف من استنكف اذا نحى الدمع باصبعه كيلا يرى اثره عليه ان يكون
عبدا لله من ان يكون عبدا له فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف في
عبودية غيره روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى
قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة
المقربون عطف على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا لله واحتج به من زعم فضل الملائكة
على الانبياء وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف اعلى درجة
من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الاية للرد على عبدة المسيح والملائكة
فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك
اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون
الذين حول العرش او من هو اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك لا يستلزم فضل احد
الجنسين على الاخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر يترفع عنها والاستكبار
باستحقاق فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم
ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون
لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام فكانه قال فسيحشرهم
اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او للمجازاة لهم فان اثابة مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم
والحسرة يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا عنى بالبرهان
المعجزات وبالنور القران فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه ثواب
قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب وفضل احسان زائد عليه ويهديهم اليه الى
الله وقيل الى الموعود صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الاخرة يستفتونك
اي في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليها روي ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله
فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت وهي اخر ما نزل من الاحكام قل الله يفتيكم في الكلالة

سبق تفسيرها اول السورة إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له او حال من المستكن في هلك والولد في وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس لكنها لا ترث النصف وَهُوَ يَرِثُهَا اي والمرء يرث اخته ان كان الامر بالعكس إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والاية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله قل الله يفتيكم في الكلالة ان فسرت بالميت فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب الذكر يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا اي يبين لكم ضلالكم الذي من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه او يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا فحذف المضاف وهو قول الكوفيين وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل مومن ومومنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وايها مائة وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة ✽ قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم ✽ شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا ✽ واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله على عباده والزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية والحق بها الظبا وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابستها الشبه إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ الا محرم ما يتلى عليكم كقوله تعالى حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم تحريمه غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ حال من الضمير في لكم وقيل من واو اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول وَأَنتُمْ حُرُمٌ حال عما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ من تحليل او تحريم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا سمي به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات

الحج

الحج واعلام النسك وقيل دين الله لقوله ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ بالقتال فيه او النسي وَلَا الْهَدْيَ ما اهدي الى الكعبة جمع هدية كجدي جمع جدية السرج وَلَا الْقَلَائِدَ اي ذوات القلائد من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص فانها اشرف الهدي او القلائد انفسها والنهي عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره قوله تعالى ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او لحاء شجر وغيرهما ليعلم به انه هدي فلا يتعرض له وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قاصدين لزيارته يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في آمين وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روي ان الاية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطم بن شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالاية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المومنين وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الاتي بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا وقرئ احللتم يقال حل المحرم واحل وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ولا يحملنكم او لا يكسبنكم شَنَآنُ قَوْمٍ شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرا ابن عامر واسمعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت اكثر أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لان صدوكم عنه عام الحديبية وقرا ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم أَن تَعْتَدُوا بالانتقام وهو ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يعدى الى مفعولين وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ للتشفي والانتقام وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ فانتقامه اشد حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية وَالدَّمُ اي الدم المسفوح لقوله تعالى او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ اي رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه وَالْمُنْخَنِقَةُ التي ماتت بالخنق وَالْمَوْقُوذَةُ المضروبة بنحو خشب وحجر حتى ماتت من وقذته اذا ضربته وَالْمُتَرَدِّيَةُ التي تردت من علو او في بئر فماتت وَالنَّطِيحَةُ التي نطحتها اخرى فماتت والتاء فيها للنقل وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ اي وما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ الا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمري بمحدد وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وعلى بمعنى اللام

اوعلى اصلها يتقرب بها وما ذبح على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب وان تستقسموا بالازلام اى
وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها
امرنى ربى وعلى الآخر نهانى ربى والثالث غفل فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهى تجنبوا
عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد
ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول فى علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك
طريق اليه وافتراء على الله ان اريد بربى الله وجهالة وشرك ان اريد به الصنم او الميسر المحرم او الى تناول
ما حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية
وقيل اراد يوم نزولها بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم اى
من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها ومن ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان
يظهروا عليكم واخشون واخلصوا الخشية لى اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والا
ظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد
واتممت عليكم نعمتى بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية ورضيت
لكم الاسلام دينا اخترته لكم دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير فمن اضطر متصل بذكر
المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين
الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضى والمعنى فمن اضطر الى تناول شئ من هذه المحرمات فى مخمصة مجاعة
غير متجانف لاثم غير مائل له ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة كقوله غير باغ ولا
عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه باكله يسئلونك ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول اوقع
على الجملة وقد سبق الكلام فى ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسئلونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين
سائغ فى امثاله والمسؤول ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلى عليهم ما حرم عليهم سألوا عما احل لهم
قل احل لكم الطيبات ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات
العرب او ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات ان جعلت ما موصولة
على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على
اهلها من سباع ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها
بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب يكون اكثر فيه واثر او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله صلى الله عليه وسلم
اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة فى التعليم تعلمونهن
حال ثانية او استئناف مما علمكم الله من الحيل وطرق التاديب فان العلم بها الهام من الله او مكتسب
بالعقل الذى هو منحة منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف
بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا ياكل منه فكلوا مما امسكن عليكم وهو ما لم ياكل منه
لقوله عليه الصلاة والسلام لعدى بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء

وقال

وقال بعضهم لا يشترط ذلك فى سباع الطير لان تاديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون
لا يشترط مطلقا واذكروا اسم الله عليه الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله
او لما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكاته واتقوا الله فى محرماته ان الله سريع الحساب
فيؤاخذكم بما جل ودق اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل
لكم يتناول الذبائح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى على رضى الله عنه
نصارى بنى تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس فى ذلك
وان الحقوا بهم فى التقرير على الجزية لقوله عليه الصلاة والسلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحى
نسائهم ولا آكلى ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم
عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات الحرائر او العفائف وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن حربيات وقال ابن عباس لا تحل الحربيات
اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد با
تيانها التزامها محصنين اعفاء بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالزنى ولا متخذى اخدان مسرين
به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة
من الخاسرين يريد بالايمان شرائع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه يا ايها الذين آمنوا اذا
قمتم الى الصلوة اى اذا اردتم القيام كقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغى ان يبادر اليها بحيث
لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة لان التوجه الى الشئ والقيام اليه قصد له وظاهر الآية يوجب
الوضوء على كل قائم الى الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روى انه عليه الصلاة والسلام صلى
الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر رضى الله عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل
مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر
ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه الصلاة والسلام المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا
حرامها فاغسلوا وجوهكم امروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق
الجمهور على دخول المرفقين فى المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم ومتعلقة
بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره مزيد
فائدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها فى الحكم او خروجها
منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن فى الآية وكانت الايدى متناولة لها فحكم بدخولها
احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضى خروجها والا لم تكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم
اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذى الغاية وجب دخولها احتياطا وامسحوا برؤسكم
الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل ووجهه ان يقال



انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب
بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلما في قدر الواجب فاوجب الشافعي
اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة مسح ربع الراس لانه عليه الصلاة والسلام مسح على ناصيته
وهو قريب من الربع ومالك مسح كله اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين نصبه نافع وابن عامر
وحفص والكسائي ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة
والتحديد اذ المسح لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير في القران والشعر كقوله تعالى عذاب يوم
اليم وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته التنبيه
على انه ينبغي ان يقتصد في صب الما عليها وتغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل بينه وبين اخويه ايماء على
وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا فاغسلوا وان كنتم
مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا
صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام
في بيان انواع الطهارة ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اي ما يريد الامر بالطهارة للصلوة او
الامر بالتيمم تضييقا عليكم ولكن يريد ليطهركم لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء
تكفير للذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة
وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم
وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة
لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته والاية
مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل ٢ والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب
٣ وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح ٤ وباعتبار المحل محدود وغير محدود ٥ وان التهما مايع
وجامد ٦ وموجبهما حدث اصغر واكبر ٧ وان المبيح للعدول الى البدل مرض وسفر وان الموعود
عليها تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم
في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين
حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق
ليلة العقبة او بيعة الرضوان واتقوا الله في انساء نعمته ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات الصدور
اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء
بالقسط ولا يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى
لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف
وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم اعدلوا هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب الى
التقوى صرح لهم بالامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى

الهوى

الهوى واذا كان هذا للعدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون
فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود
او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء ثائرة الغيظ وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم
مغفرة واجر عظيم انما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استيناف يبينه
وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول وكانه قال وعدهم هذا القول والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين
حال الاخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم يا ايها الذين امنوا اذكروا
نعمة الله عليكم روي ان المشركين راوا رسول الله واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما
صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم بان نزل
صلوة الخوف والاية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روي انه عليه الصلاة والسلام اتى قريظة ومعه
الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطا يحسبهما مشركين
فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش
الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله منزلا
وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجا اعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله
فاسقطه جبريل من يده واخذه الرسول وقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله فنزلت اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه
يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم ورد
مضرتها عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر ولقد
اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال
قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روي ان بني اسرائيل لما فرغوا من فرعون
واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها
لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وامر موسى ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم
بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث
النقبا يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فراوا اجراما عظيمة وباسا شديدا فهابوا ورجعوا
وحدثوا قومهم ونكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرائيم
بن يوسف وقال الله اني معكم بالنصرة لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي
وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير واقرضتم الله قرضا
حسنا بالانفاق في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول لاكفرن عنكم سيئاتكم
جواب للقسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات

تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم
فقد ضل سواء السبيل ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له
شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم
الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الآيات والنذر وقرأ حمزة والكسائي قسية وهي اما مبالغة قاسية
او بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة
وقرئ قسية باتباع القاف السين يحرفون الكلم عن مواضعه استئناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة
اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه
ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم
حرفوا التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشؤمه اشياء منها
عن حفظهم لما روي ان ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع على
خائنة منهم خيانة او فرقة خائنة او خائن والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم
لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم
قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف ان
الله يحب المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن
غيره ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا
من قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على
انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا فالزمنا من
غري بالشيء اذا لصق به بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة بين فرق النصارى وهم نسطورية
ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بالجزاء
والعقاب يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس قد جاءكم
رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد صلى الله عليه
وسلم وآية الرجم في التورية وبشارة عيسى باحمد في الانجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه
لا يخبر به اذا لم يضطر اليه امر ديني او عن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه قد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين يعني القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح
الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا صلى الله عليه وسلم يهدي به الله وحد الضمير لان المراد بهما
واحد او لانهما كواحد في الحكم من اتبع رضوانه من اتبع رضاه بالايمان منهم سبل السلام طرق
السلامة من العذاب او سبل الله ويخرجهم من الظلمات الى النور من انواع الكفر الى الاسلام
باذنه بارادته او بتوفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم طريق هو اقرب الطرق الى الله
ومؤد اليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم هم الذين قالوا

بالاتحاد

بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم
ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن يملك من
الله شيئا فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض
جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات
ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما
يشاء والله على كل شيء قدير ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه سبحانه
قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل يجانسه اما من
ذكر وحده كما خلق حوا او من انثى وحدها كعيسى او منهما كسائر الناس وقالت اليهود والنصارى
نحن ابناء الله واحباؤه اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون او المقربون
عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران قل فلم يعذبكم
بذنوبكم اي فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب
تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم بانه سيعذبكم بالنار اياما معدودات
بل انتم بشر ممن خلق من خلقه الله يغفر لمن يشاء وهم من آمن به وبرسله ويعذب من يشاء
وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم عليه ولله ملك السموات والارض
وما بينهما كلها سواء في كونه خلقا وملكا له واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته
يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم
وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موقع الحال اي
جاءكم رسولنا مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال
وانقطاع من الوحي او بمبين حال من الضمير فيه ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة ان
تقولوا ذلك وتعتذروا به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا بما جاءنا
فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما
السلام كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد
صلى الله عليه وسلم كان بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع وستون سنة واربعة انبياء ثلاثة من بني
اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين
انطمست آثار الوحي وكانوا احوج ما يكونون اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة
الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في
بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا اي وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر
الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم
الله وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين

من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما اتاهم وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم
يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن
المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله
لكم قسمها لكم او كتب في اللوح انها تكون مسكنا لكم ولكن ان امنتم واطعتم لقوله بعد ما عصوا
فانها محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل لما سمعوا
حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا
عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم
على العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا يتاتى مقاومتهم والجبار
فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريده وانا لن ندخلها حتى يخرجوا
منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم قال رجلان كالب ويوشع من الذين
يخافون اي يخافون الله ويتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا
الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له انه قرئ الذين
يخافون بالضم اي المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله
بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبت وهو صفة ثانية لرجلان او اعتراض
ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار
فاذا دخلتموه فانكم غالبون لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم
اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى عليه السلام وقوله كتب الله لكم
او مما علما من عادته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى في قهر اعدائه وعلى الله
فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا
نفوا دخولهم على التاكيد والتابيد ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك
فقاتلا انا ههنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره
اذهب انت وربك يعينك قال رب اني لا املك الا نفسي واخي قاله شكوى بثه وحزنه الى الله لما
خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون عليه السلام والرجلان المذكوران
وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخي من يواخيني في الدين
فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسي او على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير في لا املك
او على محل ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير في نفسي فافرق بيننا وبين القوم
الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحق وتحكم عليهم بما يستحقون او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا
من صحبتهم قال فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب
عصيانهم اربعين سنة يتيهون في الارض عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد

فلا

فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما روي ان موسى عليه السلام سار بعد بمن
بقي من بني اسرائيل ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم
بان يوشع بعده نبي وان الله امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني
اسرائيل واما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل
الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روي انهم
لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان
الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم
من الحجر الذي يحملونه والاكثر على ان موسى وهرون كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك لهما روحا
وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هرون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحا
بعد ثلاثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع فلا تاس على القوم الفاسقين خاطب به
موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم نبا ابني ادم قابيل
وهابيل اوحى الله الى ادم ان يزوج كل واحد منهما توامة الاخر فسخط منه قابيل لان توامته كانت
اجمل فقال لهما ادم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد
قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني ادم لصلبه وانهما من بني اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني
اسرائيل بالحق صفة مصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير في اتل او من نبا
اي ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف لنبا او حال منه او بدل
على حذف مضاف اي اتل عليهم نباهما نبا ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله تعالى من
ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى وهو في الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل
تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا وقيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردا قمح عنده وهابيل صاحب
ضرع وقرب جملا سمينا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر لانه سخط حكم الله ولم
يخلص النية في قربانه وقصد الى اخس ما عنده قال لاقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد له
على تقبل قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين في جوابه اي انما اتيت من قبل نفسك
بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد
في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة
لا تقبل الا من مؤمن متق لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك
اني اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا
من الله لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه الصلاة والسلام كن عبد الله المقتول
ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري عن هذا الفعل الشنيع
راسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفي بالباء اني اريد ان تبوء باثمي

وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة
والمعنى إنما استسلم لك إرادة أن تحمل إثمي لو بسطت إليك يدي وإثمك ببسطك يدك إلي ونحوه
المستبان ما قالا فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى بإثمي بإثم قتلي وإثمك الذي لم يتقبل من أجله
قربانك وكلاهما في موضع الحال أي ترجع ملتبسا بالإثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية أخيه وشقاوته
بل قصده بهذا الكلام إلى أن ذلك إن كان لا محالة واقعا فأريد أن يكون لك لا لي فالمراد بالذات أن لا يكون
له لا أن يكون لأخيه ويجوز أن يكون المراد بالإثم عقوبته وإرادة عقاب العاصي جائزة فطوعت له
نفسه قتل أخيه فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع إذا اتسع وقرئ فطاوعت على أنه فاعل
بمعنى فعل أو على أن قتل أخيه كأنه دعاها إلى الإقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت
لزيد ماله فقتله فأصبح من الخاسرين دينا ودنيا إذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل
وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الأعظم فبعث الله غرابا
يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه روي أنه لما قتله تحير في أمره ولم يدر ما يصنع
به إذ كان أول ميت من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه
ثم ألقاه في الحفرة والضمير في ليريه لله أو للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يرى
والمراد بسوءة أخيه جسده الميت فإنه مما يستقبح أن يرى قال يا ويلتى كلمة جزع وتحسر والألف
فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا أوانك والويل والويلة الهلكة أعجزت أن أكون
مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي لا أهتدي إلى ما اهتدى إليه وقوله فأواري عطف على أكون
وليس جواب الاستفهام إذ ليس المعنى لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فأنا أواري أو على تسكين
المنصوب تخفيفا فأصبح من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير في أمره وحمله على رقبته سنة
أو أكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبري أبويه منه إذ روي أنه لما قتله اسود جسده
فسأله آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ منه ومكث
بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من أجله من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل
بسببه قضينا عليهم وأجل في الأصل مصدر أجل شرا إذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كقولهم
من جراك فعلته أي من أن جررته أي جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة
بكتبنا أي ابتداء الكتب ونشوءه من أجل ذلك أنه من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس يوجب
القصاص أو فساد في الأرض أو بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكأنما قتل الناس
جميعا من حيث أنه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه أو من حيث أن قتل الواحد
والجميع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا
أي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو أو منع عن القتل أو استنقاذ من بعض أسباب الهلكة فكأنما فعل
ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب ترهيبا عن التعرض لها

وترغيبا

وترغيبا في المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك لمسرفون أي بعد
ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من أجل أمثال تلك الجناية وأرسلنا إليهم الرسل بالآيات الواضحة تأكيدا
للأمر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في الأرض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت
القصة بما قبلها والإسراف التباعد عن حد الاعتدال في الأمر إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله
أي يحاربون أولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما وأصل الحرب السلب والمراد به هنا قطع
الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وإن كانت في مصر ويسعون في الأرض فسادا أي مفسدين ويجوز
نصبه على العلة أو المصدر لأن سعيهم كان فسادا فكأنه قيل ويفسدون في الأرض فسادا أن يقتلوا
أي قصاصا من غير صلب إن أفردوا القتل أو يصلبوا أي يصلبوا مع القتل إن قتلوا وأخذوا المال وللفقهاء
خلاف في أنه يقتل ويصلب أو يصلب حيا ويترك أو يطعن حتى يموت أو تقطع أيديهم وأرجلهم من
خلاف تقطع أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى إن أخذوا المال ولم يقتلوا أو ينفوا من الأرض ينفوا من
بلد إلى بلد بحيث لا يتمكنون من القرار في موضع إن اقتصروا على الإخافة وفسر أبو حنيفة النفي بالحبس
وأو في الآية على هذا للتفصيل وقيل إنه للتخيير والإمام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق
ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الآخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم إلا الذين
تابوا من قبل أن تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله فاعلموا أن
الله غفور رحيم أما القتل قصاصا فإلى الأولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة
بالتقدم على القدرة يدل على أنها بعد القدرة لا تسقط الحد وإن سقطت العذاب وأن الآية في قطاع
المسلمين لأن توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
وابتغوا إليه الوسيلة أي ما تتوسلون به إلى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي
من وسل إلى كذا إذا تقرب إليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا في سبيله بمحاربة أعدائه
الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول إلى الله والفوز بكرامته إن الذين كفروا لو أن لهم
ما في الأرض من صنوف الأموال جميعا ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لأنفسهم من عذاب يوم
القيامة واللام متعلقة بمحذوف يستدعيه لو إذ التقدير لو ثبت أن لهم ما في الأرض وتوحيد
الضمير في به والمذكور شيئان إما لإجرائه مجرى اسم الإشارة في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك
أو لأن الواو في ومثله بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه خبر إن والجملة تمثيل للزوم
العذاب لهم وأنه لا سبيل لهم إلى الخلاص منه ولهم عذاب أليم تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله
يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من أخرج
وإنما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما
جملتان عند سيبويه إذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة أي حكمهما وجملة عند المبرد
والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط إذ المعنى والذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب

وهو الخيار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتأويل. والسرقة اخذ مال الغير في خفية وانما
توجب القطع اذا كانت من حرز والمأخوذ ربع دينار او ما يساويه لقوله عليه الصلاة والسلام القطع في
ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف في ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح
المصابيح والمراد بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع
المثنى كما في قوله فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك
ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه السلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه
منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبان على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا
والله عزيز حكيم فمن تاب من السارقين من بعد ظلمه اي سرقته واصلح امره بالتفصي عن
التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته
فلا يعذبه في الاخرة واما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه الم تعلم
ان الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل احد يعذب من يشاء ويغفر
لمن يشاء والله على كل شيء قدير قدم التعذيب على المغفرة اتباعا على ترتيب ما سبق او لان
استحقاق التعذيب مقدم او لان المراد به القطع وهو في الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر اي صنيع الذين يقعون في الكفر سريعا اي في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة
من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اي من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا
بآمنا والواو تحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا سماعون للكذب
خبر محذوف اي هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين
خبره اي ومن اليهود قوم سماعون واللام في للكذب اما مزيدة للتاكيد او لتضمين السماع معنى
القبول اي قابلون لما تفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك
فيه سماعون لقوم آخرين لم ياتوك اي لجمع آخرين من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك
تكبرا او افراطا في البغضاء والمعنى على الوجهين اي مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك
لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثاني مكرر للتاكيد اي
سماعون ليكذبوا لقوم آخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي يميلونه عن مواضعه
التي وضعه الله فيها اما لفظا باهماله وتغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه
في غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استئناف
لا موضع له او في موضع الرفع خبر لمحذوف اي هم يحرفون وكذلك يقولون ان اوتيتم هذا
فخذوه اي ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه بل افتاكم محمد بخلافه
فاحذروا اي فاحذروا قبول ما افتاكم به روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين
فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله عنه وقالوا ان امركم بالجلد

والتحميم

فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال
له انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون
والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه
فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر رسول الله بالزانيين فرجما عند باب المسجد
ومن يرد الله فتنته ضلالته او فضيحته فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا في
دفعها اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة لهم
في الدنيا خزي هوان بالجزية والخوف من المؤمنين ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو الخلود في النار
والضمير للذين هادوا ان استانفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين سماعون للكذب كرره
للتاكيد اكالون للسحت اي الحرام كالرشا من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة وقرأ ابن كثير
وابو عمرو والكسائي ويعقوب بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر فان
جاؤوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا
قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول الشافعي والاصح وجوبه اذا كان المترافعان
او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم والآية ليست في اهل الذمة وعند ابي حنيفة
يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل
الذي امر الله به ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شانهم وكيف يحكمونك وعندهم
التوراة فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه في الكتاب
الذي هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون
اهون عليهم وان لم يكن حكم الله في زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة ان رفعتها بالظرف وان
جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وتانيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة
ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك
داخل في حكم التعجب وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه
انا انزلنا التوراة فيها هدى يهدي الى الحق ونور يكشف ما استبهم من الاحكام يحكم بها
النبيون اي انبياء بني اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ
ناسخ وبهذه الآية تمسك القائل به الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها
بشان المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم للذين هادوا والربانيون
والاحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب
الله بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين
وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا
فلا تخشوا الناس واخشون نهي للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم

او رشوة وكبيرا ولا تشتروا بآياتي ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم
يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم
بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الكافرون والظالمون والفاسقون فكفرهم بانكاره وظلمهم بالحكم
على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلاث باعتبار حال انضمت
الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطاب اليهود والظالمون
في اليهود والفاسقون في النصارى وكتبنا عليهم وفرضنا على اليهود فيها اى في التوراة ان النفس
بالنفس ان النفس تقتل بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن رفعها
الكسائي على انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى وكانه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين
بالعين فان الكتابة والقراءة تقعان على الجمل كالقول او مستانفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف
مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن
في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى وقرا نافع
والاذن بالاذن وفي اذنيه بالاسكان حيث وقع والجروح قصاص اى ذات قصاص وقرا الكسائي ايضا بالرفع
وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص اى فمن
عفا عنه فهو اى التصدق كفارة له للمتصدق يكفر بالتصدق انه لا ينقص منها شي ومن لم يحكم بما
انزل الله من القصاص وغيره فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم اى واتبعناهم على آثارهم فحذف
المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين بعيسى ابن مريم مفعول ثان عدي اليه الفعل بالباء
مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور في موضع النصب بالحال
ومصدقا لما بين يديه من التوراة عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول
لها عطفا على محذوف او تعلقا به وعطف وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون
عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا به والاية تدل على ان الانجيل مشتملة على الاحكام وان اليهودية منسوخة
ببعثة عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام
التوراة خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب بالحق اى القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب
من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس وقرئ على بنية المفعول اى هومن عليه وحوفظ من
التحريف والحافظ له هو الله او الحفاظ في كل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله اى بما انزل اليك ولا تتبع
اهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة للاتتبع لتضمنه معنى لا تنحرف
او حال من فاعله اى لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة
شريعة وهي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحياة الابدية وقرئ بفتح الشين ومنهاجا
وطريقا واضحا في الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة ولو شاء
الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول

شاء

شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم
فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين
ان اختلافها بمقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها
انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم جميعا استيناف فيه تعليل
الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله اليك اى ان
يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اى احذر فتنتهم او مفعول له اى
احذرهم مخافة ان يفتنوك روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا
يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم
اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله فنزلت فان تولوا عن
الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني ذنب التولي عن حكم
الله فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها
وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير ونظيره قول لبيد : او يرتبط بعض النفوس حمامها
وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه افحكم الجاهلية يبغون
الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى وقيل نزلت
في بني قريظة والنضير طلبوا الى رسول الله ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى
وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه في الصلة في قوله اهذا الذي بعث
الله رسولا واستضعف ذلك في غير الشعر وقرئ افحكم الجاهلية اى يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم
بحسب شهيتهم وقرا ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من
الله حكما لقوم يوقنون اى عندهم واللام للبيان كما في قوله هيت لك اى هذا الاستفهام
لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا احسن
حكما من الله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم
معاشرة الاحباب بعضهم اولياء بعض ايماء الى علة النهي اى فانهم متفقون على خلافكم يوالي بعضهم
بعضا لاتحادهم في الدين واجتماعهم على مضادتكم ومن يتولهم منكم فانه منهم اى ومن والاهم
منكم فانه من جملتهم وهذا تشديد في وجوب مجانبتهم كما قال عليه الصلاة والسلام لا تتراءى نارهما
او لان الموالين لهم كانوا منافقين ان الله لا يهدي القوم الظالمين اى الذين ظلموا انفسهم بموالاة
الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم فترى الذين في قلوبهم مرض يعني ابن ابي واضرابه يسارعون
فيهم اى في موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة يعتذرون بانهم يخافون
ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار روي ان عبادة بن الصامت

قال لرسول الله ان لي موالي من اليهود كثير عددهم واني ابرا الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله
فقال ابن ابي اني رجل اخاف الدواير لا ابرا من ولاية موالي فنزلت فعسى الله ان ياتي بالفتح لرسول
الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع شافة اليهود من القتل
والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا اي هولاء المنافقون على ما اسروا في
انفسهم نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك في امر الرسول فضلا عما اظهروه مما اشعر
على نفاقهم ويقول الذين امنوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي على انه كلام مبتدا ويؤيده
قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المومنون حينئذ
وبالنصب قراءة ابي عمرو ويعقوب عطفا على ان ياتي باعتبار المعنى وكانه قال عسى ان ياتي الله بالفتح
ويقول الذين امنوا او يجعله بدلا من اسم الله داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من
الحدث او على الفتح بمعنى عسى الله ان ياتي بالفتح وبقول المومنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان
به اهولاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم يقوله المومنون بعضهم لبعض
تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص او يقولونه لليهود فان المنافقين
حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل
مصدر ونصبه على الحال على تقدير اقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر
مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين
اما من جملة المقول او من قول الله شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط
اعمالهم فما اخسرهم يا ايها الذين امنوا من يرتدد منكم عن دينه قراءة على الاصل نافع وابن
عامر وهو كذلك في الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التي اخبر الله عنها قبل وقوعها
وقد ارتد من العرب في اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم
ذو الخمار الاسود العنسي تنبا باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول
الله من غدها واخبر الرسول في تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر في اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة
اصحاب مسيلمة تنبا وكتب الى رسول الله من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان
الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله
يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر بجند المسلمين وقتله وحشي قاتل حمزة
وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبا فبعث اليه رسول الله خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم
اسلم وحسن اسلامه وفي عهد ابي بكر سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن
سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم
قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوج مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل قوم
بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم على يده وفي امرة عمر بن الخطاب غسان قوم جبلة بن الايهم

نفر

نفر وسار الى الشام فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قيل هم اهل اليمن لما روي انه
عليه الصلاة والسلام اشار الى ابي موسى الاشعري وقال قوم هذا وقيل الفرس لانه عليه الصلاة
والسلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية
الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلاثة الاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف
تقديره فسوف ياتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن
الثواب في الاخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه اذلة على المومنين عاطفين
عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمنه معنى العطف والحنو
او للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المومنين خافضون لهم او للمقابلة اعزة على الكافرين
شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى
لقوم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون
بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين
فانهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيا يلحقهم فيه
لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ذلك اشارة الى ما تقدم من
الاوصاف فضل الله يوتيه من يشاء يمنحه ويوفق له والله واسع كثير الفضل عليم بمن هو
اهله انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو
حقيق بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله
وللمومنين على التبع الذين يقيمون الصلوة ويوتون الزكوة صفة للذين امنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل
منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح وهم راكعون متخشعون في صلاتهم وزكاتهم وقيل هو حال مخصوصة
بيوتون او يوتون الزكوة في حال ركوعهم في الصلوة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت في علي
رضي الله عنه حين ساله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه واستدل به الشيعة على امامته زاعمين
ان المراد بالولي المتولي للامور المستحق للتصرف فيها والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف
الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع ليرغب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون
دليلا على ان الفعل القليل في الصلوة لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله
والذين امنوا ومن يتخذهم اولياء فان حزب الله هم الغالبون اي فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر
موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكانه قيل ومن يتول هولاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون
وتنويها بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا بمن يوالي غير هولاء بانه حزب
الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم
هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء نزلت في رفاعة بن زيد
وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنهي عن موالاتهم

على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء الى العلة وتنبيها على ان من هذا شانه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة
وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان
عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان
النهي عن موالاة من ليس على الحق راسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب
ومن لم يكن كالمشركين واتقوا الله بترك المناهي ان كنتم مؤمنين لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان
كنتم مؤمنين بوعده ووعيده واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اي اتخذوا الصلوة والمناداة وفيه
دليل على ان الاذان مشروع للصلوة روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول
الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شرره في البيت فاحرقه واهله
ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب
هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح
القاف وهي لغة الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون
عطف على ان آمنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان
وانتم خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على ما اي وما تنقمون منا الا
الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان آمنا لقلة انصافكم
وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء
والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والاية خطاب
ليهود سالوا رسول الله عمن يؤمن به فقال اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا
ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اي من ذلك المنقوم مثوبة عند
الله جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت هنا موضعها على طريقة قوله
تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن بشر من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة و
الخنازير بدل من بشر على حذف مضاف اي بشر من اهل ذلك لمن لعنه الله او بشر من ذلك دين من
لعنه الله او خبر محذوف اي هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم
وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الايات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير
وهم كفار مائدة عيسى وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير
وعبد الطاغوت عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد
بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اي فيهم او بينهم ومن قرا عابد الطاغوت او عبد على انه نعت
كفطن ويقظ او عبدة او عبد الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة
عطفه على القردة ومن قرا وعبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة
وكل من اطاعوه في معصية الله اولئك اي الملعونون شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة

على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل عن سواء السبيل قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى
وقدح اليهود والمراد من صيغتي التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين في الشرارة والضلال
واذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت في يهود نافقوا رسول الله او في عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر
وهم قد خرجوا به اي يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان
حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعلي دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي
من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان
الرسول يظنه ولذلك قال والله اعلم بما كانوا يكتمون اي من الكفر وفيه وعيد لهم وترى كثيرا
منهم اي من اليهود او المنافقين يسارعون في الاثم اي الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم والعدوان
الظلم او مجاوزة الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت
اي الحرام خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم الربانيون
والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا اذا دخل
على الماضي افاد التوبيخ واذا دخل على المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله لبئس
ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وتروّ وتحري اجادة ولذلك ذم به
خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار
عليها فكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها
مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل وبسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله :

جاد الحمى بسط اليدين بوابل … شكرت نداه تلاعه ووهاده

ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير كقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان
الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة
او بغل الايدي حقيقة يغللون اسارى في الدنيا ويسحبون في النار في الاخرة فيكون المطابقة من حيث
اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبني سب الله دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة في الرد ونفي
البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح
الدنيا والاخرة وعلى ما يعطي للاستدراج وما يعطي للاكرام ينفق كيف يشاء تاكيد لذلك
اي هو مختار في انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب
سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من
اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والاية نزلت في فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك
لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم واشرك
فيه الاخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا
اي هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا

من تناول الغذاء الصالح للاصحاء والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق
اقوالهم كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله كلما ارادوا حرب الرسول واثارة شر عليه ردهم الله
بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية
سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس
ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا ويسعون في الارض فسادا اي
للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا
يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب امنوا بمحمد وما جاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه
لكفرنا عنهم سيئاتهم التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم جنات النعيم ولجعلناهم
داخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابي
لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل باذاعة ما فيهما من نعت الرسول صلى الله عليه
وسلم والقيام باحكامهما وما انزل اليهم من ربهم يعني سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون
بالايمان بها كالمنزل اليهم او القران لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم
بان يفيض عليهم بركات من السماء والارض او بكثرة ثمرة الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة
الثمار فيجتنونها من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض بين ذلك ان ما كف عنهم بشوم كفرهم
ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم امنوا واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين
منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل مقتصدة
متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون اي بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اي ما
اسوا عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة يا ايها الرسول بلغ ما
انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك غير مراقب احدا ولا خائف مكروها وان لم تفعل وان لم
تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادي منها كترك
بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل
الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرا نافع وابن عامر
وابو بكر رسالاته بالجمع وكسر التاء والله يعصمك من الناس عدة وضمان من الله بعصمة روحه
من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذيره ان الله لا يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون
بك وعن النبي صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ
رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس كان رسول الله يحرس حتى نزلت فاخرج
راسه من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وظاهر الاية يوجب تبليغ
كل ما انزل ولعل المراد به تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من
الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اي دين يعتد به ويصح

ان يسمى

ان يسمى شيئا لانه باطل حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها امرة بالايمان بمن صدقه
المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا
منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين فلا تحزن
عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة
لك عنهم ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون
رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين امنوا والذين
هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله ∴ فاني وقيار بها لغريب ∴ وقوله
والا فاعلموا انا وانتم
بغاة ما بقينا في شقاق
وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح
منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون النصارى معطوفا عليه ومن امن خبرهما
وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله ∴ نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف ∴
ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدا
وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التاكيد والفصل ولانه يوجب كون الصا
بئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة
وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا في محل الرفع بالابتداء وخبره
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدا كما مر والراجع محذوف اي من امن منهم
او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة
ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم
يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم
امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف
فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اي رسول منهم
وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استئناف وانما جيء بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال
الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة
على رؤس الاي وحسبوا الا تكون فتنة اي وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب
بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب لا تكون بالرفع على ان ان هي
المخففة من الثقيلة واصله انه لا تكون فخففت ان وحذف ضمير الشان فصار ان لا تكون وادخل
فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيلا له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وان او ان بما في حيزها
ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين او الدلائل والهدى وصموا عن استماع الحق كما فعلوا

حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم اي ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة أخرى وقرئ
بالضم فيهما على أن الله تعالى عماهم وصمهم اي رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية
أعمي وأصم كثير منهم بدل من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم أكلوني البراغيث او خبر
مبتدأ محذوف اي العمي والصم كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لأن تقديم
الخبر في مثله ممتنع والله بصير بما يعملون فيجازيهم على وفق أعمالهم لقد كفر الذين قالوا
إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم أي إني
عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم إنه من يشرك بالله في عبادته او فيما يختص به من
الصفات والأفعال فقد حرم الله عليه الجنة يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فإنها
دار الموحدين ومأواه النار فإنها المعدة للمشركين وما للظالمين من أنصار أي وما لهم أحد ينصرهم
من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على أنهم ظلموا بالإشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل
أن يكون من تمام كلام عيسى وأن يكون من كلام الله نبها على أنهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا
إليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة
اي أحد ثلاثة وهو حكاية عما قال النسطورية والملكانية منهم والقائلون بالأقانيم الثلاثة وما سبق قول
اليعقوبية القائلين بالاتحاد وما من إله إلا إله واحد وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث
أنه مبدأ جميع الموجودات إلا إله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق
وإن لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أي ليمسن الذين
بقوا منهم على الكفر أو ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم
وتنبيها على أن العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله أفلا يتوبون إلى
الله ويستغفرونه أي ألا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والأقوال الزائغة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه
عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله إن تابوا
وفي هذا الاستفهام تعجيب من إصرارهم ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل
أي ما هو إلا رسول كالرسل قبله خصه الله بآيات كما خصهم بها فإن أحيا الموتى على يده فقد أحيا
العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو أعجب وإن خلقه من غير أب فقد خلق آدم من غير أب
وأم وهو أغرب وأمه صديقة كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق او يصدقن الأنبياء كانا يأ
كلان الطعام ويفتقران إليه افتقار الحيوانات بين أولا أقصى ما لهما من الكمال ودل على أنه لا يوجب
لهما الوهية لأن كثيرا من الناس يشاركونهما في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي
أن يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع أمثال هذه الأدلة الظاهرة
فقال انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله
وثم لتفاوت ما بين العجبين أي أن بياننا للآيات عجب وإعراضهم عنها أعجب قل أتعبدون من دون

الله

الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى وهو وإن ملك ذلك بتمليك الله إياه لا
يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة
والسعة وإنما قال ما نظرا إلى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي القدرة عنه رأسا وتنبيها على أنه
من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الألوهية وإنما قدم الضر
لأن التحرز عنه أهم من تحري النفع والله هو السميع العليم بالأقوال والعقائد فيجازي
عليها إن خيرا فخير وإن شرا فشر قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق
أي غلوا باطلا فترفعوا عيسى إلى أن تدعوا له الإلهية أو تضعوه فتزعموا أنه لغير رشدة
وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني أسلافهم وأئمتهم
الذين ضلوا من قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم في شريعتهم وأضلوا كثيرا ممن تابعهم على
بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذي هو الإسلام بعد مبعثه لما كذبوه
وبغوا عليه وقيل الأول إشارة إلى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني إشارة إلى ضلالهم عما جاء به
الشرع لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم أي لعنهم الله في
الزبور والإنجيل على لسانهما وقيل إن أهل أيلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود فمسخهم الله قردة
وأصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ذلك
بما عصوا وكانوا يعتدون أي ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم
ما حرم عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه أي لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر
فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر أرادوا فعله وتهيؤوا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الأمر
وانتهى عنه إذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم ترى كثيرا
منهم من أهل الكتاب يتولون الذين كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله والمؤمنين لبئس
ما قدمت لهم أنفسهم اي لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيامة أن سخط الله عليهم وفي
العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود في العذاب او علة الذم
والمخصوص محذوف اي لبئس شيئا ذلك لأنه كسبهم السخط والخلود ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي
يعني نبيهم وإن كانت الآية في المنافقين فالمراد نبينا وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء إذ الإيمان
يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم لتجدن
أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم
وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم إلى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الأنبياء ومعاداتهم
ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة
حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل وإليه أشار بقوله ذلك بأن منهم قسيسين
ورهبانا وأنهم لا يستكبرون عن قبول الحق إذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود

وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كان من كافر
واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون وهو بيان
لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تاببهم عنه والفيض انصباب عن
امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها مما عرفوا
من الحق من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض
الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله يقولون ربنا آمنا بذلك او بمحمد فاكتبنا مع الشاهدين من
الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيامة وما لنا لا نؤمن
بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين استفهام انكار واستبعاد
لانتفاء الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول في مداخلهم او جواب سائل
قال لهم لم آمنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في اللام من معنى الفعل اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين
بالله اي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره
توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اي ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى
مقيدا بها او نؤمن فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الا
حسان في الامور والايات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله بكتابه فدعا
جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفر ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ
عليهم سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثلاثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله
فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف
التكذيب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض
المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي
ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات
عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله
لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن
تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه
يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين
وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح
ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا
وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي
فليس مني فنزلت وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله

فيكون

فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان تكون من ابتدائية متعلقة
بكلوا ويجوز ان تكون مفعولا وحلالا حال من الموصول او العائد المحذوف او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه
لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم
الله باللغو في ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب
الشافعي وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم
او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه
بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ
حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من
فاعل بمعنى فعل فكفارته اي فكفارة نكثه اي الفعلة التي تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز
التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه الصلاة والسلام من حلف على يمين ورأى
غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير اطعام عشرة مساكين من اوسط
ما تطعمون اهليكم من اقصده في النوع او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند
الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما
تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من سكنها
في الاحوال الثلاث كالالف وهو جمع اهل كالليالي في جمع ليل والاراضي في جمع ارض وقيل جمع اهلاة او كسوتهم
عطف على اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء وازار
وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة او كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا وتقتيرا
تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع وتقديره او اطعامهم كاسوتهم
او تحرير رقبة او اعتاق انسان وشرط الشافعي فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب
احدى الخصال الثلاث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد اي واحدا منها فصيام ثلاثة ايام
فكفارته صيام ثلاثة ايام وشرط ابو حنيفة فيه التتابع لانه قرئ ثلاثة ايام متتابعات والشواذ ليست
بحجة عندنا اذا لم تثبت كتابا ولم ترو سنة ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم اي اذا
حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم
ولم يفت بها خير او بان تكفروها اذا حنثتم كذلك اي مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته
اعلام شريعته لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل
لكم المخرج منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب اي الاصنام التي نصبت للعبادة والازلام
سبق تفسيرها في اول السورة رجس قذر تعاف عنه العقول وافرده لانه خبر الخمر وخبر المعطوفات محذوف
او المضاف محذوف كانه قال انما تعاطي الخمر والميسر من عمل الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه
فاجتنبوه الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطي لعلكم تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب عنه والعلم انه

تعالى اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الاية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالانصاب والازلام وسماهما رجسا
وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما
وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية
للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم
عن ذكر الله وعن الصلوة وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما
المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه الصلاة
والسلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد
عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء
بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف وقال فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر
في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا به واحذروا
ما نهيا عنه او مخالفتهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اي فاعلموا انكم لم
تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم ليس على الذين امنوا
وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم لقوله اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات اي اتقوا
المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وامنوا بتحريمه ثم اتقوا
ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روي انه لما نزل
تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر
فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار الحالات الثلاث استعمال
الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل الايمان
بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قال عليه الصلاة والسلام في تفسيره او باعتبار المراتب
الثلاث المبدا والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب
والشبهات تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن
دنس الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يواخذهم بشيء وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار
محسنا صار لله محبوبا يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم
ورماحكم نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث
يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه
على انه ليس من العظائم التي تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف
يثبت عند ما هو اشد منه ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر
لقوة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك بعد
ذلك الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه في مثل ذلك

ولا يراعي

ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا
الصيد وانتم حرم اي محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكاة للتعميم
واراد بالصيد ما يوكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويويده قوله عليه الصلاة والسلام خمس يقتلن في الحل
والحرم الحداة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما
فيه من التنبيه على جواز قتل كل موذ واختلف في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم
بالميتة ومذبوح الوثني او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب ومن قتله منكم متعمدا
ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف
العامد والمخطي واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الاية نزلت فيمن تعمد
اذ روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت فجزاء مثل ما قتل
من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم
وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم
بها وانما يكون صفته وقرا الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما في قولهم مثلي لا يقول
كذا فالمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي
جزاء يماثل ما قتل وفجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي والقيمة
عند ابي حنيفة وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين ان يهدي ما قيمته
قيمته وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم
عن طعام كل مسكين يوما وان لم تبلغ تخير بين الاطعام والصوم واللفظ للاول اوفق يحكم به ذوا
عدل منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضميره في خبره او منه اذا اضفته او وصفته ورفعته
بخبر مقدر [illegible] وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد تحتاج المماثلة في الخلقة والهيئة اليهما فان
الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الامام هديا حال من الهاء في به او من جزاء وان
نون لتخصصه بالصفة او بدل من مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالغ الكعبة وصف به هديا
لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثم قال ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق
به حيث شاء او كفارة عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف طعام مساكين عطف
بيان او بدل منه او خبر محذوف اي هي طعام وقرا نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك
خاتم فضة والمعنى عند الشافعي او ان يكفر باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي
كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما او ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل
مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدلي الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما
تمييز للعدل ليذوق وبال امره متعلق بمحذوف اي فعليه الجزاء او الطعام او الصيام ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة
هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله تعالى واصل الوبال الثقل ومنه الطعام الوبيل عفا الله عما سلف

من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل التحريم او في هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو
ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة عن العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام
ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله
صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل يحل
السمك وما يؤكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله
متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض وللسيارة اى ولسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم
عليكم صيد البر اى ما صيد فيه او الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال
وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله صلى الله عليه وسلم لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه
او يصد لكم ما دمتم حرما اى محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله الذي اليه تحشرون
جعل الله الكعبة صيرها وانما سمي البيت كعبة لتكعبه البيت الحرام عطف بيان على
جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا لهم اى سبب انتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم
يلوذ به الخائف ويامن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما تقوم به امر دينهم
ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعل في فعله ونصبه على
المصدر او الحال والشهر الحرام والهدي والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدى
فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر
بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان شرع الاحكام
لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل
شيء عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله
غفور رحيم وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه
ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر به اى الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم
يبق لكم عذر في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة
قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله بين الردي من الاشخاص والاعمال
والاموال وجيدها رغب به في صالح العمل وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة
والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال
فاتقوا الله يا اولي الالباب اى فاتقوه في تحري الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل لعلكم
تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روي انها نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم
فنهوا عنه وان كانوا مشركين يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم
وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء
والمعنى لا تسألوا رسول الله عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم

وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع
كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعل لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشيء على ان اصله شيئ او شيء
كصديق فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه عفا الله عنها صفة
اخرى اى عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت
قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت
ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت او استئناف اى عفا الله عما سلف من مسألتكم
فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن
عباس انه عليه الصلاة والسلام كان يخطب ذات يوم وهو غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم
فقال لا اسأل عن شيء الا اجبت فقال رجل اين ابي فقال في النار وقال آخر من ابي فقال حذافة وكان
يدعى لغيره فنزلت قد سألها قوم الضمير للمسألة التي دل عليها تسألوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء
بحذف الجار من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة
ولا حالا منها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا بها كافرين اى بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا او جحدوا
ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو
انهم اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اى شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب
وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت
الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لالهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها فلا يذبح
لها الذكر واذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا
قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة
ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم لا
يعقلون اى الحلال من الحرام والمبيح من المحرم او الامر من الناهي ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم
من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به واذا قيل لهم
تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لقصور عقولهم
وانهماكهم في التقليد وان لا سند لهم سواه اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون
الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال اى احسبهم ما وجدوا عليه آباؤهم ولو
كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة
فلا يكفي التقليد يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم اى احفظوها والزموا اصلاحها والجار
مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء لا يضركم من ضل اذا
اهتديتم لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه
الصلاة والسلام من رأى منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان

لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا
اسلم قالوا له سفهت اباءك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستانف ويؤيده ان قرئ لا يضيركم
والجزم على الجواب والنهي لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وتنصره قراءة من
قرأ لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم
بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره يا ايها الذين امنوا
شهادة بينكم اي فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد في الوصية واضافتها الى الظرف
على الاتساع وقرئ بالنصب والتنوين على ليقم اذا حضر احدكم الموت اذا شارفه وظهرت اماراته وهو
ظرف للشهادة حين الوصية بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغي ان لا يتهاون فيه او ظرف
حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف ذوا عدل منكم اي من اقاربكم
او من المسلمين وهما صفتان لاثنين او اخران من غيركم عطف على اثنين ومن فسر الغير باهل الذمة
جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم في الارض اي سافرتم فيها
فاصابتكم مصيبة الموت اي قاربتم الاجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما صفة لاخران والشرط بجوابه
المحذوف المدلول عليه بقوله او اخران من غيركم اعتراض فائدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم
فان تعذر كما في السفر فمن غيركم او استئناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما من
بعد الصلوة صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اي صلوة فيقسمان
بالله ان ارتبتم اي ارتاب الوارث منكم لا نشتري به ثمنا مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم
بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبا لطمع ولو كان ذا
قربى ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اي لا نشتري ولا نكتم شهادة الله اي
الشهادة التي امر الله باقامتها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ الله بالمد على حذف حرف القسم
وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الاثمين اي ان كتمنا
وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر فان اطلع على انهما
استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما كتحريف فاخران فشاهدان اخران يقومان مقامهما من الذين
استحق عليهم من الذين جني عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان
الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف اي هما الاوليان او خبر اخران او مبتدأ خبره اخران
او بدل منهما او من الضمير في يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة الذين
او بدل منه اي من الاولين الذين استحق عليهم وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان
واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اصدق منها واولى بان
تقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا فيها الحق انا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين
انفسهم ان اعتدينا ومعنى الايتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي

نسبة

نسبة او دينة على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر فاخرين من غيرهم
ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع على كذبهما بامارة
او مظنة حلف اخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا
يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين
فان تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغيير الدعوى اذ روي ان تميما الداري وعدي بن يزيد
خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما
قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان
يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب
فغيباه فاصاب اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله فنزلت يا ايها الذين امنوا
الاية فحلفهما رسول الله بعد صلوة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما فاتاهما
بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى
رسول الله فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان فحلفا واستحقاه
ولعل تخصيص العدد فيهما لخصوص الواقعة ذلك اي الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهد ادنى ان ياتوا
بالشهادة على وجهها على نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم
ان ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير
لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدي القوم
الفاسقين فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم
الى حجة او الى طريق الجنة يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل
الاشتمال او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اي واسمعوا خبر يوم جمعهم او منصوب باضمار اذكر
فيقول للرسل ماذا اجبتم اي اجابة اجبتم على ان ماذا في موضع المصدر او باي شيء اجبتم فحذف
الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا لا علم لنا اي
لا علم لنا بما انت تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما نعلمه مما اجابونا واظهروا لنا وما لم نعلمه
مما اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي منهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب
علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله
انك انت اي انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او النداء وقرأ ابو بكر
وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث وقع اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى
والدتك بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه سبحانه وتعالى يوبخ الكفرة
يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الايات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة
وغلا اخرون واتخذوهم الهة او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك قويتك وهو ظرف لنعمتي او حال منه

وقرئ ايدتك بروح القدس بجبريل عليه السلام او بالكلام الذي يحيى به الدين او النفس حيوة
ابدية وتطهر من الآثام ويؤيده قوله تكلم الناس في المهد وكهلا اي كائنا في المهد وكهلا والمعنى
تكلمهم في الطفولة والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولة بحال الكهولة في كمال العقل
والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية
والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ
الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني سبق تفسيره في سورة ال عمران وقرا نافع
ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا
بقتله اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين كفروا منهم ان هذا اي ما هذا الذي جئت
به الا سحر مبين وقرا حمزة والكسائي الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه السلام واذ اوحيت الى الحواريين
اي امرتهم على السنة الرسل ان امنوا بي وبرسولي يجوز ان تكون ان مصدرية وان تكون مفسرة
قالوا امنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم منصوب
باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل
علينا مائدة من السماء لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه
الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك اي هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع
كاستجاب واجاب وقرا الكسائي هل تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف
والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من
تقدم اليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين بكمال
قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعاء الايمان قالوا نريد ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان لما
دعاهم الى السؤال وهو ان نتمتع بالاكل منها وتطمئن قلوبنا بانضمام العلم المشاهدة الى علم الاستدلال
بكمال قدرته ونعلم ان قد صدقتنا في ادعاء النبوة وان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من
الشاهدين اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر قال عيسى ابن مريم لما راى
ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه واراد الزامهم الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل
علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد
ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر لاولنا واخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا
لمتقدمينا ومتأخرينا روي انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل ياكل منها اولنا واخرنا
وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة او الطائفة واية عطف على عيدا منك صفة لها اي اية كائنة منك
دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين خير من يرزق لانه
خالق الرزق ومعطيه بلا عوض قال الله اني منزلها عليكم اجابة الى سؤالكم وقرا نافع وابن
عامر وعاصم منزلها بالتشديد فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا ويجوز

ان يجعل

ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه الضمير للمصدر او للعذاب وان اريد ما يعذب به على
حذف حرف الجر احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير
ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روي انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت
بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة
ثم قام فتوضا وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس
ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث
واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن
وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة قال ليس منهما
ولكنه اخترعه الله سبحانه بقدرته كلوا ما سالتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح
الله لو اريتنا من هذه الاية اية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي
كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تاتيهم اربعين يوما
غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار ياكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون
في ظلها ولم ياكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى
ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم
ثلاثمائة وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن
مجاهد ان هذا مثل ضربه الله لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق
المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقائق
لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى ان حصل لكم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا
من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسال لاجل اقتراحهم فبين الله ان انزاله
سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لم يحتمله
ولم يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا واذ قال الله يا عيسى ابن مريم اانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة
اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة
فمن عبده مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان
باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله تعالى وكانه قيل اتخذوني وامي
الهين متوصلين بنا الى الله قال سبحانك اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون
لي ان اقول ما ليس لي بحق ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت قلته فقد
علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه
ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات انك انت

علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه ما قلت لهم الا ما امرتني به تصريح بنفي المستفهم
عنه بعد تقديم ما يدل عليه ان اعبدوا الله ربي وربكم عطف بيان للضمير في به او بدل منه وليس
من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني
ولا يجوز ابداله بما امرتني به ان اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اي رقيبا عليهم امنعهم
ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتني بالرفع الى السماء لقوله اني
متوفيك ورافعك والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها
والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب عليهم المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من
القول به بالارشاد الى الادلة والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الايات وانت على كل شيء شهيد
مطلع عليه مراقب له ان تعذبهم فانهم عبادك اي ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض
على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوي على الثواب
والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت
فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد
والتعليق بان قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرأ نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال
وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذي من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل
انه خبر ولكن بني على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق
في الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي
الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان للنفع لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على
كل شيء قدير تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا
للعقلاء وقال وما فيهن اتباعا لهم غير اولي العقل اعلاما بانهم في غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول
عن رتبة العبودية واهانة بهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها
فهو اولى بارادة العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي
عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا ::

سورة الانعام مكية غير ست ايات او ثلث من قوله تعالى وايها مائة وخمس وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق
له على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات

دون

دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الاثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو
مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور انشأهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد
ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها
على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او لان
المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات
ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الاية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم
حتى لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله
حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم
تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر او على قوله
خلق على معنى انه سبحانه وتعالى خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه
ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاولى متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة
اي يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون
بربهم الاوثان اي يسوونها به هو الذي خلقكم من طين اي ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى
فان ادم الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف ثم قضى اجلا اجل الموت واجل
مسمى عنده اجل القيامة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق
لاخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن يأتي
واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر
ووصف بانه مسمى اي مثبت معين لا يقبل التغير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم
ولا قدرة ولانه المقصود بيانه ثم انتم تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم
وخالق اصولهم ومحييهم الى اجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحياة فيها وابقائها
ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالاية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث
والامتراء الشك واصله المري وهو استخراج اللبن من الضرع وهو الله الضمير لله والله خبره في
السموات وفي الارض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله تعالى وهو الذي
في السماء اله وفي الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هي الخبر والله
بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد
فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان
وتقرير له وليس متعلقا بالمصدر لان صلته لا تتقدم ويعلم ما تكسبون من خير او شر فيثيب
عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال النفس وبالمكتسب اعمال الجوارح
وما تأتيهم من اية من ايات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اي ما يظهر

هم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او اية من ايات القران الا كانوا عنها معرضين تاركين
للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يعني القران وهو كاللازم مما قبله كانه
قيل انهم لما كانوا معرضين عن الايات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا
عن القران وكذبوا به وهو اعظم الايات فكيف لا يعرضون عن غيره ولذلك رتب عليه بالفاء فسوف ياتيهم
انباء ما كانوا به يستهزءون اي سيظهر لهم ما كانوا به يستهزءون عند نزول العذاب بهم في الدنيا
والاخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن اي من اهل زمان
والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهي سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في
العلم قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم في الارض جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها
او اعطيناهم من القوى والالات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم
من السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب
وارسلنا السماء عليهم اي المطر او السحاب او المظلة فان مبدا المطر منها مدرارا مغزارا وجعلنا الانهار
تجري من تحتهم فعاشوا في الخصب والريف بين الانهار والثمار فاهلكناهم بذنوبهم اي لم يغن ذلك
عنهم شيئا وانشانا واحدثنا من بعدهم قرنا اخرين بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم
كعاد وثمود وينشئ مكانهم اخرين يعمر بهم بلاده قدر ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس
مكتوبا في رق فلمسوه بايديهم فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما
سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدي لدفع التجوز فانه قد يتجوز به
للفحص كقوله وانا لمسنا السماء لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا
انزل عليه ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبي كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا
ولو انزلنا ملكا لقضي الامر جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك
لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون
بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب
ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا
انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه
او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في صورة دحية فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك
في صورته وانما راهم كذلك الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف اي ولو جعلناه
رجلا للبسنا اي لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام
واحدة وللبسنا بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عما يرى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون فاحاط بهم الذي كانوا
يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف

كان

كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله بعذاب الاستئصال كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله
قل سيروا في الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير
للتجارة وغيرها وايجاب النظر في اثار الهالكين قل لمن ما في السموات والارض خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت
قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب
على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته
والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر ليجمعنكم الى يوم القيمة استئناف
وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي ليجمعنكم في القبور مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على
شرككم او في يوم القيمة والى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فانه من رحمته بعثه اياكم
وانعامه عليكم لا ريب فيه في اليوم او الجمع الذين خسروا انفسهم بتضييع راس مالهم وهو الفطرة
الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم او رفع على الخبر اي انتم الذين او على الابتداء
والخبر فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل
باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من
الايمان وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديته بفي كما في قوله
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون اي ما سكن فيهما وتحرك
فاكتفى باحد الضدين عن الاخر وهو السميع لكل مسموع العليم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء
ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم قل اغير الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ
غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم واولى الهمزة والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى
الشرك فاطر السموات والارض مبدعهما وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني
اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتداتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى
الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا
يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان
الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية
وبنائهما للفاعل على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم
اخرى كقوله تعالى يقبض ويبسط قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي سابق
امته في الدين ولا تكونن من المشركين وقيل لي لا تكونن ويجوز عطفه على قل قل اني
اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم
بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف
دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ اي يصرف العذاب عنه وقرا حمزة والكسائي ويعقوب
وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف

او يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز المبين اي الظفر والنجاة وان يمسسك
الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا كاشف له فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير بنعمة
كصحة وغنى فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله
تعالى فلا راد لفضله وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم
في امره وتدبيره الخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل اي شيء اكبر شهادة نزلت حين قالت
قريش يا محمد لقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من
يشهد لك انك رسول الله والشيء يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه في سورة البقرة قل الله
اي الله اكبر شهادة ثم ابتدا شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو
الجواب لانه سبحانه وتعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شيء شهادة واوحي الي هذا القران لانذركم به
اي بالقران واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة
وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم به ايها الموجودين ومن بلغه الى يوم القيمة وهو
دليل على ان احكام القران تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ بها من لم تبلغه ائنكم
لتشهدون ان مع الله الهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون قل انما
هو اله واحد اي بل اشهد ان لا اله الا هو وانني بريء مما تشركون به من الاصنام الذين اتيناهم
الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله بحليته المذكورة في التورية والانجيل كما يعرفون ابناءهم
بحلاهم الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به يكتسب
الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله
او كذب باياته كان كذبوا القران والمعجزات وسموها سحرا او ما ذكرا وهم قد جمعوا بين الامرين
نبها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس انه الضمير للشان لا يفلح الظالمون
فضلا عمن لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم نقول للذين اشركوا
اين شركاؤكم اي الهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقرا يعقوب يحشرهم ويقول بالياء الذين
كنتم تزعمون اي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال
بينهم وبين الهتهم حينئذ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن
لما لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اي كفرهم والمراد عاقبته
وقيل معذرتهم التي يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنة الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة
لانه كذب او لانهم قصدوا به الخلاص وقرا ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على
انها الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر عنه بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا وانما انث لتانيث الخبر كقولهم
من كانت امك والباقون بالياء والنصب والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع
علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود

وقيل

وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم اي بنفي
الشرك عنها وحمله على كذبهم في الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرا حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء والمدح وضل عنهم ما كانوا
يفترون من الشركاء ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القران والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة
وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فاستمعوا رسول الله يقرا فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي جعلها
بيته ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه وهو يقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم وجعلنا على قلوبهم
اكنة اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشيء ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا
يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك في اول البقرة وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم
واستحكام التقليد فيهم حتى اذا جاءوك يجادلونك اي بلغ تكذيبهم الايات الى انهم جاءوك يجادلونك
وحتى هي التي تقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا ان هذا الا
اساطير الاولين فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم
ويجوز ان تكون الجارة واذا جاءوك في موضع الجر ويجادلونك حال ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع
اسطورة او اسطارة او اسطار جمع سطر واصله السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه اي ينهون الناس
عن القران او الرسول والايمان به وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله وينأون
عنه فلا يؤمنون به كابي طالب وان يهلكون وما يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون
ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على النار جوابه محذوف اي لو تراهم حين يوقفون
على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرايت امرا شنيعا وقرئ وقفوا
على البناء للفاعل من وقف عليه فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بايات
ربنا ونكون من المؤمنين استئناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعني ولا اعود اي وانا
لا اعود تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون في حكم التمني وقوله وانهم لكاذبون
رجع الى ما تضمنه التمني من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو
واجراها مجرى الفاء وقرا ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثاني على الجواب بل بدا لهم ما
كانوا يخفون من قبل الاضراب عن ارادة الايمان المفهومة من التمني والمعنى انه ظهر لهم ما
كانوا يخفون من نفاقهم وقبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لامنوا ولو ردوا
اي الى الدنيا بعد الوقوف والظهور لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون
فيما وعدوا به من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا وعلى انهم لكاذبون او على نهوا او الاستئناف بذكر
ما قالوه في الدنيا ان هي الا حياتنا الدنيا الضمير للحيوة وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا
على ربهم مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه
حق التعريف قال اليس هذا بالحق كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع

على التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين لانجلاء
الامر غاية الانجلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او ببدله
قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث
وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له بغتة فجاءة
ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجيء قالوا يا حسرتنا اي تعالي فهذا اوانك على ما فرطنا
قصرنا فيها في الحيوة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او في الساعة يعني في شانها والايمان
بها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام الا ساء ما يزرون
بئس شيء يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو اي وما اعمالها الا لعب ولهو يلهي
الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا
وللدار الآخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه
على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة افلا يعقلون اي الامرين
خير وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب الحا
ضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله ولكنه
قد يهلك المال نائله والهاء في انه للشان وقرئ ليحزنك من احزن فانهم لا يكذبونك في الحقيقة وقرأ
نافع والكسائي لا يكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين بآيات
الله يجحدون ولكنهم يجحدون آيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع المضمر للدلالة على انهم
ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب روي ان ابا جهل كان
يقول ما نكذبك وانك عندنا الصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل من
قبلك تسلية لرسول الله وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس لنفي تكذيبه مطلقا فصبروا
على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصبر حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء
بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين الآيات ولقد جاءك من نبإ المرسلين اي بعض قصصهم وما كابدوا من قومهم كلمات
وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان
تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم
آية او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها آية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة لسلما ويجوز
ان يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل والجملة
جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من
فوق السماء لأتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي ولو شاء جمعهم على الهدى لوفقهم
للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم تتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء لجمعهم على الهدى

بان

بان يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين بالحرص على
ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فان ذلك من داب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون انما
يجيب الذين يسمعون بفهم وتامل كقوله او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون والموتى
يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل عليه
آية من ربه اي آية مما اقترحوه او آية اخرى سوى ما انزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم
بها عنادا قل ان الله قادر على ان ينزل آية مما اقترحوه او آية تضطرهم الى الايمان كنتق
الجبل او آية ان جحدوها هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على انزالها وان
انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف
والمعنى واحد وما من دابة في الارض تدب على وجهها ولا طائر يطير بجناحيه في الهواء وصفه به
قطعا لمجاز السرعة ونحوها وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل الا امم امثالكم محفوظة احوالها
مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون
كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم للحمل على المعنى ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني
اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او
القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع
المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف
ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء
وعن ابن عباس حشرها موتها والذين كذبوا بآياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على
ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات
خبر ثالث اي خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون
حالا من المستكن في الخبر من يشإ الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ومن يشأ
يجعله على صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه قل ارأيتكم استفهام تعجيب والكاف
حرف خطاب اكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول ارأيتك زيدا ما شانه فلو جعلت
الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلاثة مفاعيل وللزم في الآية ان يقال ارأيتموكم بل الفعل
معلق او المفعول محذوف تقديره ارأيتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها وقرأ نافع ارايتكم وارايت وارايتم
وشبهها اذا كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة التي بعد الراء والكسائي يحذفها اصلا والباقون يحققونها
وحمزة اذا وقف وافق نافعا ان اتاكم عذاب الله كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة
وهولها ويدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت لهم ان كنتم صادقين ان الاصنام آلهة وجوابه
محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة
التخصيص فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان يتفضل عليكم ولا يشاء في

الآخرة وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول أنه القادر على كشف
الضر دون غيره أو تنسونه من شدة الأمر وهوله ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك أي قبلك ومن
زائدة فأخذناهم أي فكفروا وكذبوا المرسلين فأخذناهم بالبأساء بالشدة والفقر والضراء
والضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم
فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم ولكن
قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم
عن التضرع وأنه لا مانع لهم إلا قساوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما
نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء من أنواع
النعم مراوحة عليهم بين نوبتي الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء إلزاما للحجة وإزاحة
للعلة أو مكرا بهم لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا
بالتشديد في جميع القرآن ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذي في الأعراف حتى إذا فرحوا بما أوتوا
من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم والقيام بحقه أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون
متحسرون آيسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا أي آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد من دبره دبرا ودبورا
إذا تبعه والحمد لله رب العالمين على إهلاكهم فإن هلاك الكفار والعصاة من حيث إنه تخلص لأهل
الأرض من شؤم عقائدهم وأعمالهم نعمة جليلة يحق أن يحمد عليها قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم
وأبصاركم أصمكم وأعماكم وختم على قلوبكم بأن يغطي عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم
من إله غير الله يأتيكم به أي بذلك أو بما أخذ وختم عليه أو بأحد هذه المذكورات انظر كيف
نصرف الآيات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة
بالتنبيه والتذكير بأحوال المتقدمين ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الإعراض بعد تصريف
الآيات وظهورها قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة أو جهرة بتقدمة
أمارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا أو نهارا وقرئ بغتة أو جهرة هل يهلك أي ما يهلك به هلاك سخط
وتعذيب إلا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء وما نرسل
المرسلين إلا مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى
بهم فمن آمن وأصلح ما يجب إصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم
يحزنون بفوت الثواب والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا لهم كأنه
الطالب للوصول إليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم
عن التصديق والطاعة قل لا أقول لكم عندي خزائن الله مقدوراته أو خزائن رزقه ولا
أعلم الغيب ما لم يوح إلي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول ولا أقول لكم إني
ملك أي من جنس الملائكة أو أقدر على ما يقدرون عليه إن أتبع إلا ما يوحى إلي تبرأ عن دعوى الألوهية

والملكية

والملكية وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر رد لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه
قل هل يستوي الأعمى والبصير مثل للضال والمهتدي والجاهل والعالم أو مدعي المستحيل كالألوهية
والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة أفلا تتفكرون فتهتدوا أو فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل أو
فتعلموا أن اتباع الوحي مما لا محيص عنه وأنذر به الضمير لما يوحى إلى الذين يخافون أن يحشروا
إلى ربهم هم المؤمنون المفرطون في العمل أو المجوزون للحشر مؤمنا كان أو كافرا مقرا به أو مترددا
فيه فإن الإنذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع
في موضع الحال من يحشروا فإن المخوف هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون لكي يتقوا ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي بعدما أمره بإنذار غير المتقين ليتقوا أمره بإكرام المتقين
وتقريبهم وأن لا يطردهم ترضية لقريش روي أنهم قالوا لو طردت هؤلاء الأعبد يعنون
فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا إليك وحادثناك فقال ما أنا بطارد المؤمنين
قالوا فأقمهم عنا إذا جئناك قال نعم وروي أن عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر إلى ماذا
يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل
صلاة الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة هنا وفي الكهف يريدون وجهه حال من يدعون
أي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالإخلاص تنبيها على أنه ملاك الأمر ورتب النهي عليه إشعارا
بأنه يقتضي إكرامهم وينافي إبعادهم ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم
من شيء أي ليس عليك حساب إيمانهم فلعل إيمانهم عند الله أعظم من إيمان من تطردهم بسؤالهم
طمعا في إيمانهم لو آمنوا أو ليس عليك اعتبار بواطنهم وإخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين وإن كان
لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم إليك كما أن
حسابك عليك لا يتعداك إليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم أي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى
لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك إيمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه فتطردهم
فتبعدهم وهو جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على
وجه التسبب وفيه نظر وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف أحوال الناس
في أمور الدنيا فتنا أي ابتلينا بعضهم ببعض في أمر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على أشراف قريش بالسبق
إلى الإيمان ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أي أهؤلاء من أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق
لما يسعدهم دوننا ونحن الأكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو إنكار لأن يخص هؤلاء
من بينهم بإصابة الحق والسبق إلى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا إليه واللام للعاقبة أو للتعليل على أن
فتنا متضمن معنى خذلنا أليس الله بأعلم بالشاكرين بمن يقع منه الإيمان والشكر فيوفقه
وبمن لا يقع منه فيخذله وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب
ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالإيمان بالقرآن

واتباع الحجج بعد ما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره ان يبدأ بالتسليم او يبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم
بسعة رحمة الله وفضله بعد النهي عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك
ينبغي ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة وقيل ان قوما
جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت
انه من عمل منكم سوءا استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح
على البدل منها بجهالة في موضع الحال اي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد
كعمر رضي الله عنه فيما اشار اليه او متلبسا بفعل الجهالة فان ارتكاب ما يؤدي الى الضرر من افعال اهل
السفه والجهل ثم تاب من بعده بعد العمل او السوء واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه فانه
غفور رحيم فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدأ او خبر اي فامره او فله غفرانه وكذلك
ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الآيات آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين
ولتستبين سبيل المجرمين قرأ نافع بالتاء والنصب على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا
منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم
برفعه على معنى ولتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان
يعطف على علة مقدرة اي نفصل الآيات ليظهر الحق وليستبين قل اني نهيت صرفت وزجرت بما نصب
لي من الادلة وانزل علي من الآيات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة
ما تعبدون من دون الله او ما تدعونها آلهة اي تسمونها قل لا اتبع اهواءكم تاكيد لقطع اطماعهم
واشارة الى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وان ما هم
عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد قد ضللت اذا اي ان اتبعت
اهواءكم فقد ضللت وما انا من المهتدين اي في شيء من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض
بانهم كذلك قل اني على بينة تنبيه على ما يجب اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من بعد ما بين ما يجوز اتباعه
الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحي او الحجج العقلية او ما يعمها من ربي من معرفته وانه لا معبود سواه
ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذبتم به الضمير لربي اي كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة باعتبار
المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله في تعجيل العذاب وتاخيره يقص الحق اي القضاء الحق
او يتبع الحق والحكمة فيما يقدره من قولهم قص الاثر اذا تتبعها فيما يقضي من تعجيل وتاخير واصل القضاء
الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكأنه منع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر
او قص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين قل لو ان عندي اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به
من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم
والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك كانه قال ولكن الامر الى الله سبحانه وتعالى وهو اعلم

بمن

بمن ينبغي ان يؤخذ وبمن ينبغي ان يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو
المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتح الذي هو جمع مفتح بكسر الميم وهو المفتاح ويؤيده
انه قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما في
تعجيلها وتاخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه
تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما في البر والبحر عطف للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات
على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به وما تسقط من ورقة الا يعلمها الا في كتاب
مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله تعالى او بدل الاشتمال ان اريد
به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة او للابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم
بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز
فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار
بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي فيه في النهار ليقضى
اجل مسمى ليبلغ المتيقظ آخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم
بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون
للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم
من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضي الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم
ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم
حفظة ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب
عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على
عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم الموت
توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرأ حمزة توفاه بالف ممالة وهم لا يفرطون بالتواني والتاخير
وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه
مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم
يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب
عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة
لمشاركتهما في الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف
في البر والغرق في البحر وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين
ومسرين او اعلانا واسرارا وقرأ ابو بكر هنا وفي الاعراف خفية بالكسر وقرئ خيفة لئن انجيتنا من هذه
لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اي تقولون لئن انجيتنا وقرأ الكوفيون لئن انجانا
ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدد الكوفيون وهشام

وخففه الباقون ومن كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد
وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك في عبادة الله فكانه لم يشكره قل هو القادر
على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم
كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم
او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب القتال بينكم قال

وكتيبة لبستها بكتيبة ∴ حتى اذا التبست نفضت لها يدي ∴

ويذيق بعضكم بأس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد
لعلهم يفقهون وكذب به قومك اي بالعذاب او بالقران وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق
قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله
الحفيظ لكل نبأ خبر يريد اما العذاب او الايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف
تعلمون عند وقوعه في الدنيا او الاخرة واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا بالتكذيب والاستهزاء
بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره اعاد الضمير على
معنى الآيات لانها القران واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي وقرأ ابن
عامر ينسّينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم الظالمين اي معهم فوضع
الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام
وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين من قبائح اعمالهم وخوضهم الذين يجالسونهم من حسابهم من
شيء شيء مما يحاسبون عليه ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن
الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم
ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان من حسابهم يأباه ولا على شيء لذلك ولان من لا تزاد في الاثبات
لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى
لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تنثلم بمجالستهم روي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا
بالقران لم نستطع ان نجلس في المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي بنوا امر
دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب
او اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم
زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم
كقوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا باية السيف حمله على الامر بالكف عنهم
وترك التعرض لهم وغرتهم الحياة الدنيا حتى انكروا البعث وذكر به اي بالقران ان تبسل
نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك وترتهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع
ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك

اي حرام

اي حرام ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع يدفع عنها العذاب وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء
والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسند الى منها لا الى
ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اي سلموا الى العذاب
بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون
تأكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم قل اندعو
اتعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا ونرجع الى
الشرك بعد اذ هدانا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت
به مردة الجن في المهامه استفعال من هوى يهوي هويا اذا ذهب وقرأ حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف
النصب على الحال من فاعل نرد اي مشبهين الذي استهوته او على المصدر اي ردا مثل رد الذي استهوته في
الارض حيران متحيرا ضالا عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوى رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوا
الطريق المستقيم او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا
قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين من
جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اي امرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء وقيل زائدة
وان اقيموا الصلاة واتقوه عطف على لنسلم اي للاسلام ولاقامة الصلاة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان
نسلم وان اقيموا روي ان عبد الرحمن بن ابي بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول
بهذا القول اجابة عن الصديق تعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذي كان بينهما وهو الذي اليه تحشرون يوم
القيامة وهو الذي خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق والحكمة ويوم يقول كن فيكون قوله
الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اي قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات
والارضين وقوله نافذ في الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او الهاء في واتقوه او بمحذوف
دل عليه الحق وقوله الحق مبتدأ وخبر او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اي لقضائه كن فيكون
والمراد به حين يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الاموات واحياؤها وله الملك
يوم ينفخ في الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اي هو عالم الغيب
وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للآية واذ قال ابراهيم لابيه آزر عطف بيان لابيه وفي كتاب
التواريخ ان اسمه تارخ فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارخ وآزر وصف معناه الشيخ
او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه او نعت مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه علم
اعجمي على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف
وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اي تعبد آزر ثم قال اتتخذ اصناما آلهة
تفسير وتقرير ويدل عليه انه قرئ أأزرا تتخذ اصناما بفتح همزة آزر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ
يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم اني اراك وقومك في ضلال عن الحق مبين ظاهر

الضلالة وكذلك نري ابرهيم ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى بالتاء
ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية ملكوت السموات والارض ربوبيتها وملكها وقيل
عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون من الموقنين اي ليستدل وليكون
او وفعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي تفصيل وبيان لذلك
وقيل عطف على قال ابرهيم وكذلك نري اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب
فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره
بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشتري وقوله هذا ربي على سبيل الوضع فان المستدل على فساد
قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان
مراهقته او اول اوان بلوغه فلما افل اي غاب قال لا احب الافلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال
والاحتجاب بالاستتار يقتضي الامكان والحدوث وينافي الالوهية فلما راى القمر بازغا مبتدئا في الطلوع
قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين استعجز نفسه واستعان
بربه في درك الحق فانه لا يهتدي اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغيره لا
يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي ذكر اسم الاشارة
لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التانيث هذا اكبر كبره استدلالا واظهارا لشبهة الخصم فلما
افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها
بما يخصصها به ثم لما تبرا منها توجه الى موجدها ومبدعها الذي دلت هذه الممكنات عليه قال اني
وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وانما احتج بالافول
دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه راى الكوكب الذي يعبدونه في وسط السماء
حين حاول الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه في التوحيد قال اتحاجوني في الله في وحدانيته وقرا
نافع وابن عامر بخلاف عن هشام بتخفيف النون وقد هدان الى توحيده ولا اخاف ما تشركون
به اي لا اخاف معبودكم في وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان يشاء ربي شيئا ان يصيبني
بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه عن الهتهم وتهديد لهم بعذاب الله وسع ربي كل
شيء علما كانه علة الاستثناء اي احاط به علما فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق بي مكروه من جهتها
افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم
ولا يتعلق به ضر ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه
اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع ما لم ينزل به عليكم
سلطانا ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا فاي الفريقين احق بالامن اي الموحدين
او المشركون وانما لم يقل ايا انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه ان كنتم تعلمون ما يحق
ان يخاف منه الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون

استئناف

استئناف منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روي ان الاية لما نزلت
شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عليه الصلاة والسلام ليس ما تظنون انما هو ما
قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان تصدق بوجود الصانع
الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به ابرهيم على قومه
من قوله فلما جن الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجوني اليه حجتنا اتيناها ابرهيم ارشدناه
اليها او علمناه اياها على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله اي اتيناها
ابرهيم حجة على قومه نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة وقرا الكوفيون ويعقوب بالتنوين
ان ربك حكيم في رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده له ووهبنا له اسحق
ويعقوب كلا هدينا اي كلا منهما ونوحا هدينا من قبل من قبل ابرهيم عد هداه نعمة على ابرهيم
من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابرهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح
لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابرهيم فلو كان لابرهيم اختص البيان بالمعدودين
في تلك الاية والتي بعدها والمذكورون في الاية الثالثة عطف على نوحا داود وسليمان وايوب ايوب
ابن اموص من اسباط عيص بن اسحق ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين اي
ونجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابرهيم برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى
وعيسى هو ابن مريم وفي ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت والياس قيل هو ادريس جد
نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الاية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى كل من الصالحين
الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل واليسع هو اليسع بن اخطوب
وقرا حمزة والكسائي والليسع وعلى القراءتين هو علم اعجمي ادخل عليه اللام كما ادخل على اليزيد في قوله:

رايت الوليد بن اليزيد مباركا … شديدا باعباء الخلافة كاهله

ويونس هو يونس بن متى ولوطا هو ابن هاران اخي ابرهيم وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة
وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم عطف على كلا او نوحا
اي فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض اباءهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا
مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا
اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدي به من يشاء من عباده دليل على انه متفضل بالهداية
ولو اشركوا اي ولو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون
لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين اتيناهم الكتاب يريد به الجنس والحكم
الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة فان يكفر بها اي بهذه الثلاثة هؤلاء
يعني قريشا فقد وكلنا بها اي بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم
وقيل هم الانصار واصحاب النبي وكل من امن به او الفرس وقيل الملائكة اولئك الذين هدى الله يريد

الانبيا المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص طريقهم بالاقتدا والمراد بهداهم ما توافقوا
عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن
التاسي بهم جميعا فليس فيه دليل على انه عليه الصلاة والسلام متعبد بشرع من قبله والها في اقتده
للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف
ويحذف الها في الوصل خاصة حمزة والكسائي واشبعها بالكسر ابن عامر برواية ابن ذكوان على انها كناية
المصدر وكسرها بغير اشباع برواية هشام قل لا اسئلكم عليه اي على التبليغ او القران اجرا
جعلا من جهتكم كما لم يسئل من قبلي من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتدا بهم فيه ان هو اي
التبليغ او القران او الغرض الا ذكرى للعالمين الا تذكيرا وعظة لهم وما قدروا الله حق قدره
وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي
حين انكروا الوحي وبعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته او في السخط على الكفار وشدة
البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال
القران بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا
وهدى للناس وقراءة الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وانما قرا بالياء
ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سو جهلهم للتورية وذمهم على تجزيتها
بابدا بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفا بعض لا يشتهونه وروي ان مالك بن الصيف قاله
لما اغضبه الرسول بقوله انشدك الله الذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر
السمين قال نعم ان الله يبغض الحبر السمين قال عليه الصلاة والسلام فانت الحبر السمين وقيل هم المشركون
والزامهم بانزال التورية لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل
علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا انتم ولا
اباؤكم زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليكم وعلى ابائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره
ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن امن من قريش
قل الله اي انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها
على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم في خوضهم في اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ
والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من المفعول او فاعل يلعبون
او من هم الثاني والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق
الذي بين يديه يعني التورية او الكتب التي قبله ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات
ولتنذر او علة محذوف اي ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى ومحجهم
ومجتمعهم واعظم القرى شانا وقيل لان الارض دحيت من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرا ابو بكر عن
عاصم بالياء اي لينذر الكتاب ومن حولها اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به وهم

على

على صلاتهم يحافظون فان من صدق بالاخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر
حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة لانها عماد الدين
وعلم الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود
العنسي او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي وتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه شي كعبد
الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من
طين فلما بلغ قوله ثم انشاناه خلقا اخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق
الانسان فقال عليه الصلاة والسلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد
اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين
قالوا لو نشا لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين
في غمرات الموت شدائده من غمره الما اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم
كالمتقاضي الملظ او بالعذاب اخرجوا انفسكم اي يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا
وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم يريدون وقت الاماتة او
الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اي الهوان يريدون العذاب المتضمن لشدة
واهانة فاضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كادعا الولد
والشريك له ودعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن اياته تستكبرون فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون
ولقد جئتمونا للحساب والجزا فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما اثرتموه من الدنيا او
عن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتانيث ككسالى وقرئ فرادى
كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل منه اي على الهيئة التي ولدتم
عليها في الانفراد او حال ثانية ان جوز التعدد فيها او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم
عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا
به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الاخرة ورا ظهوركم ما قدمتم منه شيا ولم تحملوا نقيرا وما
نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء لله في ربوبيتكم واستحقاق
عبادتكم لقد تقطع بينكم اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للفصل والوصل
وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل اتساعا والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي وحفص
عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل للدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم
وقد قرئ به وضل عنكم ضاع وبطل ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزا
ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذي في الحنطة والنوى
يخرج الحي من الميت يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطف
والحب ومخرج الميت من الحي ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب

فان قوله يخرج الحي واقع موقع البيان له ذلكم الله اي ذلكم المحيي المميت هو الذي يحق له العبادة
فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض
النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يليه والاصباح في الاصل مصدر اصبح اذا دخل في الصبح
سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن
فيه التعب في النهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استيناسا به او يسكن فيه الخلق
من قوله تعالى لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فانه في معنى الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين
وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه
جعل مستمر في الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل ويشهد له
قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئا بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان حسبانا
على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات ويكونان علمي الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان
الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا
اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص العليم بتد
بيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما وهو الذي جعل لكم النجوم خلقها لكم لتهتدوا بها
في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها
ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما اجملها بقوله لكم قد فصلنا الآيات بيناها
فصلا فصلا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به وهو الذي انشأكم من نفس واحدة هو آدم عليه السلام
فمستقر ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض
او موضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع اسم مفعول
اي فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون
ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة
وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذي انزل من السماء
ماء من السحاب او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف
من النبات والمعنى اظهار القدرة في انبات الانواع المفننة بماء واحد كما في قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات او الماء خضرا شيئا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور
وعور وهو الخارج من الحبة المتشعبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها
قنوان اي واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شيء من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل
خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصله من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنو وصنوان
وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة من
المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة

فيها

فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثم جنات او
من الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون والرمان ايضا عطف
على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه حال من الرمان او
من الجميع اي بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة والقدر واللون والطعم انظروا الى ثمره
الى ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار
ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال نضجه
او الى نضجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل
جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون
اي لآيات دالة على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفننة من اصل
واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما
يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به
والرد عليه فقال وجعلوا لله شركاء الجن اي الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم
جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله او عبدوا الاوثان بتسويلهم
وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأي الثنوية
ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ
الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن والجن بالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم حال بتقدير قد والمعنى
وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اي وما
يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه وخرقوا له
افتعلوا اختلقوا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا اي وزوروا بنين وبنات فقالت
اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم
من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو او المصدر اي خرقا
بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض من اضافة
الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير وقيل معناه المبدع
وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدا محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون له ولد اي من
اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم
ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم لا تخفى عليه خافية وانما لم يقل
به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الآية استدلال على نفي الولد من وجوه الاول انه من مبدعاته السموات
والارضين وهي مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى
عنها او ان الولد النسبي نظيره ولا نظير له فلا ولد والثاني ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين

والله سبحانه منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفو الوالد ولا كفو له لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقه
فلا يكافئه والثاني انه سبحانه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف
بما سبق من الصفات وهو مبتدأ الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار مترادفة ويجوز ان
يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات
استحق العبادة وهو على كل شيء وكيل اي وهو مع تلك الصفات متولي اموركم فكلوها اليه وتوسلوا
بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه الابصار لا تحيط به الابصار جمع بصر
وهي حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو
ضعيف اذ ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفي في الاية عاما في الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات
ولا في الاشخاص فانه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار
يحيط علمه بها وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف
اي لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل
الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي
للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلي لها الحق وتبصرها به فمن ابصر اي ابصر الحق وآمن به
فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمي عن الحق وضل فعليها وباله وما انا عليكم بحفيظ وانما انا
منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم
وكذلك نصرف الآيات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف
وهو نقل الشيء من حال الى حال وليقولوا درست اي وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة
والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اي دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست
من الدروس اي قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست
ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا صلى الله عليه
وسلم وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن اي عفون ودرس اي درس محمد ودارسات اي
قديمات او ذوات درس كقوله تعالى عيشة راضية ولنبينه اللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف
والضمير للآيات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون
به اتبع ما اوحي اليك من ربك بالتدين به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة
من ربك بمعنى منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى رأيهم ومن
جعله منسوخا بآية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما
اشركوا وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا
رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اي ولا تذكروا
آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة

بالله

بالله تعالى وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا
روي انه عليه الصلاة والسلام كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك
فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سببا لسبه عز وجل وفيه دليل على ان
الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك زينا لكل
امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل
بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما
كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال والداعي لهم الى
هذا القسم والتأكيد فيه التحكم على الرسول صلى الله عليه وسلم في طلب الآيات واستحقار ما راوا منها
لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله هو قادر عليها يظهر منها
ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وارادتي وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها اي ان الآية
المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون اي لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب
وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى
لعل اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال وما
يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء الآية طمعا في
ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم انها اذا
جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم اي وما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت
عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون
اي وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها
كما لم يؤمنوا به اي بما انزل من الآيات اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون وندعهم متحيرين
لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى
الافئدة ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا
كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا او تأتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى
كفيل اي كفلاء بما بشروا به وانذروا او جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر بمعنى مقابلة
كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا
لما سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال اي لا يؤمنون في حال من الاحوال
الا حال مشيئة الله ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون
انهم لو اوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل
الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية
طمعا في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك

عدوا وهو دليل على أن عداوة الكفرة للأنبياء بفعل الله وخلقه شياطين الإنس والجن مردة الفريقين وهو
بدل من عدوا أو أول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق به أو حال منه يوحي بعضهم
إلى بعض يوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس أو بعض الجن إلى بعض وبعض الإنس إلى بعض زخرف
القول الأباطيل المموهة منه من زخرفه إذا زينه غرورا مفعول له أو مصدر في موقع الحال ولو شاء
ربك إيمانهم ما فعلوه أي ما فعلوا ذلك يعني معاداة الأنبياء وإيحاء الزخارف ويجوز أن يكون الضمير
للإيحاء أو الزخرف أو الغرور وهو أيضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى إليه أفئدة
الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا إن جعل علة أو متعلق بمحذوف أي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي
عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة أو لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون أو لام
الأمر وضعفه أظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير في فعلوه وليرضوه لأنفسهم وليقترفوا
ما هم مقترفون من الآثام أفغير الله أبتغي حكما على إرادة القول أي قل لهم يا محمد أفغير
الله أطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول أبتغي وحكما حال منه ويحتمل
عكسه وحكما أبلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذي أنزل إليكم الكتاب القرآن
المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على أن القرآن بإعجازه
وتقريره مغن عن سائر الآيات والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق تأييد
لدلالة الإعجاز على أن القرآن حق منزل من عند الله يعلم أهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع أنه
عليه الصلاة والسلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وإنما وصف جميعهم بالعلم لأن أكثرهم يعلمون
ومن لم يعلم فهو متمكن منه بأدنى تأمل وقيل المراد مؤمنو أهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم
منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين في أنهم يعلمون ذلك أو في أنه منزل لجحود أكثرهم و
كفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين أو خطاب الرسول خطاب الأمة
وقيل الخطاب لكل أحد على معنى أن الأدلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لأحد أن يمتري فيه وتمت
كلمات ربك بلغت الغاية أخباره وأحكامه ومواعيده صدقا في الأخبار والمواعيد وعدلا في
الأقضية والأحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته لا أحد يبدل شيئا
منها بما هو أصدق وأعدل أو لا أحد يقدر أن يحرفها شائعا ذائعا كما فعل بالتوراة على أن المراد بها
القرآن فيكون ضمانا لها من الله تعالى بالحفظ كقوله تعالى وإنا له لحافظون أو لا نبي ولا كتاب بعدها
ينسخها ويبدل أحكامها وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمت ربك أي ما تكلم به أو القرآن وهو السميع
لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وإن تطع أكثر من في الأرض أي أكثر الناس يريد الكفار
أو الجهال أو أتباع الهوى وقيل الأرض أرض مكة يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل إليه فإن الضال
في غالب الأمر لا يأمر إلا بما فيه ضلال إن يتبعون إلا الظن وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق أو جهالاتهم
وآراؤهم الفاسدة فإن الظن يطلق على ما يقابل العلم وإن هم إلا يخرصون يكذبون على الله فيما

ينسبون

ينسبون إليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الأوثان وصلة إليه وتحريم البحائر أو يقدرون أنهم على شيء
وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين أي أعلم
بالفريقين ومن موصولة أو موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه أعلم لا به فإن أفعل لا ينصب الظاهر في
مثل ذلك أو استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل أي
يضله الله فتكون من منصوبة بالفعل المقدر أو مجرورة بإضافة أعلم إليه أي أعلم المضلين من قوله من
يضلل الله أو من أضللته إذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم بكثرته وإحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم
بها أو لزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن إنكار اتباع
المضلين الذين يحرمون الحلال ويحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم
غيره أو مات حتف أنفه إن كنتم بآياته مؤمنين فإن الإيمان بها يقتضي استباحة ما أحله الله
واجتناب ما حرمه وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وأي غرض لكم في أن تتحرجوا عن
أكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل
إلا ما اضطررتم إليه مما حرم عليكم فإنه أيضا حلال حال الضرورة وإن كثيرا ليضلون بتحليل الحرام
وتحريم الحلال قرأ الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح بأهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل
يفيد العلم إن ربك هو أعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق إلى الباطل والحلال إلى الحرام وذروا ظاهر الإثم وباطنه
ما يعلن وما يسر أو ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الأخدان إن الذين يكسبون الإثم
سيجزون بما كانوا يقترفون يكسبون ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم
متروك التسمية عمدا أو نسيانا وإليه ذهب داود وعن أحمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه الصلاة
والسلام ذبيحة المسلم حلال وإن لم يذكر اسم الله عليه وفرق أبو حنيفة بين العمد والنسيان وأوله بالميتة أو بما
ذكر غير اسم الله عليه لقوله وإنه لفسق فإن الفسق ما أهل لغير الله به والضمير لما ويجوز أن يكون للأكل
الذي دل عليه لا تأكلوا وإن الشياطين ليوحون ليوسوسون إلى أوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم
تأكلون ما قتلتم أنتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التأويل بالميتة وإن أطعتموهم في استحلال
ما حرم إنكم لمشركون فإن من ترك طاعة الله إلى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد أشرك وإنما حذف
الفاء فيه لأن الشرط بلفظ الماضي أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس
مثل به من هداه الله وأنقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الأشياء فيميز بين الحق
والباطل والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الأصل كمن مثله صفته وهو مبتدأ خبره في الظلمات
وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا
يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمنين إيمانهم زين للكافرين ما كانوا يعملون والآية نزلت
في حمزة وأبي جهل وقيل في عمر أو عمار وأبي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها

ليمكروا فيها اى كما جعلنا فى مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها
وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثانى او فى كل قرية اكابر مجرميها بدل ويجوز
ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك
قرئ اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون الا
بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل
ما اوتى رسل الله يعنى كفار قريش لما روى ان اباجهل قال زاحمنا بنو عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا كفرسى
رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان ياتينا وحى كما ياتيه نزلت الله اعلم حيث
يجعل رسالاته استئناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هى بفضائل نفسانية يخص
الله بها من يشاء من عباده فيجتبى لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذى يضعها
وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم
عند الله يوم القيمة وقيل تقديره من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم
او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام
فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهياة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه
وينافيه واليه اشار عليه الصلاة والسلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له وينفسح
فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت
قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرا
ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اى شديد الضيق والاول بالفتح
وصف بالمصدر كانما يصعد فى السماء شبهه مبالغة فى ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه
فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع منه
الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا فى الهرب منه واصل يصعد
يتصعد وقد قرئ به وقرا ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد يعنى يتصاعد كذلك اى
كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب او الخذلان
عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذى جاء به القران او الاسلام او
ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك الطريق الذى ارتضاه او عادته وطريقه الذى اقتضته حكمته
مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل
فيها معنى الاشارة قد فصلنا الايات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله وان كل ما يحدث
من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام
دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم
فى ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مولاهم او ناصرهم بما كانوا يعملون

بسبب

بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر او نقول
والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرا حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعنى
الشياطين قد استكثرتم من الانس اى من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم
فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا
استمتع بعضنا ببعض اى انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن
بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم فى المفاوز
وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذى
اجلت لنا اى البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على
حالهم قال النار مثواكم منزلكم او ذات مثواكم خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا
ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله الا الاوقات التى ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل
الا ما شاء الله قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم فى افعاله
عليم باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم الى بعض او نجعل
بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض وقرناءهم فى العذاب كما كانوا فى الدنيا بما كانوا يكسبون
من الكفر والمعاصى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة
لكن لما جمعوا مع الجن فى الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح
دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن
رسل الرسل اليهم لقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم اياتى وينذرونكم لقاء يومكم
هذا يعنى يوم القيمة قالوا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر
واستيجاب العذاب وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم
لهم فى سوء نظرهم وخطا رايهم فانهم اغتروا بالحيوة الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا عن
الاخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب
المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدا محذوف اى الامر
ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة
من الثقيلة اى الامر ذلك لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك اهل القرى بسبب ظلم
فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك ولكل من المكلفين
درجات مراتب مما عملوا من اعمالهم او من جزائها او من اجلها وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى
عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب وقرا ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة
وربك الغنى عن العباد والعبادة ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصى
وفيه تنبيه على ان ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتاسيس لما بعده

وهو قوله إن يشأ يذهبكم أي ما به إليكم حاجة إن يشأ يذهبكم أيها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين قرنا بعد قرن لكنه أبقاكم ترحما عليكم إن ما توعدون من البعث وأحواله لآت لكائن لا محالة وما أنتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن أو على ناحيتكم وجهتكم التي أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرأ أبو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القرآن وهو أمر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم إني عامل ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الإسلام والتهديد بصيغة الأمر مبالغة في الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالأمر على ما يفضي به إليه وتسجيل بأن المهدد لا يأتي منه إلا الشر كالمأمور به الذي لا يقدر أن يتفصى عنه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إن جعل من استفهامية بمعنى أينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وإن جعلت خبرية فالنصب بتعلمون أي فسوف تعرفون الذي تكون له العاقبة وفيه مع الإنذار إنصاف في المقال وحسن أدب وتنبيه على وثوق المنذر بأنه محق وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء لأن تأنيث العاقبة غير حقيقي إنه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لأنه أعم وأكثر فائدة وجعلوا أي مشركو العرب لله مما ذرأ خلق من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم روي أنهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه إلى الضيفان والمساكين وشيئا منها لآلهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحون عندها ثم إن رأوا ما عينوا لله أزكى بدلوه بما لآلهتهم وإن رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه لها حبا لآلهتهم وفي قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فإنهم أشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بأن جعلوا الزكي له وفي قوله بزعمهم تنبيه على أن ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به وقرأ الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر أيضا كالود والود والود ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين في قسمة القربان زين لكثير من المشركين قتل أولادهم بالوأد ونحرهم لآلهتهم شركاؤهم من الجن أو من السدنة وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء بإضافة القتل إليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله

∴ فزججتها بمزجة ∴ زج القلوص أبي مزادة

وقرئ على البناء للمفعول وجر أولادهم ورفع شركاؤهم بإضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالإغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل أو ما وجب عليهم أن يتدينوا به واللام للتعليل إن كان التزيين من الشياطين وللعاقبة إن كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم أو الشركاء التزيين أو الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم أو ما يفترونه من الإفك وقالوا هذه إشارة إلى ما جعل لآلهتهم أنعام وحرث حجر حرام

فعل

فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والأنثى وقرئ حجر بالضم وحرج أي مضيق لا يطعمها إلا من نشاء يعنون خدم الأوثان والرجال دون الإناث بزعمهم من غير حجة وأنعام حرمت ظهورها يعني البحائر والسوائب والحوامي وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وإنما يذكرون أسماء الأصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر لأن ما قالوه تقول على الله والجار متعلق بقالوا أو بمحذوف هو صفة له أو على الحال أو المفعول له والجار متعلق به أو بالمحذوف سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه أو بدله وقالوا ما في بطون هذه الأنعام يعنون أجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا حلال للذكور خاصة دون الإناث إن ولد حيا لقوله وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والإناث فيه سواء وتأنيث الخالصة للمعنى فإن ما في معنى الأجنة ولذلك وافق عاصم في رواية أبي بكر ابن عامر في تكن بالتاء وخالفه ابن كثير في ميتة فنصب كغيرهم أو التاء فيه للمبالغة كما في رواية الشعر أو هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على أنه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا أو حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في لذكورنا ولا من الذكور لأنها لا تتقدم على العامل المعنوي ولا على صاحبها المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصه بالرفع والإضافة إلى الضمير على أنه بدل من ما أو مبتدأ ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير في فيه لأن المراد بالميتة ما يعم الذكر والأنثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم أي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل من قوله تعالى وتصف ألسنتهم الكذب إنه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا أولادهم يريد العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد بمعنى التكثير سفها بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بأن الله رازق أولادهم لا هم ويجوز نصبه على الحال أو المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة في مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين إلى الحق والصواب وهو الذي أنشأ جنات من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات على وجه الأرض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير المعروشات ما نبت في البراري والجبال والنخل والزرع مختلفا أكله ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقي مقيس عليه أو للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه أو للجميع على تقدير أكل ذلك أو كل واحد منها ومختلفا حال مقدرة لأنه لم يكن كذلك عند الإنشاء والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعضها في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك إذا أثمر وإن لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الأكل منه قبل أداء حق الله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدرة لأنها فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل الزكاة والآية مدنية والأمر بإيتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عنه وقت الأداء وليعلم أن الوجوب بالإدراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي حصاده بكسر

الحار وهو لغة فيه ولا تسرفوا في التصدق كقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين لا
يرتضي فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اى وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال
وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار
الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا ما احل لكم منه ولا تتبعوا
خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية
ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل دل عليه او حال من ما
بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول من
الضان اثنين زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضان
اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز
اثنين التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب
وصحب وحارس وحرس وقرئ المعزى قل آلذكرين ذكر الضان وذكر المعز حرم ام الانثيين ام
انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم اما اشتملت عليه ارحام الانثيين او ما حملت اناث
الجنسين ذكرا كان او انثى نبئوني بعلم بامر معلوم يدل على ان الله حرم شيئا من ذلك ان كنتم
صادقين في دعوى التحريم عليه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين
اما اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم من الاجناس الاربعة ذكرا وانثى
او ما تحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف كانت تارة
زاعمين ان الله حرمها ام كنتم شهداء بل اكنتم شاهدين حاضرين اذ وصاكم الله بهذا حين
وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون
لذلك او عمرو بن لحي المؤسس له ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد
فيما اوحي الي اى في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى
محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة
تكون بالتاء لتانيث الخبر وقرأ ابن عامر بالياء ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقوله او دما مسفوحا
عطف على ان مع ما في حيزه اى الا وجود ميتة او دما مسفوحا اى مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد
والطحال او لحم خنزير فانه رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث
او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل اهل لغير الله به صفة له موضحة وانما سمي
ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وهو عطف
على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة
الى تناول شيء من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم

لا يؤخذه

لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحي الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافي
ورود التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غيرها الا
مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما له اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل كل
ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا
عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت
بظهورهما او الحوايا او ما اشتملت على الامعاء جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة
وسفائن وقيل هو عطف على شحومهما وأو بمعنى الواو او ما اختلط بعظم هو شحم الالية لاتصالها
بالعصعص ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون في الاخبار او الوعد والوعيد
فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل
ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين حين ينزل او ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو بأس شديد للمجرمين فاقام
مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على نزول البأس عليهم مع الدلالة على انه لازب بهم لا يمكن رده عنهم
سيقول الذين اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه لو شاء الله ما اشركنا ولا
آباؤنا ولا حرمنا من شيء اى لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله فلو شاء لهداكم اجمعين لما فعلنا نحن
ولا آباؤنا اردوا بذلك انهم على الحق المشروع والمرضي عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بارادة
الله اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم
اى مثل هذا التكذيب لك في ان الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب الذين من قبلهم الرسل
وعطف آباؤنا على الضمير في اشركنا من غير تأكيد للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم
قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا ان تتبعون
الا الظن ما تتبعون في ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما
في الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الآية فيه قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة
والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهي من الحج بمعنى القصد كأنها تقصد اثبات الحكم وتطلبه
فلو شاء لهداكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين قل هلم شهداءكم
احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم واصله عند البصريين ها لم
من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء
حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما في الآية ولازما كقوله هلم الينا الذين يشهدون
ان الله حرم هذا يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك
لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم فان شهدوا فلا تشهد معهم
فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء الذين
كذبوا بآياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب الآيات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة

لا يكون الا حقا بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون
له عديلا قل تعالوا امر من التعالي واصله ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم
اتل اقرأ ما حرم ربكم منصوب باتل وما تحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان تكون استفهامية منصوبة
بحرم والجملة مفعول اتل لانه بمعنى اقل فكأنه قيل اتل اي شيء حرم ربكم عليكم متعلق بحرم او
اتل الا تشركوا به اي لا تشركوا ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه تعلق الفعل المفسر بما حرم
فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب بعليكم على انه
للاغراء او بالبدل من ما او من عائده المحذوف على ان لا زائدة والجر بتقدير اللام او الرفع على
تقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا شيئا يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين ا
حسانا اي واحسنوا بهما احسانا وضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة والدلالة على
ان ترك الاساءة في شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من
اجل فقر ومن خشيته تعالى خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية ما كانوا
يفعلون لاجله واحتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب ما ظهر منها وما بطن بدل
منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق كالقود وقتل
المرتد ورجم المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا وصاكم به بحفظه لعلكم تعقلون
ترشدون فان كمال العقل الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن الا بالفعلة التي هي احسن
ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد
كصر واصر وقيل مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا
الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسر عليكم فعليكم
بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم في حكومة ونحوها فاعدلوا فيه ولو كان ذا قربى
ولو كان المقول له او عليه من ذوي قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد اليكم من ملازمة العدل
وتادية احكام الشرع ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون تتعظون به وقرا حمزة وحفص
والكسائي تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع اذا كان بالتاء والباقون بتشديدها وان هذا صراطي مستقيما
الاشارة فيه الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرا حمزة
والكسائي ان بالكسر على الاستئناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون بها مشددة
بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه وقرا ابن عامر صراطي بفتح الياء وقرئ وهذا صراطي وهذا
صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان
مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات فتفرق بكم فتفرقكم و
تزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع وصاكم به لعلكم
تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم آتينا موسى الكتاب عطف على وصاكم وثم للتراخي في

الاخبار

الاخبار او للتفاوت في الرتبة كأنه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب
تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن على من احسن القيام به ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا او على
الذي احسن تبليغه وهو موسى او تماما على ما احسنه اي اجاده من العلم والتشريع اي زيادة على علمه اتماما له
وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي على الذي هو احسن او على الوجه الذي هو احسن ما يكون عليه الكتب
وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة
والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون اي بلقائه للجزاء وهذا يعني
القرآن كتاب انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه
والعمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا
اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في انما لان الباقي المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم
وان كنا ان هي المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة خبر كان اي وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين
لا ندري ما هي او لا نعرف مثلها او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى
منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا اميون
فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن تأمل فيه وعمل به فمن اظلم ممن
كذب بآيات الله بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها وصدف اعرض او صد عنها فضل واضل
سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم وصدهم
هل ينظرون اي ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا
بالمنتظرين الا ان تأتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب وقرأ حمزة والكسائي بالياء هنا وفي النحل او يأتي
ربك اي امره بالعذاب او كل آية يعني آيات القيامة والهلاك الكلي لقوله او يأتي بعض آيات ربك يعني
اشراط الساعة وعن حذيفة بن اليمان والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان
والدابة وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها
ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام ونارا تخرج من عدن يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع
نفسا ايمانها كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان برهانيا وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير
المؤنث لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا او كسبت في ايمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى انه
لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان
المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا
ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذي احدثته حينئذ
وان كسبت فيه خيرا قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم اي انتظروا اتيان احد الثلاثة فانا منتظرون له
وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل ان الذين فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض او تفرقوا فيه

قال عليه الصلاة والسلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على
ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة
وقرا حمزة والكسائي فارقوا اي باينوا وكانوا شيعا فرقا تشيع كل فرقة اماما لست منهم في شيء اي من
السؤال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم او انت بريء منهم وقيل نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ باية السيف انما
امرهم الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
اي عشر حسنات امثالها تفضلا من الله وقرا يعقوب عشر بالتنوين وامثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من
الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد ومن جاء
بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني ربي
الى صراط مستقيم بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى هداني صراطا كقوله
ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم
باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر نعت به
وكان قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام ملة ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابراهيم
وما كان من المشركين عطف عليه قل ان صلاتي ونسكي عبادتي كلها او قرباني او حجي ومحياي
ومماتي وما انا عليه في حياتي واموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحياة والخيرات المضافة الى الممات
كالوصية والتدبير او الحياة والممات انفسهما وقرا نافع محياي باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله
رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك القول او الاخلاص امرت وانا اول المسلمين
لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا فاشركه في عبادتي وهو جواب
عن دعائهم له الى عبادة الهتهم وهو رب كل شيء حال في موضع العلة للانكار والدليل
له اي وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس الا عليها
فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة وزر اخرى جواب عن قولهم
اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيامة فينبئكم بما كنتم فيه
تختلفون بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم
بعضا او خلفاء الله في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين
ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والغنى ليبلوكم فيما اتاكم من الجاه والمال ان ربك
سريع العقاب لان ما هو ات قريب او لانه يسرع اذا اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه
الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى بناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى
غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرا الانعام
صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل اية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة

سورة الاعراف مكية الا ثمان ايات من واسألهم الى واذ نتقنا الجبل محكمة كلها وقيل الا واعرض عن الجاهلين واياتها مائتان وخمس

بسم الله الرحمن الرحيم

المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر محذوف اي هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة
او القران انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك فان الشاك حرج الصدر
او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر في القيام بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم
لا ارينك ههنا والفاء تحتمل العطف والجواب فكانه قيل اذا انزل اليك لتنذر فلا يحرج صدرك لتنذر به
متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخشهم او علم
انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب باضمار فعلها اي لتنذر وتذكر ذكرى
فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل لتنذر والرفع عطفا على كتاب او خبر المحذوف اتبعوا
ما انزل اليكم من ربكم يعم القران والسنة لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى
ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما انزل اي ولا
تتبعوا من دون دين الله دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا
قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد القلة وان جعلت مصدرية لم
ينتصب قليلا بتذكرون وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون وابن عامر يتذكرون على
ان الخطاب بعد مع النبي صلى الله عليه وسلم وكم من قرية وكثير من القرى اهلكناها اردنا اهلاك
اهلها او اهلكناها بالخذلان فجاءها فجاء اهلها باسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر
وقع موقع الحال او هم قائلون عطف عليه اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال
استثقالا لاجتماع حرفي عطف فانها واو العطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح
وفي التعبيرين مبالغة في غفلتهم وامنهم من العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة
فيكون مجيء العذاب فيهما افظع فما كان دعواهم اي دعاؤهم واستغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم
اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا
عليه فلنسألن الذين ارسل اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسألن المرسلين عما اجيبوا
به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله تعالى ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون
سؤال الاستعلام او الاول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم
على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه
بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا شيء
من احوالهم والوزن اي القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن

بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترفوا بها
السنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون
سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة
فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روي عنه عليه الصلاة والسلام انه ليأتي
العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة يومئذ خبر المبتدا الذي هو الوزن الحق
صفته او خبر محذوف ومعناه العدل السوي فمن ثقلت موازينه حسناته او ما يوزن به حسناته
فهو جمع موزون او ميزان وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فاولئك هم المفلحون
الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة
السليمة التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب بما كانوا باياتنا يظلمون فيكذبون بدل
التصديق ولقد مكناكم في الارض اي مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا
لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة
كصحائف قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم
ادم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدانا خلقكم ثم
تصويركم بان خلقنا ادم ثم صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم وقيل ثم لتأخير الاخبار فسجدوا
الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لادم قال ما منعك الا تسجد اي ان تسجد ولا صلة
مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع
عن الشيء مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر
للوجوب والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استانف به استبعادا لان يكون مثله مأمورا
بالسجود لمثله كانه قال المانع انه خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر
به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل
لفضله عليه وقد غلط في ذلك بان راى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل
كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه
بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده
لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والاية دليل الكون والفساد وان الشياطين
اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط
منها من السماء او الجنة فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها وتعصي فانها مكان الخاشع
والمطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده وهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه
فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لتكبره قال عليه الصلاة والسلام من تواضع رفعه الله ومن
تكبر وضعه الله قال انظرني الى يوم يبعثون امهلني الى يوم القيمة فلا تمتني او لا تعجل عقوبتي

قال

قال انك من المنظرين يقتضي الاجابة الى ما سأله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله تعالى الى
يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلم الله انتهاء اجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد
وتعريضهم للثواب بمخالفته قال فبما اغويتني اي بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي طريق
يمكن بسبب اغوائك اياي بواسطتهم تسمية او حملا على الغي او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل
القسم المحذوف لا باقعدن فان اللام يصد عنه وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا بهم كما
يقعد القطاع للسابلة صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله
∴ لدن بهز الكف يعسل متنه ∴ فيه كما عسل الطريق الثعلب ∴
وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم
وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من جميع الجهات الاربع مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اي
وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم
يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعن ابن عباس رضي
الله عنهما من بين ايديهم من قبل الاخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم
من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه
ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا
ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدي الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه
منهما متوجه اليهم والى الاخرين بحرف المجاوزة فان الاتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم
ونظيره قولهم جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين وانما قاله ظنا لقوله تعالى
ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة
قال اخرج منها مذؤوما من ذامه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول او كمكول في مكيل
من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه لاملان
جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر لاملان على
معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاملان وجواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب
المخاطب ويا ادم اي وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا
تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من
الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب فوسوس لهما
الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل الصوت الخفي كالهيمنة والخشخشة ومنه وسوس
الحلي وقد سبق في البقرة كيفية وسوسته ليبدي لهما ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد
ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسوءة وفيه دليل على ان كشف
العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع ما وري عنهما من سوءاتهما

ما غطي عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الاخر وانما لم تقلب الواو المضمومة
همزة في المشهور كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء
حركتها على الواو وسوّتهما بقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال ما نهاكما ربكما عن
هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون
او يخلدون في الجنة واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق
لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن
الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي اقسم
لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه
لمن الناصحين واقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما
بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من اعلى الى اسفل بغرور
بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة
بدت لهما سوآتهما اي فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت
عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان
اللباس كان نورا او حلة او ظفرا وطفقا يخصفان اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة
عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اي يخصفان انفسهما و
يخصّفان من خصّف ويخصّفان واصله يختصفان وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما
الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على
الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا ضررناها
بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل
على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب
الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستحقار
العظيم من الحسنات قال اهبطوا الخطاب لادم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا
ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر عما قال لهم مفرقا بعضكم لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين
ولكم في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وتمتع الى حين الى انقضاء آجالكم
قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا
اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام وقوله
وانزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روي
ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر
قصة آدم مقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان

وانه اغواهم

وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه
تريش الرجل اذا تمول وقرئ ورياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى خشية
الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير او خير وذلك
صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب عطفا
على لباسا ذلك اي انزال اللباس من آيات الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون
نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان لا يمتحننكم بان يمنعكم
دخول الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها والنهي في
اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما
حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب انه يراكم هو وقبيله من حيث
لا ترونهم تعليل للنهي وتاكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم في
الجملة لا تقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا
بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والآية
مقصود القصة وفذلكة الحكاية واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف
العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الآباء
والافتراء على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثاني بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان
عادته جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم
عليه آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما
جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن اين اخذ
آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا اتقولون على
الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله تعالى قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو
وهو الوسط من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته
مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكانه
وهو الصلاة او في اي مسجد حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه
مخلصين له الدين اي الطاعة فان اليه مصيركم كما بداكم كما انشاكم ابتداء تعودون باعادته
فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بداكم
من التراب تعودون اليه وقيل كما بداكم عراة حفاة غرلا تعودون وقيل كما بداكم مؤمنا وكافرا يعيدكم
فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه
بفعل يفسره ما بعده اي وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم
او تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق

الدم والفارق ان تجريه على المقصود في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل
مسجد لطواف او صلاة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئة للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة
في الصلوة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي ان بني عامر في ايام حجهم كانوا لا ياكلون الطعام الا قوتا
ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى
الحرام او بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما
اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب في نصف اية فقال كلوا
واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب
وسائر ما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن
كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات من الماكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم
والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من للانكار قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا
بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال
وقرا نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون اي كتفصيلنا هذا الحكم
نفصل سائر الاحكام لهم قل انما حرم ربي الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر
منها وما بطن جهرها وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغي الظلم
او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به
سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها ولكل امة اجل مدة او وقت لنزول العذاب
بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم او حان وقتهم لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون اي لا يتاخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التاخر والتقدم لشدة الهول
يا بني آدم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه
على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما للتاكيد معنى الشرط ولذلك
اكد فعلها بالنون وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا
واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم
والذين كذبوا بآياتنا منكم وادخال الفاء في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته ممن تقول على الله ما لم يقله او
كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل
الكتاب اللوح المحفوظ اي مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اي يتوفون ارواحهم
وهو حال من الرسل وحتى غاية لنيلهم وهي التي يبتدا بعدها الكلام قالوا اين ما كنتم
تدعون من دون الله اي الآلهة التي كنتم تعبدونها وما وصلت باين في خط المصحف وحقها الفصل

لانها

لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم
كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا اي قال الله لهم يوم القيمة او احد من الملائكة في امم قد خلت
من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم يوم القيمة من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية
من النوعين في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اي في النار لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء
بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخراهم دخولا او منزلة
وهم الاتباع لاولاهم اي لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا
الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف
اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم او ما
لكل فريق وقرا عاصم بالياء على الانفصال وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من
فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم ورتبوه عليه اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم
متساوون في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة
او من قول الفريقين ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اي عن الايمان بها لا تفتح
لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة
والتاء في تفتح لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرا ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي به وبالياء
لان التانيث غير حقيقي والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للآيات
وبالياء على ان الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل في
عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف
عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهي الحبل الغليظ من
القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم
وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش
اغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف
وكذلك نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات
اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها
على انه اعظم الاجرام والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه وتعالى في ان يشفع الوعد بالوعيد ولا نكلف نفسا الا
وسعها اعتراض بين المبتدا والخبر للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم
وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها
منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير
منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما

جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتأكيد النفي وجواب لولا
محذوف دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على أنها مبينة للأولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق
فاهتدينا بإرشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بأن ما علموه يقينا في الدنيا ظهر لهم عين اليقين
في الآخرة ونودوا أن تلكم الجنة إذا رأوها من بعيد أو بعد دخولها والمنادى له بالذات أورثتموها
بما كنتم تعملون أي أعطيتموها بسبب أعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الإشارة
أو خبر والجنة صفة تلكم وأن في المواقع الخمسة هي المخففة أو المفسرة لأن المناداة والتأذين من القول
ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد
ربكم حقا إنما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة بأصحاب النار وتحسيرا لهم وإنما لم يقل ما وعدكم كما
قال ما وعدنا لأن ما ساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصا وعده بهم كالبعث والحساب ونعيم أهل
الجنة قالوا نعم وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان فأذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم بين
الفريقين أن لعنة الله على الظالمين وقرأ ابن كثير في رواية البزي وابن عامر وحمزة والكسائي أن
لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ إن بالكسر على إرادة القول أو إجراء أذن مجرى قال الذين يصدون
عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة أو ذم مرفوع أو منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج
بالكسر في المعاني والأعيان ما لم تكن منتصبة وبالفتح ما كان في المنتصبة كالحائط والرمح وهم بالآخرة
كافرون وبينهما حجاب أي بين الفريقين لقوله فضرب بينهم بسور أو بين الجنة والنار ليمنع وصول
أثر أهلها إلى الأخرى وعلى الأعراف الحجاب أي أعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار
من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فإنه يكون لظهوره أعرف من غيره رجال طائفة من
الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم
كالأنبياء والشهداء أو خيار المؤمنين وعلمائهم أو ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من أهل الجنة
والنار بسيماهم بعلامتهم التي أعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام إبله إذا أرسلها
في المرعى معلمة أو من وسم على القلب كالجاه من الوجه وإنما يعرفون ذلك بالإلهام أو تعليم الملائكة ونادوا
أصحاب الجنة أن سلام عليكم أي إذا نظروا إليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من
الواو على الوجه الأول ومن أصحاب على الوجوه الباقية وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا
نعوذ بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين أي في النار ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم
بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما أغنى عنكم جمعكم كثرتكم أو جمعكم المال وما كنتم
تستكبرون عن الحق أو على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم
الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والإشارة إلى ضعفاء أهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في
الدنيا ويحلفون أن الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون أي فالتفتوا
إلى أصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو أوفق للوجوه الأخيرة أو فقيل لأصحاب الأعراف ادخلوا الجنة بفضل

الله

الله بعد أن حبسوا حتى أبصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا أصحاب النار أقسموا
أن أصحاب الأعراف لا يدخلون الجنة فقال الله أو بعض الملائكة أهؤلاء الذين أقسمتم وقرئ أدخلوا ودخلوا
على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا
علينا من الماء أي صبوه وهو دليل على أن الجنة فوق النار أو مما رزقكم الله من سائر الأشربة ليلائم
الإفاضة أو من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا إن الله حرمهما على الكافرين منعهما
عنهم منع المحرم عن المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو
صرف الهم بما لا يحسن أن يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب به وغرتهم الحياة
الدنيا فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم
يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا بآياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين أنها من عند الله ولقد
جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقائد والأحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين
بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على أن الله عالم بعلمه أو مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول
وقرئ فضلناه أي على سائر الكتب عالمين بأنه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء
هل ينظرون ينتظرون إلا تأويله إلا ما يؤول إليه أمره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد
والوعيد يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق
أي قد تبين أنهم جاؤوا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم أو نرد أو هل نرد إلى الدنيا وقرئ
بالنصب عطفا على فيشفعوا أو لأن أو بمعنى إلى أن فعلى الأول المسؤول أحد الأمرين وعلى الثاني أن يكون لهم
شفعاء إما لأحد الأمرين أو لأمر واحد وهو الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام الثاني
وقرئ بالرفع أي فنحن نعمل قد خسروا أنفسهم بصرف أعمارهم في الكفر وضل عنهم ما كانوا
يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام في ستة
أوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره أو في مقدار ستة أيام فإن المتعارف باليوم زمان طلوع الشمس
إلى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الأشياء مدرجا مع القدرة على إيجادها دفعة دليل للاختيار واعتبار
للنظار وحث على التأني في الأمور ثم استوى على العرش استوى أمره أو استولى وعن أصحابنا أن الاستواء
على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى أن له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار
والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الأجسام سمي به لارتفاعه أو للتشبيه بسرير الملك فإن الأمور والتدابير
تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به أو لأن اللفظ يحتملهما ولذلك
قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وأبو بكر عن عاصم
بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما
شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف أو حال من الفاعل بمعنى حاثا أو المفعول بمعنى
محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات

ونصب مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر ألا له الخلق والأمر فإنه الموجد
والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى بالوحدانية في الألوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية
وتحقيق الآية والله أعلم أن الكفرة كانوا متخذين أربابا فبين لهم أن المستحق للربوبية واحد وهو
الله سبحانه وتعالى لأنه الذي له الخلق والأمر فإنه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم
فأبدع الأفلاك ثم زينها بالكواكب كما أشار إليه بقوله فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد إلى
إيجاد الأجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية
متضادة الآثار والأفعال وأشار إليه بقوله خلق الأرض أي ما في جهة السفل في يومين ثم أنشأ
أنواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها أولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله خلق الأرض في يومين وجعل
فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام أي مع اليومين الأولين لقوله في سورة
السجدة الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم لما تم له عالم الملك عمد إلى تدبيره كالملك
الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الأمر من السماء إلى الأرض بتحريك الأفلاك وتسيير الكواكب وتكوير
الليالي والأيام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب
العالمين ثم أمرهم بأن يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية أي ذوي تضرع
وخفية فإن الإخفاء دليل الإخلاص إنه لا يحب المعتدين المجاوزين ما أمروا به في الدعاء وغيره
نبه به على أن الداعي ينبغي أن لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الأنبياء والصعود إلى السماء وقيل هو الصياح
في الدعاء والإسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء
أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول
وعمل ثم قرأ إنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بالكفر والمعاصي بعد إصلاحها ببعث الأنبياء
وشرع الأحكام وادعوه خوفا وطمعا أي ذوي خوف من الرد لقصور أعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع
في إجابته تفضلا وإحسانا لفرط رحمته إن رحمت الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل
به إلى الإجابة وتذكير قريب لأن الرحمة بمعنى الرحم أو لأنه صفة محذوف أي أمر قريب أو على تشبيهه
بفعيل الذي هو بمعنى مفعول أو الذي هو مصدر كالنقيض أو للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره
وهو الذي يرسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة نشرا جمع نشور بمعنى ناشر
وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع على أنه مصدر
في موقع الحال بمعنى ناشرات أو مفعول مطلق فإن الإرسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف
بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات وللبشارة وبشرى بين يدي
رحمته قدام رحمته يعني المطر فإن الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى
إذا أقلت سحابا أي حملت واشتقاقه من القلة فإن المقل للشيء يستقله ثقالا بالماء جمعه لأن السحاب
بمعنى السحائب سقناه أي السحاب وإفراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت لإحيائه أو لسقيه وقرئ

ميت

ميت فأنزلنا به الماء بالبلد أو بالسحاب أو بالسوق أو بالريح وكذلك فأخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير
إلى الماء وإذا كان للبلد فالباء للإلصاق في الأول وللظرفية في الثاني وإذا كان لغيره فهي للسببية فيهما من كل
الثمرات من كل أنواعها كذلك نخرج الموتى الإشارة فيه إلى إخراج الثمرات أو إلى إحياء البلد الميت أي كما نحييه
بإحداث القوة النامية فيه وتطريتها بأنواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الأجداث ونحييها برد النفوس
إلى مواد أبدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون أن من قدر على ذلك
قدر على هذا والبلد الطيب الأرض الكريمة التربة يخرج نباته بإذن ربه بمشيئته وتيسيره عبر به
عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لأنه أوقعه في مقابلة والذي خبث كالحرة والسبخة لا يخرج
إلا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال والتقدير والبلد الذي خبث لا يخرج نباته إلا
نكدا فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج أي يخرجه البلد فيكون
إلا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر أي ذا نكد ونكدا بالإسكان للتخفيف كذلك نصرف الآيات
نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات
وانتفع بها ولمن لم يرفع إليها رأسا ولم يتأثر بها لقد أرسلنا نوحا إلى قومه جواب قسم محذوف
ولا تكاد تطلق هذه اللام إلا مع قد لأنها مظنة التوقع فإن المخاطب إذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح
ابن لامك بن متوشلخ بن إدريس أول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة أو أربعين فقال يا قوم اعبدوا الله
أي اعبدوه وحده لقوله ما لكم من إله غيره وقرأ الكسائي غيره بالكسر على اللفظ حيث وقع إذا كان قبل
إله من التي تخفض وقرئ بالنصب على الاستثناء إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم إن لم تؤمنوا وهو
الوعيد وبيان للداعي إلى عبادته واليوم يوم القيامة أو يوم نزول الطوفان قال الملأ من قومه أي الأشراف
فإنهم يملؤون العيون رواء إنا لنراك في ضلال زوال عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة أي شيء
من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا في الإثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدراك
باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كأنه قال ولكني على هدى في الغاية لأني رسول من الله أبلغكم
رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول أو استئناف ومساقها على الوجهين
لبيان كونه رسولا وقرأ أبو عمرو أبلغكم المراد بها ما أوحي إليه وإلى الأنبياء قبله كصحف شيث وإدريس
وزيادة اللام مع لكم للدلالة على إمحاض النصح لهم وفي أعلم من الله تقرير لها وعلة لهما فإن معناه أعلم من
قدرته وشدة بطشه أو من جهته بالوحي أشياء لا علم لكم بها أوعجبتم الهمزة للإنكار والواو للعطف على
محذوف أي أكذبتم وعجبتم أن جاءكم من أن جاءكم ذكر من ربكم رسالة أو موعظة على
رجل على لسان رجل منكم من جملتكم أو من جنسكم فإنهم كانوا يتعجبون من إرسال البشر ويقولون
لو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا
منها بسبب الإنذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على أن التقوى غير موجب
والترحم من الله تفضل وأن المتقي ينبغي أن لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله فكذبوه فأنجيناه

والذين معه وهم من آمن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث
وستة ممن آمن به في الفلك متعلق بمعه او بانجيناه او حال من الموصول او الضمير في معه واغرقنا الذين
كذبوا بآياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين واصله عميين فخفف
وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف على نوحا الى قومه هودا عطف بيان
لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد
بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن عم ابي عاد وانما
جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره استئناف به ولم يعطف كانه جواب سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم افلا
تتقون عذاب الله وكان قومه كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال افلا تتقون قال الملأ الذين
كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة متمكنا في
خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة
ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم
ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء
الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس
وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين
وقرأ ابو عمرو ابلغكم في الموضعين في هذه السورة وفي الاحقاف مخففا واذكروا اذ جعلكم خلفاء
من بعد قوم نوح اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض
من رمل عالج الى شحر عمان خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة
قامة وقوة فاذكروا آلاء الله تعميم بعد تخصيص لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها
المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا اختصاص
الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في اجئتنا
اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او من السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني
فأتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون ان كنت من الصادقين فيه قال
قد وقع عليكم قد وجب وحق عليكم او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس
عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها
انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اي في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية لان
المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية
او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى
واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم

هو

هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل
الله بها سلطانا وضعفهما ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب بكم
اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين
كذبوا بآياتنا اي استأصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على ان
الفارق بين من نجا وبين من هلك هو الايمان روي انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم
هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ
مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز
ومرثد بن سعد في سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم
معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا
يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة
ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين

الا يا قيل ويحك قم فهينم ... لعل الله يسقينا غماما
فيسقي ارض عاد ان عادا ... قد امسوا ما يبينون الكلاما

حتى غنتا فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم
فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم
اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء
يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادي المغيث فاستبشروا
بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة
وعبدوا الله فيها حتى ماتوا والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن
سام بن نوح وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتأويل الحي او باعتبار الاصل
وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى اخاهم صالحا صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح
بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من
ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وقوله هذه ناقة الله لكم آية استئناف لبيانها وآية نصب
على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له آية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا
عاملا في آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عنده بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك
كانت آية فذروها تأكل في ارض الله العشب ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة
بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر فيأخذكم عذاب اليم جواب للنهي واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا
اي تبنون في سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر وتنحتون من الجبال بيوتا

وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالإشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة والمفعول على أن التقدير بيوتا
من الجبال أو تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين قال الملأ الذين
استكبروا من قومه أي عن الإيمان للذين استضعفوا أي للذين استضعفوهم واستذلوهم
لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل إن كان الضمير لقومه وبدل البعض إن كان للذين
وقرأ ابن عامر وقال الملأ بالواو أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء قالوا إنا بما
أرسل به مؤمنون عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها على أن إرساله أظهر من أن يشك
فيه عاقل ويخفى على ذي رأي وإنما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال قال الذين استكبروا
إنا بالذي آمنتم به كافرون على المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع أرسل به ردا لما جعلوه معلوما
مسلما فعقروا الناقة فنحروها أسند إلى جميعهم فعل بعضهم للملابسة أو لأنه كان برضاهم وعتوا
عن أمر ربهم واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما
تعدنا إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة الزلزلة فأصبحوا في دارهم جاثمين خامدين
ميتين روي أنهم بعد عاد عمروا بلادهم وكثروا وعمروا أعمارا طوالا لا تفي بها الأبنية فنحتوا البيوت من الجبال
وكانوا في خصب وسعة فعتوا وأفسدوا في الأرض وعبدوا الأصنام فبعث الله إليهم صالحا من أشرافهم
فأنذرهم فسألوه آية فقال أية آية تريدون قالوا اخرج معنا إلى عيدنا فتدعو إلهك وندعو آلهتنا فمن
استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا أصنامهم فلم تجبهم ثم أشار سيدهم جندع بن عمرو إلى صخرة منفردة
يقال لها الكاثبة وقال له أخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فإن فعلت صدقناك
فأخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض
النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في
العظم فآمن به جندع في جماعة ومنع الباقين من الإيمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب أوثانهم ورباب
بن صغر كاهنهم فمكثت الناقة وولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل
ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تملأ أوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي
فتهرب منها أنعامهم إلى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم إلى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت
عقرها لهم عنيزة أم غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه
قارة فرغا ثلاثا فقال صالح أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه إذ انفجت
الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث
مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فنجاه الله إلى أرض فلسطين فلما كان
ضحوة اليوم الرابع تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالأنطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا
فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون
الناصحين ظاهره أن توليه عنهم كان بعد أن أبصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم

كما

كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل قليب بدر وقال إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل
وجدتم ما وعد ربكم حقا أو ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم ولوطا أي وأرسلنا لوطا إذ قال لقومه
وقت قوله لهم أو واذكر لوطا وإذ بدل منه أتأتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية
في القبح ما سبقكم بها من أحد من العالمين ما فعلها قبلكم أحد قط والباء للتعدية ومن الأولى
لتأكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استئناف مقرر للإنكار كأنه وبخهم أولا بإتيان
الفاحشة ثم باختراعها فإنه أسوأ إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله
أتأتون الفاحشة وهو أبلغ في الإنكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص إنكم على الإخبار المستأنف وشهوة مفعول
له أو مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على أن العاقل ينبغي أن
يكون الداعي له إلى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر بل أنتم قوم مسرفون إضراب عن الإنكار
إلى الإخبار عن حالهم التي أدت بهم إلى ارتكاب أمثالها وهي اعتياد الإسراف في كل شيء أو عن الإنكار عليها
إلى الذم على جميع معايبهم أو عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل أنتم قوم عادتكم الإسراف وما
كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم أي ما جاؤوا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم
قابلوا نصحه بالأمر بإخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا إنهم
أناس يتطهرون أي من الفواحش فأنجيناه وأهله أي من آمن به من أهله إلا امرأته استثناء من أهله
فإنها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب
الذكور وأمطرنا عليهم مطرا أي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وأمطرنا عليهم حجارة
من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روي أن لوط بن هاران بن تارح لما هاجر مع
عمه إبراهيم إلى الشام نزل بالأردن فأرسله الله إلى أهل سدوم ليدعوهم إلى الله وينهاهم عما اخترعوه
من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فأمطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت
الحجارة على مسافريهم وإلى مدين أخاهم شعيبا أي وأرسلنا إليهم وهم أولاد مدين بن
إبراهيم شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يريد
المعجزة التي كانت له وليس في القرآن أنها ما هي وما روي من محاربة عصا موسى التنين وولادة
الغنم التي دفعها إليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من أولادها ووقوع عصا آدم على يده
في المرات السبع متأخرة عن هذه المقاولة ويحتمل أن تكون كرامة لموسى أو إرهاصا لنبوته
فأوفوا الكيل أي آلة الكيل على الإضمار أو إطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله
والميزان كما قال في سورة هود أوفوا المكيال والميزان أو الكيل ووزن الميزان ويجوز أن يكون الميزان
مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وإنما قال أشياءهم للتعميم
تنبيها على أنهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا إلا

مكسوه ولا تفسدوا في الأرض بالكفر والحيف بعد إصلاحها بعد ما أصلح أمرها وأهلها الأنبياء وأتباعهم
بالشرائع أو أصلحوا فيها والإضافة إليها كالإضافة في بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم إن
كنتم مؤمنين إشارة إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية إما الزيادة مطلقا أو في
الإنسانية وحسن الأحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من
طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وإن كان واحدا لكنه يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام
وكانوا إذا رأوا أحدا يسعى في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا
إنه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن آمن به وقيل يقطعون الطريق وتصدون عن
سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم
ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه أو الإيمان بالله من آمن به أي بالله أو بكل صراط
على الأول ومن مفعول تصدون على إعمال الأقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون
بما عطف عليه في موقع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بإلقاء
الشبه أو وصفها للناس بأنها معوجة واذكروا إذ كنتم قليلا عددكم فكثركم بالبركة
في النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الأمم قبلكم فاعتبروا بهم وإن كان
طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا حتى يحكم
الله بيننا أي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير
الحاكمين إذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك
يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا أي ليكونن أحد الأمرين إما إخراجكم
من القرية أو عودكم في الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم قط لأن الأنبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا
لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك أجرى الجواب في قوله قال أولو
كنا كارهين أي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها أو أتعيدوننا في حال كراهتنا قد افترينا
على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها شرط جوابه
محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لأنه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وأدخل عليه قد
لتقريبه من الحال أي قد افترينا الآن إن هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث زعمنا أن لله ندا
وأنه قد نجانا منها أي ما كنا عليه باطل وما أنتم عليه حق وقيل إنه جواب قسم وتقديره والله لقد
افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا
وفيه دليل على أن الكفر بمشيئة الله وقيل أراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع
ربنا كل شيء علما أي أحاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا
في أن يثبتنا على الإيمان ويخلصنا من الأشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا والفتاح
القاضي والفتاحة الحكومة أو أظهر أمرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح

المشكل

المشكل إذا بينه وأنت خير الفاتحين على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم
شعيبا وتركتم دينكم إنكم إذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم أو لفوات ما يحصل
لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام فأخذتهم الرجفة
الزلزلة وفي سورة الحجر فأخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها فأصبحوا في دارهم جاثمين
أي في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها أي استؤصلوا كأن لم
يقيموا بها والمغنى المنزل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين صدقوه
واتبعوه كما زعموا فإنهم الرابحون في الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف
بالجملتين وأتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت
لكم قاله تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم أنكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم
كافرين ليسوا أهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم أو قاله اعتذارا عن عدم شدة
حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الإبلاغ والإنذار وبذلت وسعي في النصح والإشفاق فلم تصدقوا
قولي فكيف آسى عليكم وقرئ إيسى بالإمالة وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء
والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة
أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالأمرين حتى عفوا
كثروا عددا وعددا يقال عفا النبات إذا كثر ومنه إعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء
كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بأنه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء
وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا فأخذناهم بغتة فجأة وهم لا يشعرون بنزول العذاب
ولو أن أهل القرى يعني القرى المدلول عليها بقوله وما أرسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها
آمنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض لوسعنا عليهم
الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن
كذبوا الرسل فأخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي أفأمن أهل القرى
عطف على قوله فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى أبعد ذلك أمن أهل
القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا تبييتا أو وقت بيات أو مبيتا أو مبيتين وهو في الأصل مصدر
بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز
أو المستتر في بياتا أوأمن أهل القرى وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر أو بالسكون على الترديد
أن يأتيهم بأسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الأصل ضوء الشمس إذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون
من فرط الغفلة أو يشتغلون بما لا ينفعهم أفأمنوا مكر الله تقرير لقوله أفأمن أهل القرى ومكر
الله استعارة لاستدراج العبد وأخذه من حيث لا يحتسب فلا يأمن مكر الله إلا القوم
الخاسرون الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد

أهلها أي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وإنما عدي يهد باللام لأنه بمعنى يبين
أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم أن الشأن لو نشاء أصبناهم بجزاء ذنوبهم كما
أصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على
ما دل عليه أو لم يهد أي يغفلون عن الهداية أو منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على
أصبناهم على أنه بمعنى وطبعنا لأنه في سياقه جواب لو لإفضائه إلى نفي الطبع عنهم فهم
لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى يعني قرى الأمم المار ذكرهم نقص عليك
من أنبائها حال إن جعل القرى خبرا وتكون إفادته بالتقييد بها وخبر إن جعلت صفة ويجوز أن
يكونا خبرين ومن للتبعيض أي نقص بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لا نقصها ولقد جاءتهم
رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما
كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب أو فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به أولا
حين جاءتهم الرسل ولم يؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام لتأكيد النفي و
الدلالة على أنهم ما صلحوا للإيمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك
يطبع الله على قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر وما وجدنا لأكثرهم
لأكثر الناس والآية اعتراض أو لأكثر الأمم المذكورين من عهد وفاء عهد فإن أكثرهم نقضوا
ما عهد الله إليهم في الإيمان والتقوى بإنزال الآيات ونصب الحجج أو ما عهدوا إليه حين كانوا في
ضر ومخافة مثل لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وإن وجدنا أكثرهم أي علمناهم
لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول إن المخففة واللام الفارقة وذلك لا يسوغ إلا في المبتدأ
والخبر والأفعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين إن للنفي واللام بمعنى إلا ثم بعثنا من بعدهم
موسى الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم أو للأمم بآياتنا يعني المعجزات إلى فرعون
وملئه فظلموا بها بأن كفروا بها مكان الإيمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع
ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لمن ملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل
الوليد بن مصعب بن ريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين. وقال موسى يا فرعون
إني رسول من رب العالمين إليك وقوله حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق لعله جواب
لتكذيبه إياه في دعوى الرسالة وإنما لم يذكر لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان أصله حقيق على
أن لا أقول كما قرأه نافع فقلب لأمن الالتباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر. أو لأن
ما لزمك فقد لزمته أو للإغراق في الوصف بالصدق والمعنى أنه حق واجب على القول الحق أن أكون
أنا قائله لا يرضى إلا بمثلي ناطقا به أو ضمن حقيق معنى حريص أو وضع على مكان الباء لإفادة
التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة أبي بالباء وقرئ حقيق
أن لا أقول قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل فخلهم حتى يرجعوا معي

إلى الأرض

إلى الأرض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الأعمال قال إن كنت
جئت بآية من عند من أرسلك فأت بها فأحضرها عندي ليثبت بها صدقك إن كنت من الصادقين
في الدعوى فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ظاهر أمره لا يشك في أنه ثعبان وهو الحية العظيمة
روي أنه لما ألقاها صارت ثعبانا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الأسفل على
الأرض والأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه وأحدث وانهزم الناس مزدحمين
فمات منهم خمسة وعشرون ألفا فصاح فرعون يا موسى أنشدك بالذي أرسلك خذه وأنا أؤمن بك
وأرسل معك بني إسرائيل فأخذه فعاد عصا ونزع يده من جيبه أو من تحت إبطه فإذا هي بيضاء
للناظرين أي بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليها النظارة أو بيضاء للنظار لا أنها كانت بيضاء
في جبلتها روي أنه كان آدم شديد الأدمة فأدخل يده في جيبه أو تحت إبطه ثم نزعها فإذا هي بيضاء
نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم قيل قاله
هو وأشراف قومه على سبيل التشاور في أمره فحكى عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا يريد أن يخرجكم
من أرضكم فماذا تأمرون تشيرون في أن نفعل قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن
حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم كأنه اتفقت عليه آراؤهم فأشاروا به على فرعون والإرجاء
التأخير أي أخر أمره وأصله أرجئه كما قرأ أبو عمرو ويعقوب وأبو بكر من أرجأت وكذلك أرجئهو على قراءة
ابن كثير على الأصل في الضمير أو أرجهي من أرجيت كما قرأ نافع في رواية ورش وإسمعيل والكسائي وأما
قراءته في رواية قالون أرجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها وأما قراءة حمزة وعاصم وحفص أرجه
بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كإبل في إسكان وسطه وأما قراءة ابن عامر برواية
ابن ذكوان أرجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فإن الهاء لا تكسر إلا إذا كان قبلها كسرة
أو ياء ساكنة ووجهه أن الهمزة لما كانت تقلب ياء أجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار فيه
وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء وجاء السحرة فرعون بعدما أرسل الشرط في طلبهم
قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين استئناف كأنه جواب سائل قال ما قالوا إذ جاءوا
وقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم إن لنا على الإخبار وإيجاب الأجر كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر والتنكير
للتعظيم قال نعم إن لكم لأجرا وإنكم لمن المقربين عطف على ما سد مسده نعم زيادة على الجواب
لتحريضهم قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين خيروا موسى مراعاة للأدب
أو إظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في أن يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم إلى ما هو أبلغ وتعريف
الخبر وتوسيط الفصل أو تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك قال بل ألقوا كرما وتسامحا أو ازدراء
بهم ووثوقا على شأنه فلما ألقوا سحروا أعين الناس بأن خيلوا إليها ما الحقيقة بخلافه واسترهبوهم
وأرهبوهم إرهابا شديدا كأنهم طلبوا رهبتهم وجاءوا بسحر عظيم في فنه روي أنهم ألقوا حبالا
غلاظا وخشبا طوالا كأنها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك

فالقاها فصارت حية فاذا هي تلقف ما يأفكون اي ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن
وجهه ويجوز ان تكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم
وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت
عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وقرا حفص عن عاصم
تلقف هنا وفي طه والشعراء فوقع الحق فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون من السحر
والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة مقهورين
والضمير لفرعون وقومه والقي السحرة ساجدين جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق
بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى
ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته
قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون
قال فرعون آمنتم به بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم
وروح عن يعقوب وهشام بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرا حفص آمنتم على الاخبار وقرا قنبل قال
فرعون وآمنتم يبدل في حال الوصل من همزة الاستفهام واوا مفتوحة وبعدها همزة ممدودة في تقدير الفين
وقرا في طه على الخبر بهمزة والف وقرا في الشعراء على الاستفهام بهمزة ومدة في تقدير الفين وقرا
الباقون بتحقيق الهمزة الاولى وتليين الثانية قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه
اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا للميعاد لتخرجوا
منها اهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل
تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم
وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة لله
ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك
او انا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله او مصيرنا ومصيرك
الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال
واصل المناقب ليس مما يتاتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله سبحانه وتعالى فقالوا ربنا
افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر
على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل انه
لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى
وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على يفسدوا او جواب
للاستفهام بالواو كقول الحطيئة ؛ الم اك جاركم ويكون بيني ؛ وبينكم المودة والاخاء ؛
على معنى ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر او استئناف

او حال

او حال وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك لقوله تعالى فاصدق واكن والهتك معبوداتك قيل
كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ
والاهتك اي عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على
ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده
وقرئ سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه
استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم ان الارض لله يورثها
من يشاء من عباده تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر والعاقبة للمتقين
وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة
بالنصب عطفا على اسم ان واللام في الارض تحتمل العهد والجنس قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا من قبل
ان تاتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم ان يهلك
عدوكم ويستخلفكم في الارض تصريحا بما كنى عنه اولا لما راى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله
اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر انما فتح لهم
في زمان داود عليه السلام فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان
فيجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة
غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنتت القوم اذا قحطوا ونقص
من الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ان ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم
فيتعظوا او لترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب
والسعة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى
ومن معه يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة
فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهم لم تؤثر
فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق
الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع
الا انما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته او سبب شؤمهم
عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم ما يسوؤهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع
وقيل جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم من الله تعالى او من شؤم اعمالهم وقالوا مهما
اصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من
مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء او النصب بفعل يفسره تاتنا به اي
ايما شيء تحضرنا تاتنا به من آية بيان لمهما وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك
قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اي لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير في به وبها لمهما ذكره

قبل التبيين باعتبار اللفظ وانثه بعده باعتبار المعنى فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشى
اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل كبار
القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة
شديدة لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بني
اسرائيل مشتبكة ببيوتهم فلم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام
ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فنبت
لهم من الكلا والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم
ثم اخذت تاكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه
نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه
الجراد وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا
قد تحققنا الان انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت
فيه وكانت تمتلي منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه
وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد ثم ارسل الله عليهم الدم
فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي والاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي
ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف آيات نصب على الحال
مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله تعالى ونقمته عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم
اذ كان بين كل اثنتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى عليه السلام لبث فيهم
بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الايات على مهل فاستكبروا عن الايمان وكانوا
قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل او الطاعون ارسله الله تعالى عليهم
بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهد
اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع
الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب
منك بحق ما عهد عندك او قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن
معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن فلما كشفنا
عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه او مهلكون وهو وقت
الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجاوا
النكث من غير توقف وتامل فيه فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم اي البحر
الذي لا يدرك قعره وقيل لجته بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين اي كان اغراقهم
بسبب تكذيبهم بالايات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها

بقوله

بقوله فانتقمنا واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بالاستعباد وذبح الابناء من
مستضعفيهم مشارق الارض ومغاربها يعني ارض الشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة
والعمالقة وتمكنوا في نواحيها التي باركنا فيها بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة ربك الحسنى
على بني اسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصر والتمكين وهو قوله و
نريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب
صبرهم على الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات
وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرا ابن عامر وابو
بكر هنا وفي النحل يعرشون بالضم وهذا اخر قصة فرعون وقومه وجاوزنا ببني اسرائيل البحر
وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم
من الايات العظام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما راى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن
محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روي ان موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون
وقومه فصاموه شكرا فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل
كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم
وقرا حمزة والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم آلهة
يعبدونها وما كافة للكاف قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر
عنهم بعد ما راوا من الايات الكبرى عن العقل ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه
يعني ان الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا
يعملون من عبادتها وان قصدوا به التقرب الى الله وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار
عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار
لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلي لازم لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله
ابغيكم الها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها
غيركم وفيه تنبيه على سوء معاملتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا
بان قصدوا ان يشركوا به اخس شيء من مخلوقاته واذ انجاكم من آل فرعون واذكروا صنيعه
معكم في هذا الوقت وقرا ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان ما انجاهم
منه او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل
منه مبين وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا
موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وقرا ابو عمرو ويعقوب ووعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات
ربه اربعين ليلة بالغا اربعين روي انه عليه السلام وعد بني اسرائيل بمصر ان ياتيهم بعد مهلك فرعون
بكتاب من الله تعالى فيه بيان ما ياتون ويذرون فلما هلك سال ربه فامره بصوم ثلاثين فلما اتم انكر

خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان يزيد
عشرا وقيل امره بان يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التورية في العشر وكلمه فيها وقال موسى
لاخيه هرون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع
سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي
وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما
روي انه عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس
سماع كلام المحدثين قال رب ارني انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر
اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا
ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن ارى ولن اريك ولن تنظر الي تنبيها على
انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين
قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم
حين قالوا اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب
على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره
اصلا فضلا عن ان يدل على استحالته ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية قال
لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك يريد ان
يبين به انه لا يطيقه وفي تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل على الجواز ضرورة ان المعلق على
الممكن ممكن والجبل قيل هو جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره
وقيل اعطى له حيوة ورؤية حتى رآه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق
وقرأ حمزة والكسائي دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا جمع دكاء
وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى فلما افاق قال تعظيما لما رأى سبحانك تبت
اليك من الجرأة والاقدام على السؤال بغير اذن وانا اول المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه وانا
اول من آمن بانك لا ترى في الدنيا قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك على الناس اي الموجودين
في زمانك وهرون وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي يعني
اسفار التورية وقرأ ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما آتيتك اعطيتك
من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه روي ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء
التورية يوم النحر وكتبنا له في الالواح من كل شيء مما يحتاجون اليه من امر الدين
موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور اي كتبنا له كل شيء من المواعظ وتفصيل
الاحكام واختلف في ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت
احمر او صخرة صماء لينها الله لموسى فقطعها بيده وشققها باصابعه وكان فيها التورية او غيرها

فخذها

فخذها على اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للالواح ولكل شيء فانه بمعنى
الاشياء او للرسالات بقوة بجد وعزيمة وأمر قومك يأخذوا باحسنها اي باحسن ما فيها كالصبر
والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل كقوله واتبعوا احسن ما
انزل اليكم من ربكم او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقا لا
بالاضافة وهو المأمور به كقولهم الصيف احر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه
بمصر خاوية على عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم في الآخرة وهي
جهنم وقرئ سأوريكم بمعنى سابين لكم من اوريت الزند وسأورثكم ويؤيده قوله واورثنا القوم
سأصرف عن آياتي المنصوبة في الآفاق والانفس الذين يتكبرون في الارض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون
فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم
بغير الحق صلة يتكبرون اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا
كل آية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم او اختلال عقولهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد
وهو يؤيد الوجه الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ
حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا
سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين اي ذلك الصرف
بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر اي سأصرف ذلك الصرف
بهما والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اي ولقائهم الدار الآخرة او ما وعد الله في الآخرة حبطت
اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما كانوا يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى
من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها
اليهم لانها كانت في ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرأ حمزة والكسائي
بالكسر بالاتباع كدلي ويعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا
من الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه من تراب
اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فتدخل الريح جوفه وتصوت وانما نسب الاتخاذ
اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار اي صياح الم يروا انه
لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى الم يروا حين اتخذوه
الها انه لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر
اتخذوه تكرير للذم اي اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين الاشياء في غير موضعها فلم تكن اتخاذ العجل
بدعا منهم ولما سقط في ايديهم كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير
يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم
ورأوا وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التورية ويغفر لنا بالتجاوز

عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين وقرأهما حمزة والكسائي بالتاء وربنا على النداء ولما رجع موسى الى قومه
غضبان أسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي حيث عبدتم
العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة
تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من
بعدي من بعد انطلاقي او من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه أعجلتم
أمر ربكم أتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته او أعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه
من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم وألقى الألواح طرحها
من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي ان التورية كانت سبعة اسباع في سبعة ألواح فلما ألقاها
انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام وأخذ برأس
أخيه بشعر رأسه يجره إليه توهما بانه قصر في كفهم وهرون كان اكبر منه بثلث سنين وكان حمولا لينا
ولذلك كان احب الى بني اسرائيل قال ابن أم ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائي وابو بكر عن عاصم هاهنا وفي طه يا ابن ام بالكسر واصله يا ابن امي فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا
كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر إن القوم استضعفوني
وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني
وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الأعداء فلا تفعل بي ما يشمتون بي لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين
معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او نسبة التقصير قال رب اغفر لي بما صنعت باخي ولأخي ان فرط
في كفهم ضمه الى نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه وأدخلنا في رحمتك بمزيد الانعام
علينا وأنت أرحم الراحمين فأنت أرحم بنا منا على انفسنا إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب
من ربهم وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وذلة في الحيوة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وقيل
الجزية وكذلك نجزي المفترين على الله ولا فرية اعظم من فريتهم وهي قولهم هذا إلهكم وإله موسى
ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من
بعدها من بعد السيئات وآمنوا واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة إن ربك من
بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بني اسرائيل
ولما سكت عن موسى الغضب باعتذار هرون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة
وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه
بالسكوت وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله او هرون او الذين تابوا أخذ الألواح التي ألقاها
وفي نسختها وفيما نسخ فيها اي كتب فعلة بمعنى المفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح
المكسرة هدى بيان للحق ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام
المفعول لضعف الفعل بالتاخير او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم

واختار

واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل اليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم
الرجفة روي انه تعالى امره ان يأتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان
فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين
فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام فخروا سجدا فسمعوه تعالى يكلم موسى يأمره وينهاه
ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او
رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل وإياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان
يرى ما رأى او بسبب آخر او عنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم
في البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك
أتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل
المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا
منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشف الله
عنهم إن هي إلا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية او اوجدت في العجل خوارا
فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل وتهدي من تشاء هداه
فيقوى بها ايمانه أنت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا وأنت خير
الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق
طاعة وفي الآخرة الجنة إنا هدنا إليك تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده
اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا واملنا اليك ويجوز ان يكون
المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال عذابي أصيب به من أشاء تعذيبه
ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره فسأكتبها فسأثبتها في الآخرة
او فسأكتبها كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة خصها
بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم والذين هم بآياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها
الذين يتبعون الرسول النبي مبتدأ خبره يأمرهم او خبر مبتدأ تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون
بدل البعض او الكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله تعالى
ونبيا بالاضافة الى العباد الأمي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته
الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل اسمه وصفته يأمرهم بالمعروف وينهاهم
عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او
كالربا والرشوة ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف
الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل
الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وقرأ ابن عامر آصارهم فالذين آمنوا به وعزروه

وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه
اي مع نبوته يعني القران وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق
مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى
اتباع الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الاية جواب دعا
موسى عليه السلام قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات والارض
صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدا
خبره لا اله الا هو وهو على الوجوه الاول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفي يحيي
ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته
ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القران او عيسى عليه
السلام تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه
الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين
تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلال ومن قوم موسى يعني من
بني اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون الناس محقين او بكلمة الحق وبه بالحق يعدلون بينهم في الحكم
والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة
القران تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل
قوم وراء الصين راهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فامنوا به وقطعناهم وصيرناهم
قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير او حال وتانيثه
للحمل على الامة او القطعة اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباط
كانه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها امما على الاول بدل بعد بدل او نعت اسباطا
وعلى الثاني بدل من اسباطا واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست
اي فضرب فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى عليه السلام لم يتوقف في الامتثال وان ضربه
لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط مشربهم
وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا اي وقلنا لهم كلوا
من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة
البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكر والقرية بيت المقدس وكلوا منها
حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفاء
افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره ثمة او بدلالة الحال عليه واما تقديم
قولوا على وادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطيئاتكم

سنزيد

سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستئناف للدلالة على انه
تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به وقرا نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم
بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد وقرا ابو عمرو خطاياكم فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل
لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مضى تفسيره فيها واسالهم للتقرير والتقريع
بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم الا بتعليم او وحي ليكون لك ذلك معجزة عليهم
عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور
على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت
واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون
او بدل بعد بدل وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد اي يعدون الات الصيد يوم السبت
وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا
عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ
يوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تاتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول
بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف
كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل
بما قبله اي لا تاتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء متعلق بيعدون واذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم
جماعة من اهل القرية يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم لم تعظون قوما الله
مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذابا شديدا في الاخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ
لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة
الى ربكم جواب للسؤال اي موعظتنا انهاء عذر الى الله تعالى حتى لا ننسب الى تفريط في النهي عن المنكر وقرا
حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اي اعتذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون
اذ الياس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا الذين
ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس
باسا اذا اشتد وقرا ابو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس
كحذر كما قرئ مخففة عنه بنقل حركتها الى الباء ككبد في كبد ونافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذيب
او انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيس كريس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس بالتخفيف
كهين وبائس على وزن فاعل بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك
ما نهوا عنه كقوله تعالى وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون والظاهر يقتضي ان الله عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان
تكون الاية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى روي ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا

القرية بجدار فيه باب مطروق فأصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شأنا فدخلوا عليهم
فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القردة تعرفهم فجعلت تأتي انسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية
حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تأذن ربك اي اعلم تفعل من
الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله واجري مجرى فعل القسم
كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيامة والمعنى واذ اوجب ربك
على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم سليمان
عليه السلام ثم بختنصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي
منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا عليه السلام ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال
مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن
وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا تكون لهم
شوكة قط وامما مفعول ثان او حال منهم الصالحون صفة او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم
ومنهم دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم
وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه فخلف
من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع
وهو شائع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب
التوراة من اسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى حطام هذا الشيء الادنى
يعني الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشى في الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة
حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل
مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا اي
يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب
اي في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا والمراد توبيخهم
على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه
عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الآخرة خير للذين يتقون
مما يأخذ هؤلاء افلا تعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الادنى الدني المؤدي الى العقاب بالنعيم
المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين والذين يمسكون بالكتاب واقاموا
الصلوة عطف على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير
منهم او وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد
الاقامة لانافتها على سائر انواع التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم اي قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق
الجذب كأنه ظلة سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل

لا يثبت

لا يثبت بالجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام
التورية لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار القول
اي وقلنا خذوا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو
واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق واذ اخذ
ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم اي اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد
قرن ومن ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم
واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا اي ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب
في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم
من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله ان تقولوا يوم
القيامة اي كراهة ان تقولوا انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل او تقولوا عطف على
ان تقولوا وقرأ ابو عمرو كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا
ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا
افتهلكنا بما فعل المبطلون يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله آدم اخرج
من ظهره ذريته كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضي الله
عنه وقد حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام
اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية
والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الآيات
ولعلهم يرجعون عن التقليد واتباع الباطل واتل عليهم اي على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا
هو احد علماء بني اسرائيل او امية بن ابي الصلت فانه كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا
في ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به او بلعم بن باعوراء من
الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بان كفر بها واعرض عنها فأتبعه الشيطان
حتى لحقه وقيل استتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين روي ان قومه سألوه ان يدعو على
موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو
شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء بها بسبب تلك الآيات وملازمتها ولكنه اخلد الى
الارض مال الى الدنيا او الى السفالة واتبع هواه في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات
وانما علق رفعه بمشيئة الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه
وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشيئة وان ما نشاهده
من الاسباب وسائط معتبرة في حصول المسبب من حيث ان المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه ان
يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب

الدنيا من مال وكل خطة فمثله فصفته التي هي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته في أخس أحواله وهو إن
تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث أي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد أو ترك ولم يتعرض له بخلاف
سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث إدلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا
في الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على
موسى عليه السلام خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا
بآياتنا فاقصص القصص أي القصة المذكورة على اليهود فإنها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا يؤدي
بهم إلى الاتعاظ ساء مثلا القوم أي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم الذين
كذبوا بآياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وأنفسهم كانوا يظلمون إما أن يكون داخلا
في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم أنفسهم أو منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا
بالتكذيب إلا أنفسهم فإن وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل
فأولئك هم الخاسرون تصريح بأن الهدى والضلال من الله تعالى وأن هداية الله تختص ببعض دون
بعض وأنها مستلزمة للاهتداء والإفراد في الأول والجمع في الثاني باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على أن المهتدين
كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار في الإخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشأن الاهتداء
وتنبيه على أنه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وأنه المستلزم للفوز بالنعم
الآجلة والعنوان لها ولقد ذرأنا خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس يعني المصرين على الكفر في علم
الله لهم قلوب لا يفقهون بها إذ لا يلقونها إلى معرفة الحق والنظر في دلائله ولهم أعين لا يبصرون بها
أي لا ينظرون إلى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تأمل
وتذكر أولئك كالأنعام في عدم الفقه والإبصار والاستماع للتدبر أو في أن مشاعرهم وقواهم
متوجهة إلى أسباب التعيش مقصورة عليها بل هم أضل فإنها تدرك ما يمكن لها أن تدرك من المنافع
والمضار وتجتهد في جلبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار
أولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة ولله الأسماء الحسنى لأنها دالة على معان هي أحسن المعاني
والمراد بها الألفاظ وقيل الصفات فادعوه بها فسموه بتلك الأسماء وذروا الذين يلحدون في أسمائه
واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه إذ ربما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا أبا
المكارم يا أبيض الوجه أو لا تبالوا بإنكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف إلا رحمن اليمامة أو وذروهم وإلحادهم
فيها بإطلاقها على الأصنام واشتقاق أسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه
أو أعرضوا عنهم فإن الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون وقرأ حمزة هنا وفي فصلت يلحدون
بالفتح يقال لحد وألحد إذا مال عن القصد وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعدما
بين أنه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على أنه خلق أيضا للجنة أمة هادين بالحق عادلين
في الأمر واستدل به على صحة الإجماع لأن المراد منه أن في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله صلى الله عليه وسلم

لا تزال

لا يزال من أمتي طائفة على الحق إلى أن يأتي أمر الله إذ لو اختص بعهد الرسول وغيره لم يكن لذكره فائدة فإنه
معلوم والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم إلى الهلاك قليلا قليلا وأصل الاستدراج الاستصعاد
والاستنزال درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك أن تتواتر عليهم النعم فيظنوا أنها
لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب وأملي لهم وأمهلهم عطف
على سنستدرجهم إن كيدي متين إن أخذي شديد وإنما سماه كيدا لأن ظاهره إحسان وباطنه
خذلان أولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا عليه أفضل الصلاة والسلام من جنة جنون روي أنه
عليه السلام علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم إن صاحبكم لمجنون بات يهوت
إلى الصباح فنزلت إن هو إلا نذير مبين موضح إنذاره بحيث لا يخفى على ناظر أولم ينظروا نظر استدلال
في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء مما يقع عليه اسم الشيء من الأجناس التي لا
يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها ومتولي أمرها ليظهر لهم
صحة ما يدعوهم إليه وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم عطف على ملكوت وأن مصدرية أو مخففة
من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون والمعنى أولم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا
إلى طلب الحق والتوجه إلى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب فبأي حديث بعده أي بعد القرآن يؤمنون
إذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كأنه إخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد إلزام الحجة والإرشاد
إلى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى أن يكون كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الإيمان
بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فإن لم يؤمنوا به فبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا
وقوله من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل له ونذرهم في طغيانهم بالرفع على الاستئناف
وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفا على محل فلا هادي
له كأنه قيل لا يهده أحد غيره ونذرهم يعمهون حال من هم يسألونك عن الساعة عن القيامة
وهي من الأسماء الغالبة وإطلاقها عليها إما لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو لأنها على طولها عند الله
كساعة أيان مرساها متى إرساؤها أي إثباتها وأرسوا الشيء إثباته وإقراره ومنه رسا الجبل وأرسى
السفينة واشتقاق أيان من أي لأن معناه أي وقت وهو من أويت لأن البعض آو إلى الكل قل إنما علمها عند
ربي استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها لا يظهر أمرها في وقتها إلا هو
والمعنى أن الخفاء بها مستمر على غيره إلى وقت وقوعها واللام للتأقيت كاللام في قوله أقم الصلاة لدلوك
الشمس ثقلت في السموات والأرض عظمت على أهلها من الملائكة والثقلين هولها وكأنه إشارة إلى الحكمة
في إخفائها لا تأتيكم إلا بغتة فجأة على غفلة كما قال عليه السلام إن الساعة تهيج بالناس والرجل
يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك
كأنك حفي عنها عالم بها فعيل من حفي عن الشيء إذا سأل عنه فإن من بالغ في السؤال عن الشيء
والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدي بعن وقيل هو صلة يسألونك وقيل هي من الحفاوة بمعنى

الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها كأنك حفي تتحفهم
فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه من حفي بالشيء اذا فرح به اي
تكرهه لانه من الغيب الذي استأثر الله بعلمه قل انما علمها عند الله كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه
الزيادة وللمبالغة ولكن أكثر الناس لا يعلمون اي علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه قل لا أملك
لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبري من ادعاء العلم بالغيب الا ما شاء
الله من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء
ولو كنت اعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء ان انا الا نذير
وبشير وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة لقوم يؤمنون فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا
بالبشير ومتعلق النذير محذوف هو الذي خلقكم من نفس واحدة هو آدم عليه السلام وجعل منها
من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حواء ليسكن
اليها ليأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشيء الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب
فلما تغشاها اي جامعها حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى الحوامل غالبا من الاذى او محمولا
خفيفا هو النطفة فمرت به فاستمرت به اي قامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت وفمارت
من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت به فلما اثقلت صارت ذات ثقل بكبر الولد
في بطنها وقرئ على البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه
لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة المجددة فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما
اي جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم
يخلقون يعني الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله
بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرته لآدم فهما منه ثم عاد اليها وقال اني من
الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه
حارثا في الملائكة فقبلت فلما ولدت سمياه عبد الحارث وامثال ذلك لا تليق بالانبياء ويحتمل ان يكون
الخطاب في خلقكم لآل قصي من قريش فانهم خلقوا من قصي وكان له زوج من جنسه عربية قرشية
وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار
ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا
فيه غيره او ذوي شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جيء به على تسميتهم اياها آلهة ولا يستطيعون
لهم نصرا اي لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون فيدفعوا عنها ما يعتريها وان تدعوهم اي المشركين
الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم وقرأ نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير للاصنام
اي ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله سواء عليكم

ادعوتموهم

أدعوتموهم أم أنتم صامتون وانما لم يقل أم صمتم للمبالغة في عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوى
بالثبات على الصمات او لانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكأنه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم
على الصمات عن دعائهم ان الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد امثالكم
من حيث انها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين انهم آلهة ويحتمل انهم
لما نحتوها بصور الاناسي قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم
كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون
بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على
انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم ههنا وفي القصص والدخان قل ادعوا
شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروه انتم
وشركاؤكم فلا تنظرون فلا تمهلون فاني لا ابالي بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه ان وليي الله الذي نزل
الكتاب القرآن وهو يتولى الصالحين اي ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه
والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته
بهم وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون الناظرين
اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه خذ العفو اي خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل
ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو عن المذنبين او الفضل وما سهل من
صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة وأمر بالعرف المعروف المستحسن من الافعال واعرض عن الجاهلين
فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها واما
ينزغنك من الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس اي وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب
وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراء لهم على المعاصي وازعاجا بغرز السائق
ما يسوقه فاستعذ بالله انه سميع يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع
باقوال من آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان ان الذين
اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها طافت بهم ودارت
حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب
طيف على انه مصدر او تخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا
ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيتحرزون
عنها ولا يتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم يمدونهم اي واخوان
الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من امد
وبما دونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون
لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يكفون عن الغي

ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر
جاريا على ما هو عليه وإذا لم تأتهم بآية من القرآن او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا
جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرؤه او هلا طلبتها من الله قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي لست
بمختلق للآيات او لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن بصائر للقلوب بها يبصر الحق
ويدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له
وأنصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها فأمروا باستماع قراءة الامام والانصات
له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلاة
واحتج به من لا يرى القراءة على المأموم وهو ضعيف واذكر ربك في نفسك عام في الاذكار من
القراءة والدعاء وغيرهما او امر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي
تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه ادخل
في الخشوع والاخلاص بالغدو والآصال باوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل
اذا دخل في الاصيل مطابقا للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله تعالى إن الذين عند ربك
يعني الملائكة الملأ الاعلى لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون
ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك
شرع السجود لقراءته وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان
يبكي فيقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه
السلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال مدنية وآيها ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسألونك عن الانفال اي الغنائم يعني حكمها وانما سميت نفلا لانها عطية من الله تعالى
وفضل كما سمي به ما يشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه قل الانفال لله والرسول
اي امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم
بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم
لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان
المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت
فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول
الشافعي وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير فقتلت
به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه

فقال

فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي
فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتني السيف
وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وقرئ يسألونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على
اللام وادغام نون عن فيها ويسألونك الانفال اي يسألك الشبان ما شرطت لهم فاتقوا الله
في الاختلاف والمشاجرة وأصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم
الله وتسليم امره الى الله والرسول وأطيعوا الله ورسوله فيه إن كنتم مؤمنين فان الايمان
يقتضي ذلك او ان كنتم كاملي الايمان بهذه الثلثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي واصلاح ذات
البين بالعدل والاحسان إنما المؤمنون اي الكاملو الايمان الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم
فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله
فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت اي خافت وإذا تليت عليهم
آياته زادتهم إيمانا لزيادة المؤمن به او لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل
بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم
يتوكلون يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم
ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب
من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي هي العيار عليها من الصلوة والصدقة وحقا
صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو
منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم في
الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما أخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدأ محذوف
تقديره هذه الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له وهي كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة وصفة
مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك
ربك من بيتك يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وإن فريقا من المؤمنين
لكارهون في موقع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة
عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر
جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ
الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها
محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء
فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس وبلغ
ذلك ابا جهل فقال ما يرضى رجالهم ان يتنبؤوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة
ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى

الله عليه وسلم بوادي ذفران فنزل جبريل بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار
فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انما خرجنا للعير فردد عليهم وقال ان العير
قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال
انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قام مقداد بن عمرو
امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك
انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة
انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن
معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله فقال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق
واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك
بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا
عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله
فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكاني انظر
الى مصارع القوم وقيل انه عليه السلام لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه
لا يصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك
في الحق في ايثار الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه بعد ما تبين انهم ينصرون اينما
توجهوا باعلام الرسول كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي يكرهون القتال كراهة من يساق
الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان
فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كانت لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله احدى
الطائفتين على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم بدل الاشتمال
وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك
يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك
ويريد الله ان يحق الحق اي يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها في هذه الحال او باوامره للملائكة بالامداد
ويقطع دابر الكافرين ويستأصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها
والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل اي فعل ما فعل
وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول
على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ
يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال

اخذوا

اخذوا يقولون اي رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله عنه انه عليه السلام
نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني
اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبي الله كفاك
مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم اني ممدكم باني ممدكم فحذف الجار
وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من
القول بالف من الملائكة مردفين متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته انا اذا
جئت بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع
ويعقوب مردفين بفتح الدال اي متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ
مردفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان
فتحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه
التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم
او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها وما جعله الله اي الامداد الا بشرى
الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وما النصر الا
من عند الله ان الله عزيز حكيم وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوهما وسائط لا تاثير
لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدها اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم
لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرأ
نافع بالتخفيف من اغشيته الشيء اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير
وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله
يغشيكم النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها
الايمان فيكون فعل المغشي وان يجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه
كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكأنه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله

يهاب النوم ان يغشى عيونا ... تهابك فهو نفار شرود

وقرئ امنة كرحمة وهي لغة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب
عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة لانها من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم
نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس
اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم
رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا
وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة وليربط على قلوبكم بالوثوق
على لطف الله بهم ويثبت به الاقدام بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة

إذ يوحي ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت الى الملائكة انى معكم فى اعانتهم وتثبيتهم وهو
مفعول يوحى وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحى مجراه فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم
او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله انى معكم فثبتوا
وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله
سألقى الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كأنه قال قولوا لهم قولى هذا فاضربوا فوق الأعناق
اعاليها التى هى المذابح او الرؤوس واضربوا منهم كل بنان اصابع اى جزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم
ذلك اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب للرسول او لكل احد من المخاطبين قبل بانهم شاقوا الله
ورسوله بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعادين فى شق خلاف شق الآخر كالمعاداة
من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب
تقرير للتعليل او وعيد بما اعد لهم فى الآخرة بعد ما حاق بهم فى الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة
على طريقة الالتفات ومحله الرفع اى الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره
مثل باشروا او عليكم فتكون الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على
المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم فى الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة
على ان الكفر سبب العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستئناف يا ايها الذين آمنوا
اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كأنهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبى
اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمى به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال فلا تولوهم الأدبار بالانهزام
فضلا ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة مخصوصة بقوله حرض المؤمنين على القتال الآية ويجوز
ان ينتصب زحفا حالا من الفاعل والمفعول اى اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا
او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ
دبره الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب او متحيزا الى
فئة او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ان ابن عمر
رضى الله عنهما انه كان فى سرية بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن
الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل
لها او الاستثناء من المولين اى الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا
لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو على الضعف
لقوله الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه فى الحرب فلم تقتلوهم
بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب فى قلوبهم روى انه لما طلعت
قريش من العقنقل قال عليه السلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى
اسألك ما وعدتنى فاتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان

تناول

تناول كفا من الحصباء فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا
وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت
فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت
يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت اى اذ اتيت بصورة الرمى ولكن الله رمى
اتى بما هو غاية الرمى فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان
اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء
ولكن الله رمى بالرعب فى قلوبهم وقيل انه نزل فى طعنة طعن بها ابى بن خلف يوم احد ولم يخرج
منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب كنانة بن ابى الحقيق على
فراشه والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده فى الموضعين
وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات
فعل ما فعل ان الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة
الى البلاء الحسن او القتل او الرمى ومحله الرفع اى المقصود او الامر ذلكم وقوله وان الله موهن كيد
الكافرين معطوف عليه اى المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع
وابو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم
الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم
انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير
لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته ولن تغنى ولن تدفع
عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء او المضار ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين
بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على تقدير ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية
خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل فى القتال والرغبة عما يستأثره
الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن تغنى حينئذ كثرتكم اذا لم
يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين فى ايمانهم ويؤيد ذلك يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله
ولا تولوا عنه اى لا تتولوا عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهى عن الاعراض عنه وذكر
طاعة الله تعالى للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله فى طاعة الرسول لقوله تعالى من يطع الرسول فقد
اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذى دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع
فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا السماع وهم
لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكأنهم لا يسمعون رأسا ان شر الدواب عند الله شر ما يدب
على الارض او شر البهائم الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم من البهائم ثم
جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا

بالآيات لا تسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به وارتدوا
بعد التصديق والقبول وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم احي لنا قصيا فانه
كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصي يا ايها الذين آمنوا استجيبوا
لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول روي
انه عليه السلام مر على ابي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاءه فقال ما منعك عن اجابتي قال
كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع
الصلاة فان الصلاة ايضا اجابة وقيل لان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير وللمصلي ان يقطع الصلاة
لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حيوة القلب والجهل موته
قال :. لا تعجبن الجهول حلته   فذاك ميت وثوبه كفن :.
او مما يورثكم الحيوة الابدية في النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ
لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول
بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد لقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه
مطلع على مكنونات القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها
قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت او غيره او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه
ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفران اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ
المر بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد
فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهركم والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع
والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم
خاصة فيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا
مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة
القول كقوله :. حتى اذا جن الظلام واختلط   جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط :.
واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر
باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجه
الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا
ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ارض مكة
يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم
تخافون ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم
فآواكم الى المدينة او جعل لكم مأوى تتحصنون به عن اعاديكم وايدكم بنصره على الكفار او

بظاهرة

بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون
هذه النعم يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما
تظهرون او بالغلول في المغانم وروي انه عليه السلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صالح
اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحاء من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد
ابن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا
ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني
قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا
حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب
عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من
تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث
ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه
وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون
انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم
سبب الوقوع في الاثم او العقاب او محنة من الله ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة
وان الله عنده اجر عظيم لمن آثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم
اليه يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق
والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات
او نجاة عما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى
سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها ويغفر لكم بالتجاوز
والعفو عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها في اهل بدر
وقد غفرها الله لهم والله ذو الفضل العظيم تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه
واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل واذ يمكر
بك الذين كفروا تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم
واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم
ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات او
يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم
فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد
سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال ابو البختري رأيي ان تحبسوه
في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس

الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيي أن تحملوه على جمل فتخرجوه
من أرضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوماً غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل أنا أرى
أن تأخذوا من كل بطن غلاماً وتعطوه سيفاً فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو
هاشم على حرب قريش كلهم فإذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فأتى
جبريل النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر وأمره بالهجرة فبيت علياً على مضجعه وخرج مع أبي بكر إلى الغار
ويمكرون ويمكر الله برد مكرهم عليهم أو بمجازاتهم عليه أو بمعاملة الماكرين معهم بأن أخرجهم
إلى بدر وقلل المسلمين في أعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير الماكرين إذ لا يؤبه بمكرهم
دون مكره وإسناد أمثال هذا مما يحسن للمزاوجة ولا يجوز إطلاقها ابتداء لما فيه من إيهام الذم وإذا
تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هو قول النضر بن الحرث وإسناده إلى
الجميع إسناد ما فعله رئيس القوم إليهم فإنه كان قاصهم أو قول الذين ائتمروا في أمره عليه السلام وهذا
غاية مكابرتهم وفرط عنادهم إذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم أن يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز
عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة مع أنفتهم وفرط استنكافهم أن يغلبوا خصوصاً في
باب البيان إن هذا إلا أساطير الأولين ما سطره الأولون من القصص وإذ قالوا اللهم إن كان
هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم هذا أيضاً من كلام
ذلك القائل أبلغ في الجحود روي أنه لما قال النضر إن هذا إلا أساطير الأولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك
إنه كلام الله فقال ذلك والمعنى إن كان القرآن حقاً منزلاً فأمطر علينا الحجارة عقوبة على إنكاره أو ائتنا
بعذاب أليم سواه والمراد منه التهكم وإظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلاً وقرئ الحق بالرفع
على أن هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على أن المعلق به كونه حقاً بالوجه الذي يدعيه
النبي صلى الله عليه وسلم وهو تنزيله لا الحق مطلقاً لتجويزهم أن يكون مطابقاً للواقع غير منزل كأساطير الأولين
وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان
الموجب لإمهالهم والتوقف في إجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم عذاب استئصال
والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم إما
استغفار من بقي فيهم من المؤمنين أو قولهم اللهم غفرانك أو فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا
كقوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون وما لهم ألا يعذبهم الله وما لهم
مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وحالهم ذلك
ومن صدهم عنه إلجاء الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين إلى الهجرة وإحصارهم عام الحديبية وما كانوا
أولياءه مستحقين ولاية أمره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء
وندخل من نشاء إن أولياؤه إلا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله
ولكن أكثرهم لا يعلمون أن لا ولاية لهم عليه كأنه نبه بالأكثر أن منهم من يعلم ويعاند

أو أراد به الكل كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت أي دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة أو ما
يضعون موضعها إلا مكاء صفيراً فعال من مكا يمكو إذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية
تصفيقاً تفعلة من الصدا أو من الصد على إبدال أحد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على أنه
الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب أو عدم ولايتهم للمسجد فإنها لا تليق بمن هذه
صلاته روي أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون
وقيل كانوا يفعلون ذلك إذا أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي يخلطون عليه ويرون أنهم يصلون أيضاً فذوقوا
العذاب يعني القتل والأسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل أن تكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب
بما كنتم تكفرون اعتقاداً وعملاً إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله
نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلاً من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر أو في
أبي سفيان استأجر ليوم أحد ألفين من العرب سوى من استجاش من العرب وأنفق عليهم أربعين
أوقية أو في أصحاب العير فإنه لما أصيب قريش ببدر قيل لهم أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه
ثأرنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الأول إخبار عن إنفاقهم
في تلك الحال على أن مساق الأول لبيان غرض الإنفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وأنه لم يقع بعد ثم
تكون عليهم حسرة ندماً وغماً لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة إنفاقها
مبالغة ثم يغلبون آخر الأمر وإن كان الحرب بينهم سجالاً قبل ذلك والذين كفروا أي الذين ثبتوا على
الكفر منهم إذ أسلم بعضهم إلى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من
المؤمن أو الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون أو يغلبون أو ما أنفقه المشركون في عداوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم مما أنفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة
والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو أبلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً
فيجمعه ويضم بعضه إلى بعض حتى يتراكموا لفرط ازدحامهم أو يضم إلى الكافر ما أنفقه ليزيد به
عذابه كمال الكانزين فيجعله في جهنم كله أولئك إشارة إلى الخبيث لأنه مقدر بالفريق الخبيث
أو إلى المنفقين هم الخاسرون الكاملون في الخسران لأنهم خسروا أنفسهم وأموالهم قل للذين كفروا
يعني أبا سفيان وأصحابه والمعنى قل لأجلهم إن ينتهوا عن معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم بالدخول
في الإسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على أنه خاطبهم ويغفر على البناء
للفاعل وهو الله تعالى وإن يعودوا إلى قتاله فقد مضت سنة الأولين الذين تحزبوا على الأنبياء
بالتدمير كما جرى على أهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم
شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل عنهم الأديان الباطلة فإن انتهوا عن الكفر فإن
الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه وإسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء
على معنى فإن الله بما تعملون من الجهاد والدعوة إلى الإسلام والإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان

يجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم
للتسبب وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم
نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم اي الذي اخذتموه
من الكفار قهرا من شيء مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف اي
فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله
احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول ولذي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل فكانه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق
غير ان سهم الرسول صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله
الشيخان رضي الله عنهما وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة رضي الله عنه سقط
سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقين وعن مالك رضي الله عنه
الامر فيه مفوض الى الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الآية فقال يقسم ستة
اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روي عنه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم
يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل مضموم الى سهم الرسول صلى الله عليه وسلم وذو القربى
بنو هاشم وبنو المطلب لما روي انه عليه الصلاة والسلام قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن
مطعم رضي الله عنهما هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارأيت اخواننا
من بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام
وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش الغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص
بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم
والعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة
ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة ان كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف
دل عليه واعلموا اي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس
الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات
هو العمل وما انزلنا على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات والملائكة والنصر وقرئ عُبُدنا بضمتين
اي الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون
والكافرون والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة اذ
انتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادي وقد قرئ
بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى
من المدينة تأنيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو ياء كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة
فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اي العير او قوادها اسفل منكم

في مكان

في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف
قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفو
سهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتياث امرهم واستبعاد
غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها
الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو
تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من
الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله تعالى خارقا للعادة فيزدادوا
ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا
حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من
حي عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من
يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر
كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والاسلام والمراد بمن
هلك ومن حي المشارف للهلاك والحيوة او من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ
ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل وان الله لسميع عليم
بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد
اذ يريكهم الله في منامك قليلا مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم
اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على
عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الامر في امر القتال وتفرقت آراؤكم
بين الثبات والفرار ولكن الله سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور
يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا الضميران
مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن الى
جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقللكم
في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور قللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترئوا
عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفجأهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا
من عظائم آيات تلك الوقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا
الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي
في الشروط ليقضي الله امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثم
الالتقاء على الوجه المحكي وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه والى الله ترجع الامور
يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار

واللقاء مما على في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين
بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي
ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بان
لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الاراء كما
فعلتم ببدر او احد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم
والريح مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل
المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور
واصبروا ان الله مع الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني
اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير بطرا فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة
وذلك انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل
لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب
فوافوها ولكن سقوا كاس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين
وامرهم بان يكونوا اهل تقوى واخلاص من حيث ان النهي عن الشيء امر بضده ويصدون عن سبيل الله
معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تاويل المصدر والله
بما يعملون محيط فيجازيهم عليه واذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر اعمالهم في معاداة الرسول وغيرها
بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى
انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان
اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين
ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان
اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم
سبب هلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرا منهم وخاف
عليهم وايس من حالهم لما راى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم
وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب
لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما راى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام
فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا
فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم
فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اني اخافه ان يصيبني
بمكروه من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت المعهود اذ راى فيه ما لم ير قبله والاول ما قاله
الحسن واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستانفا اذ يقول

المنافقون

المنافقون والذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم
المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء دينهم يعنون المؤمنين حتى تعرضوا لما لا
يدي لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ومن يتوكل على الله جواب لهم فان
الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل
ويعجز عن ادراكه ولو ترى ولو رايت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان اذ يتوفى الذين كفروا
الملائكة ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة
فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدا خبره
يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغني فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال
منه او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين وادبارهم ظهورهم او استاههم ولعل المراد
تعميم الضرب اي يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون على
اضمار القول اي ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الاخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد
كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله ذلك الضرب والعذاب
بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك وان الله ليس بظلام
للعبيد عطف على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم
بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا
عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد كداب ال فرعون
اي داب هؤلاء مثل داب ال فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي دابوا فيه اي داموا عليه والذين من
قبلهم من قبل ال فرعون كفروا بايات الله تفسير لدابهم فاخذهم الله بذنوبهم كما اخذ
هؤلاء ان الله قوي شديد العقاب لا يغلبه في دفعه شيء ذلك اشارة الى ما حل بهم بان الله
بسبب ان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم مبدلا اياها بالنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم
يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوا كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الايات والرسل
بمعاداة الرسول عليه الصلاة والسلام ومن تبعه منهم والسعي في اراقة دمائهم والتكذيب بالايات والاستهزاء
بها الى غير ذلك مما احدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم
بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته تعالى على تغييره متى يغيروا حالهم واصل يك يكون فحذفت الحركة
للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا وان الله سميع لما يقولون
عليم بما يفعلون كداب ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم
بذنوبهم واغرقنا ال فرعون تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بايات
ربهم وبيان ما اخذ به ال فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعم
بسبب تغييرهم ما بانفسهم وكل من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش ::

كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اصروا على
الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم
لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله الذين
عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص
وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح
وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم
ومن لتضمين المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة وهم لا يتقون سبة الغدر
ومغبته او لا يتقون الله فيه او نصره المؤمنين وتسليطه اياهم عليهم فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم
وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم
من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب شذر
ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء لعلهم يذكرون لعل
المشردين يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بامارات تلوح لك فانبذ اليهم
فاطرح اليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه يكون
خيانة منك او على سواء في الخوف او العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اي
ثابتا على طريق سوي ومنه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله ان الله لا يحب الخائنين
تعليل للامر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف ولا يحسبن
خطاب للنبي وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرا ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل
ضمير احد او من خلفهم او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان
سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا تحذف او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون
بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين والاظهر انه تعليل للنهي
اي لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان
كسرت الا انه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الاية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ
العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين واعدوا ايها المؤمنون لهم لناقضي العهد او للكفار ما
استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته صلى الله عليه وسلم يقول على
المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ولعله عليه الصلاة والسلام خصه بالذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم
للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول او مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة
ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة
كعطف جبرئيل وميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد
والضمير لما استطعتم او للاعداد عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة وآخرين من دونهم

من غيرهم

من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم
الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون بتضييع
العمل او نقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام والى للسلم للصلح او الاستسلام
وقرا ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم وتانيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال
السلم تاخذ منها ما رضيت به ... والحرب يكفيك من انفاسها جرع
وقرئ فاجنح بالضم وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه
بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والاية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم
وقيل عامة نسختها اية السيف وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان محسبك الله
وكافيك قال جرير ... اني وجدت من المكارم حسبكم ... ان تلبسوا حر الثياب وتشبعوا
هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة
في ادنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد ياتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من
معجزاته صلى الله عليه وسلم وبيانه لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اي تناهى عداوتهم
الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح ولكن
الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصى
عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريده وقيل الاية في الاوس والخزرج كان بينهم
احن لا امد لها ووقائع هلكت فيها سادتهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا
انصارا يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين اما في محل النصب على المفعول معه كقوله
اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا ... فحسبك والضحاك سيف مهند
او الجر عطفا على المكني عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اي كفاك الله والمؤمنون والاية نزلت
بالبيداء في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر
رضي الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس نزلت في اسلامه يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال بالغ في
حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت وقرئ حرص من الحرص ان يكن منكم
عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا شرط
في معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتاييده وقرا ابن كثير ونافع
وابن عامر تكن بالتاء في الايتين ووافقهم البصريان في وان تكن منكم مائة بانهم قوم لا يفقهون
بسبب انهم جهلة بالله واليوم الاخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا او قتلوا
ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان
يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله
لما اوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل

كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر العدد المتناسبة للدلالة
على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه
لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ بالنصر والمعونة فكيف
لا يغلبون مَا كَانَ لِنَبِيٍّ وقرئ للنبي على العهد أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ وقرأ البصريان بالتاء حَتَّىٰ يُثْخِنَ
فِى ٱلْأَرْضِ يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض
اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا حطامها باخذكم الفداء
وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ يريد لكم ثواب الاخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الاخرة على اضمار المضاف كقوله

اكل امرء تحسبين امرأ ⁂ ونار توقد بالليل نارا

وَٱللَّهُ عَزِيزٌ يغلب اولياءه على اعدائه حَكِيمٌ يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ونهى
عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي
انه عليه السلام اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر
رضي الله عنه قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر رضي
الله عنه اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا
وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهما فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب
رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل
ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله فاذا هو وابو بكر يبكيان
فقال يا رسول الله اخبرني فاني اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء
ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والاية دليل على ان الانبياء يجتهدون وانه قد
يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح المحفوظ
وهو ان لا يعاقب المخطي في اجتهاده او لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي
اخذوها ستحل لهم لَمَسَّكُمْ لنالكم فِيمَآ أَخَذْتُمْ من الفداء عَذَابٌ عَظِيمٌ روي انه عليه الصلاة والسلام
قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان فَكُلُوا۟ مِمَّا
غَنِمْتُمْ من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبيب والسبب محذوف
تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حَلَٰلًا حال من المغنوم
او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين
ولذلك وصفه بقوله طَيِّبًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ في مخالفته إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ غفر لكم ذنبكم رَّحِيمٌ اباح لكم ما اخذتم
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ وقرأ ابو عمرو من الاسارى إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا ايمانا
واخلاصا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ من الفداء روي انها نزلت في العباس رضي الله عنه كلفه رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني
اتكفف قريشا ما بقيت قال فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني لا
ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل
وقثم فقال وما يدريك قال اخبرني به ربي قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك
رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني الله خيرا
من ذلك لي الان عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها
جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
وَإِن يُرِيدُوا۟ يعني الاسرى خِيَانَتَكَ نقض ما عاهدوك فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ بالكفر ونقض ميثاقه
المأخوذ بالعقل مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك
منهم وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله
ولرسوله وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وَأَنفُسِهِمْ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ بمباشرة القتال وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم
على اعدائهم أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة
والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ اي من توليهم في الميراث وقرأ حمزة
ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كانه بتوليه صاحبه يزاول عملا وَإِنِ ٱسْتَنصَرُو
كُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ في الميراث والمؤازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث والمؤازرة
بينهم وبين المسلمين إِلَّا تَفْعَلُوهُ الا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى
في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ تحصل فتنة فيها عظيمة وهي
ضعف الايمان وظهور الكفر وَفَسَادٌ كَبِيرٌ في الدين وقرئ كثير وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام
بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل
المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ لا تبعة له ولا منة فيه
ثم الحق بهم في الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَ
جَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ
أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ في التوارث من الاجانب فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ في حكمه او في اللوح او في القرآن واستدل به
على توريث ذوي الارحام إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ من المواريث والحكمة في اناطتها بنسبة

الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة
فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة
وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته

سورة براءة مدنية

وقيل الا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزلت ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة
والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة
العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال المنافقين
واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم

وآيها مائة وثلاثون آية

وقيل وتسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة او آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت
قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل
لما اختلفت الصحابة في انهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم
يكتب بسم الله براءة من الله ورسوله اي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره
واصلة من الله ورسوله ويجوز ان تكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم
من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله بريا من العهد الذي عاهدتم به
المشركين وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين
اليهم وان كانت صادرة باذن الله واتفاق الرسول فانهما بريا منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا
الا ناسا منهم بني ضمرة وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا
فقال فسيحوا في الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل
هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر
لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه راكبا العضباء ليقرأها على اهل
الموسم وكان قد بعث ابا بكر رضي الله عنه اميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي
عني الا رجل مني فلما دنا علي رضي الله عنه سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر رضي الله عنه وحدثهم عن
مناسكهم وقام علي رضي الله عنه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم
فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين آية او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام
مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل
قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على العموم فانه عليه الصلاة والسلام بعث لان يؤدي عنه

كثيرا

كثيرا لم يكن من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة
الا رجل منها ويدل عليه ان في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم
غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزي الكافرين بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في
الآخرة واذان من الله ورسوله الى الناس اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة
على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه
ولما روي انه عليه السلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة
لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم
من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل
الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله اي بان الله بريء من المشركين اي من عهودهم
ورسوله عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ
بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذه
اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخصه بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر
فهو فالتوب خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم
غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الآخرة
الا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من المشركين او استدراك فكانه قيل لهم بعد ان
امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد
ولم ينكثوه او لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم
عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه
على ان تمام عهدهم من باب التقوى فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من
سلخ الشاة الاشهر الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم
وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها
فاقتلوا المشركين الناكثين حيث وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم واسروهم والاخيذ
الاسير واحصروهم واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد
كل ممر لئلا يتبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا الصلوة
وآتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك
وفيه دليل على ان تارك الصلاة ومانع الزكاة لا يخلى سبيله ان الله غفور رحيم تعليل للامر اي فخلوهم
لان الله غفور رحيم غفر لهم ما قد سلف ووعد لهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين
المامور بالتعرض لهم استجارك استامنك وطلب منك جوارك فاجره فامنه حتى يسمع كلام
الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مأمنه موضع امنه ان لم يسلم واحد مرتفع

يفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل ذلك الامر بانهم قوم لا يعلمون
ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون
للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا
ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام
او للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد
وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله
النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اي ولكن الذين عاهدتم منهم
عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد
فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية
ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد وبقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف
الفعل للعلم به كما في قوله :: وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب
اي فكيف مات وان يظهروا عليكم اي وحالهم انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا
حلفا وقيل قرابة قال حسان :: لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رأل النعام ::
وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم
استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من ال
الشيء اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرئل وجبريل ولا ذمة
عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم استيناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على
العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم
لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان
الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتابى قلوبهم ما تتفوه به افواههم واكثرهم
فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروءة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن
الغدر والتعفف عما يجر الى احدوثة السوء اشتروا بايات الله استبدلوا بالقران ثمنا قليلا عرضا يسيرا
وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء
للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا او ما دل عليه
قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في الناقضين وهذا خاص
بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون
في الشرارة فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين فهم
اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الايات لقوم يعلمون اعتراض للحث على
تامل ما فصل من احكام المعاهدين وخصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وان

نكثوا

نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام
فقاتلوا ائمة الكفر اي فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوي
الرياسة والتقدم في الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم
اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب ائمة
بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن انهم لا ايمان لهم اي لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما
طعنوا او لم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان
يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله وان نكثوا ايمانهم
وقرأ ابن عامر لا ايمان لهم بمعنى لا امان او لا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف
لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله لعلهم ينتهون
متعلق بقاتلوا اي ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين
الا تقاتلون قوما تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفي للانكار فافادت المبالغة في الفعل نكثوا
ايمانهم التي حلفوها مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على
خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا في امره بدار الندوة على ما مر ذكره في قوله واذ يمكر بك
الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة وهم بدؤكم اول مرة
بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه السلام بدأهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته
الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم
مكروه منهم فالله احق ان تخشوه فقاتلوا عدوه ولا تتركوا امره ان كنتم مؤمنين فان قضية
الايمان ان لا يخشى الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه
يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن
من قتلهم واذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا
مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان
الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والاية من المعجزات ويتوب
الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب
على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم
اخرين والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم
خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على
الحسبان ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم
الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق
العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله ولا رسوله

ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبه على ان
تبين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما
يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد
الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي
عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال
من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روي انه لما اسر
العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي رضي الله عنه في القول فقال تذكرون مساوينا
وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت
اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي النار هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد
الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة اي انما يستقيم عمارتها هؤلاء
الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر
ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله ان بيوتي
في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان
يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم لما علم ان الايمان بالله قرينته وتمامه الايمان
به ولدلالة قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة عليه ولم يخش الا الله اي في ابواب الدين فان الخشية عن
المحاذير جبلية لا يكاد العاقل يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة التوقع
قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء
مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا
باحوالهم ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم
الآخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدر سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار
تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن آمن او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن ويؤيد الاول قراءة
من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم
المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظا
لمين اي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول منهمكين في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله
ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين آمنوا وهاجروا
وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم
يستجمع هذه الصفات او من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون بالثواب ونيل
الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها في الجنات نعيم
مقيم دائم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف

خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتأبيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم يستحقر
دونه ما استوجبوه لاجله ونعيم الدنيا يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء
نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت
تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم
اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان ان اختاروه
وحرصوا عليه ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير محلها قل ان كان
آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم مأخوذ من العشرة
وقيل من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ ابو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم
واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها
احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت
التكليف التحفظ عنه فتربصوا حتى يأتي الله بامره جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او آجلة وقيل
فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يرشدهم وفي الآية تشديد عظيم وقل من يتخلص منه لقد
نصركم الله في مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقفها ويوم حنين وموطن يوم حنين
ويجوز ان يقدر في ايام مواطن او يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم
كثرتكم منه ان يعطف على موضع في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى
يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطائف حارب فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشرة الذين حضروا فتح مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء
هوازن وثقيفا وكانوا اربعة آلاف فلما التقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم او ابو بكر او غيره من المسلمين لن
نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم
فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجامه
وابن عمه ابو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا
صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون
لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه الصلاة والسلام هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا
من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم اي الكثرة شيئا من الاغناء
او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت برحبها اي بسعتها لا تجدون فيها مفرا تطمئن
اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين
منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها
وآمنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل
هم الذين ثبتوا مع الرسول ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة آلاف

او ثمانية او ستة عشر على اختلاف الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء
الكافرين اي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق
للاسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي ان ناسا منهم جاؤوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا
وقد سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال عليه الصلاة والسلام
اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ان هؤلاء جاؤوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده
سبي وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا
رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا ايها
الذين امنوا انما المشركون نجس لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس
او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته
نجس وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو كتخفيف كبد
في كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع
عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة وقاس مالك سائر
المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة براءة
وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان
لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او تفضله بوجه
اخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم
ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية
او حال ان شاء قيده بالمشيئة لتنقطع الامال الى الله ولينبه على انه متفضل في ذلك وان الغنى الموعود
يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام ان الله عليم باحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا
الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر اي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في اول البقرة فان ايمانهم
كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي
يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت
الذي هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا
الجزية عن ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير اي عن يد
مواتية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع
من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين
اذلاء او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة

وهم صاغرون اذلاء وعن ابن عباس تؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه ومفهوم الاية يقتضي
تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضي الله عنه لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد
عنده عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه انه عليه السلام اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة
اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا يؤخذ منهم الجزية
عندنا وعند ابي حنيفة تؤخذ منهم الا من مشركي العرب لما روى الزهري انه عليه السلام صالح عبدة
الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سواء
فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب
ربعها ولا شيء على الفقير غير الكسوب وقالت اليهود عزير ابن الله انما قاله بعضهم من متقدميهم
او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التوراة وهو
لما احياه الله بعد مائة عام املى عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله
والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الاية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب
وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه
في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحرف اللين او لان الابن
وصف والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر
وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب
او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم
اما تأكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق
مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان يضاهئون قول الذين كفروا
اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه من قبل اي من قبلهم
والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله او اليهود
على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمزة لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة
ضهيأ على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم بالاهلاك فان
من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل
ما حرم او بالسجود لهم والمسيح ابن مريم بان جعلوه ابنا لله وما امروا اي وما امر المتخذون
او المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا ليطيعوا الها واحدا وهو الله
واما طاعة الرسول وسائر من امر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله لا اله الا هو صفة
ثانية او استئناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن ان يكون له شريك
يريدون ان يطفئوا نور الله حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القرآن

او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بافواههم بشركهم او تكذيبهم ويابى الله لا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الافاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي ولو كره الكافرون محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كالبيان لقوله ويابى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون غير انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في ليظهره لدين الحق او للرسول واللام في الدين للجنس اي على سائر الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ياخذونها بالرشا في الاحكام سمي اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه ويصدون عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن به وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر لرسول الله فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله عليه الصلاة والسلام ما ادى زكاته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله عليه الصلاة والسلام من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله عليه الصلاة والسلام فيما اورده الشيخان مرويا عن ابي هريرة رضي الله عنه ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره فبشرهم بعذاب اليم هو الكي بهما يوم يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار ذات حمي شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذف النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله عنه اربعة الاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله تعالى ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز او الاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخيره وجنباه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها

فذوقوا

فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون ان عدة الشهور اي مبلغ عددها عند الله معمول عدة لانها مصدر اثنا عشر شهرا في كتاب الله في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثنا عشر وقوله يوم خلق السموات والارض متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا الامر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله الاجرام والازمنة منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك الدين القيم اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم والاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روي انه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهو مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء اي تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا اخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش انما النسي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنسء والنساء وثلاثتها مصادر نساه اذا اخره زيادة في الكفر لانه تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمه فهو كفر اخر ضموه الى كفرهم يضل به الذين كفروا اضلالا زائدا وقرا حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله يحلونه عاما يحلون النسيء من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا اخر ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادي في القابل ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال ليواطئوا عدة ما حرم الله ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطاتم وقرئ تثاقلتم على الاصل واثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ الى الارض متعلق به كانه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدي بالى وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقحط مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الاخرة بدل الاخرة ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا فما التمتع بها في الاخرة في جنب الاخرة الا قليل مستحقر الا تنفروا

إن لا تنفروا إلى ما استنفرتم إليه يعذبكم عذابا أليما بالإهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين مطيعين كأهل اليمن وأبناء فارس ولا تضروه شيئا إذ لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه شيئا فإنه الغني عن كل شيء وفي كل أمر وقيل الضمير للرسول أي ولا تضروه فإن الله سبحانه وتعالى وعد له بالعصمة والنصرة ووعده حق والله على كل شيء قدير فيقدر على التبديل وتغيير الأسباب والنصرة بلا مدد كما قال إلا تنصروه فقد نصره الله أي إن لم تنصروه فسينصره الله كما نصره إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه إلا رجل واحد فحذف الجزاء وأقيم ما هو كالدليل عليه مقامه أو إن لم تنصروه فقد أوجب الله له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره وإسناد الإخراج إلى الكفرة لأن همهم بإخراجه أو قتله تسبب لإذن الله له في الخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الإعراب ونصبه على الحال إذ هما في الغار بدل من إذ أخرجه بدل البعض إذ المراد به زمان متسع والغار نقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى الكعبة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا إذ يقول بدل ثان أو ظرف لثاني لصاحبه وهو أبو بكر رضي الله عنه لا تحزن إن الله معنا بالعصمة والمعونة روي أن المشركين طلعوا فوق الغار فأشفق أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما فأعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه فأنزل الله سكينته أمنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي صلى الله عليه وسلم أو على صاحبه وهو الأظهر لأنه كان منزعجا وأيده بجنود لم تروها يعني الملائكة أنزلهم ليحرسوه في الغار أو ليعينوه على العدو يوم بدر والأحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك أو دعوة الكفر وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد أو دعوة الإسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله عليه وسلم عن أيدي الكفار إلى المدينة فإنه المبدأ له أو بتأييده إياه بالملائكة في هذه المواطن أو بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب وكلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع أبلغ لما فيه من الإشعار بأن كلمة الله عالية في نفسها وإن فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم في أمره وتدبيره انفروا خفافا وثقالا لنشاطكم له ولثقله عليكم أو لقلة عيالكم ولكثرتها أو ركبانا ومشاة أو خفافا وثقالا من السلاح أو صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن أم مكتوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلي أن أنفر قال نعم حتى نزل ليس على الأعمى حرج وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله بما أمكن لكم منهما كليهما أو أحدهما ذلكم خير لكم من تركه إن كنتم تعلمون الخير علمتم أنه خير أو إن كنتم تعلمون أنه خير إذ أخبر الله به صدق فبادروا إليه لو كان عرضا أي لو كان ما دعوا إليه نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة أي المسافة التي تقطع بمشقة

وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون بالله أي المتخلفون إذا رجعت من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة أو البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لأنه إخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون أنفسهم بإيقاعها في العذاب وهو بدل من سيحلفون لأن الحلف الكاذب إيقاع للنفس في الهلاك أو حال من فاعله والله يعلم إنهم لكاذبون في ذلك لأنهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه في الإذن فإن العفو من روادفه لم أذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لأي شيء أذنت لهم في القعود حين استأذنوك واعتلوا بأكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه قيل إنما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما أخذ الفداء وإذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم أي ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا فإن الخلص منهم يبادرون إليها ولا يوقفونها على الإذن فيه فضلا أن يستأذنوك في التخلف عنه أو أن يستأذنوك في التخلف كراهة أن يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه إنما يستأذنك في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الإيمان بالله واليوم الآخر في الموضعين للإشعار بأن الباعث على الجهاد والوازع عنه الإيمان وعدم الإيمان بهما وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون يتحيرون ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة أهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الإضافة كقوله وإقام الصلاة وعده بكسر العين بالإضافة وعدة بغيرها ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله ولو أرادوا الخروج كأنه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لأنه تعالى كره انبعاثهم أي نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لإلقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم أو وسوسة الشيطان بالأمر بالقعود أو حكاية قول بعضهم لبعض أو إذن الرسول لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم إلا خبالا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك أن يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لأن الزيادة باعتبار العام الذي وقع منه الاستثناء ولأجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لأنه لا يكون مفرغا ولأوضعوا خلالكم ولأسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب أو الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا إذا أسرع يبغونكم الفتنة يريدون أن يفتنوكم بإيقاع الخلاف فيما بينكم والرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في أوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم أو نمامون يسمعون حديثكم للنقل إليهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتأتى منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت أمرك وتفريق أصحابك من قبل يعني يوم أحد فإن ابن أبي وأصحابه

كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول الى ذي حدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم
احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الاراء في ابطال امرك حتى جاء الحق النصر
والتاييد الالهي وظهر امر الله وعلا دينه وهم كارهون اي على رغم منهم والايتان لتسلية الرسول
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف
اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول صلى الله عليه وسلم بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه
ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة اي في العصيان والمخالفة بان لا تاذن لي وفيه
اشعار بانه لا محالة متخلف اذن له او لم ياذن او في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او
في الفتنة بنساء الروم لما روي ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر
ولكن اعينك بمالي فاتركني الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وظهور
النفاق لا ما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيمة او الان لان احاطة
اسبابها بهم كوجودها ان تصبك في بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم
وان تصبك في بعضها مصيبة كسر او شدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تبجحوا
بانصرافهم واستحمدوا رايهم في التخلف ويتولوا عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له او عن الرسول وهم
فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة
او ما كتب لاجلنا في اللوح لا يتغير بموافقتكم ولا مخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل
لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشيء فيما قصد به
وقيل من الصوب هو مولانا ناصرنا ومتولي امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا يتوكلوا
على غيره قل هل تربصون بنا تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما
حسنى العواقب النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم احدى السوأيين ان يصيبكم الله
بعذاب من عنده بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما
هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم
امر في معنى الخبر اي لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة في تساوي الانفاقين في
عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس واعينك
بمالي ونفي التقبل يحتمل امرين ان لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين
تعليل له على سبيل الاستئناف وما بعده بيان وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم
كفروا بالله وبرسوله اي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرا حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان تانيث
النفقات غير حقيقي وقرئ نقبل على ان الفعل لله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون
الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا
اولادهم فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا

بسبب

بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصايب وتزهق انفسهم
وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل
الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم
ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية
لو يجدون ملجا حصنا يلجؤون اليه او مغارات غيرانا او مدخلا نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول
وقرا يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا اي مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا ومندخلا من
تدخل واندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح
وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وقرا يعقوب يلمزك بالضم وابن كثير يلامزك
في الصدقات في قسمها فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قيل انها نزلت
في ابي الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن
ذي الخويصرة راس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير
الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله قال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا للمفاجاة نائب مناب الفاء
الجزائية ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول من الصدقة او الغنيمة وذكر الله للتعظيم
والتنبيه على ان ما فعله الرسول كان بامره وقالوا حسبنا الله من فضله ورسوله صدقة او غنيمة اخرى
فيؤتينا اكثر مما اتانا انا الى الله راغبون في ان يغنينا من فضله والاية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف
تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول فقال انما الصدقات
للفقراء والمساكين اي الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم في قسم
الزكوات دون الغنائم والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كانه اصيب فقاره والمسكين
من له مال او كسب لا يكفيه من السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين
وانه عليه الصلوة والسلام سال المسكنة وتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة والعاملين
عليها الساعين في تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستالف قلوبهم او
اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله عيينة بن حصن والاقرع بن حابس
والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف يستالفون على ان يسلموا فانه عليه الصلوة والسلام كان يعطيهم والاصح
انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار
ومانعي الزكوة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله تعالى وكثر اهله سقط وفي الرقاب
وللصرف في فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشيء منها على اداء النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب فتعتق وبه قال
مالك واحمد او بان يفدى الاسارى والعدول عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان
بانهم احق بها والغارمين والمديونين لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح ذات البين وان
كانوا اغنياء لقوله عليه الصلوة والسلام لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لغارم او لرجل اشتراها

بماله او لرجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغني والعامل عليها وفي سبيل الله
وللصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل في بناء القناطر والمصانع
وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الاية اي فرض الله لهم الصدقات
فريضة او حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك الفريضة والله عليم حكيم يضع
الاشياء في مواضعها وظاهر الاية يقتضي تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف
الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية الاشتراك واليه ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة
وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلاثة واختاره
بعض اصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمهما الله على ان الاية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا
ايجاب قسمها عليهم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه
سمي بالجارحة للمبالغة كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك او اشتق
له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل روي انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا
ثم ناتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذي
ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده
من الادلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق
فانه بمعنى التسليم وايمان الامان ورحمة اي وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن اظهر الايمان
حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم
وقرا حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن خير اي ياذن
لكم رحمة وقرا نافع اذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان خير صفة له او خبر ثان والذين
يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم بايذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا او
تخلفوا ليرضوكم اي ليرضوا المؤمنين والخطاب للمؤمنين والله ورسوله احق ان يرضوه احق
بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين او لان الكلام في ايذاء الرسول وارضائه
او لان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا انه
اي الشان وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله يشاقق مفاعلة من الحد فان له نار جهنم خالدا
فيها على حذف الخبر اي فحق ان له او على تكرير ان للتاكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب
محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر ذلك الخزي العظيم يعني الهلاك
الدائم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المؤمنين سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم
استارهم ويجوز ان يكون الضمائر للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء ومحتج
به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت في امر الرسول بشيء
وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزئوا ان الله

مخرج

مخرج مبرز او مظهر ما تحذرون اي ما تحذرونه من انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره من
مساويكم ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي ان ركب المنافقين مروا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات
هيهات فاخبر الله به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من امرك وامر
اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل ابالله واياته و
رسوله كنتم تستهزئون توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم
ولا تعبا باعتذارهم الكاذب قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول والطعن فيه بعد ايمانكم
بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والا
ستهزاء نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء
وقرا عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتاء والبناء للمفعول ذهابا
الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اي متشابهة في النفاق
والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد وقيل انه تكذيب لهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله
وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يامرون
بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبار
وقبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه
وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين
والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه
دليل على عظم عذابها ولعنهم الله ابعدهم من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع
والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين او
فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا بيان
لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه
من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من
قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم
بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيد لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء
اثرهم وخضتم ودخلتم في الباطل كالذي خاضوا كالذين خاضوا او كالفوج الذي خاضوا او كالخوض
الذي خاضوه اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين واولئك
هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والاخرة الم ياتهم نبا الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا
بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم اهلك نمرود ببعوض
واهلك اصحابه واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة

لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب صح

والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من
سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم
يعني الكل بالبينات فما كان الله ليظلمهم اي لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله في سائر الامور
اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز غالب على كل شيء لا يمتنع
عليه ما يريده حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفي الحديث انها
قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن اقامة وخلود وعنه عليه الصلاة والسلام عدن
دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء
يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على
سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه وكأنه وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن التي يعرفونها لتميل
اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات
التي لا تخلو عن شيء منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات
في جوار عليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان من الله اكبر
لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عليه الصلاة والسلام ان الله يقول
لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم
افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اي الرضوان
او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذي تستحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبي جاهد الكفار
بالسيف والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم ومأواهم جهنم وبئس
المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روي انه عليه الصلاة والسلام اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل
عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن اشر من
الحمير فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت
توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم
ينالوا من فتك الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته
الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها
فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله
فهربوا او اخراجه واخراج المؤمنين من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم وما نقموا وما انكروا وما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله
من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الفا فاستغنى
والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم وهو الذي حمل الجلاس على
التوبة والضمير في يك للتوب وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا
والآخرة بالقتل والنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد
الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي
صلى الله عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه الصلاة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من
كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ
غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات
فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال
ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه الصلاة
والسلام ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته
فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان رضي الله عنه فلما آتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق الله منه وتولوا
عن طاعة الله وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فجعل
الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم
البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون عملهم اي جزاءه وهو
يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والاصلاح وبما كانوا
يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال
مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات
ان الله يعلم سرهم ما اسروه في انفسهم من النفاق او العزم على الخلاف ونجواهم وما يتناجون به
فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكوة جزية وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون
ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين من
المؤمنين في الصدقات روي انه عليه الصلاة والسلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف
درهم وقال كان لي ثمانية آلاف درهم فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت احدى امرأتيه على
نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري

بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون فقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان
الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين
لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه فيسخرون
منهم يستهزئون بهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله تعالى الله يستهزئ بهم ولهم
عذاب اليم على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوي بين الامرين في عدم الافادة
لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي ان عبد الله بن عبد
الله بن ابي وكان من المخلصين سال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت
فقال عليه الصلاة والسلام لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر
الله لهم وذلك لانه عليه الصلاة والسلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك
حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين
والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانه العدد باسره ذلك بانهم
كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان الياس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا
قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين
في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق
والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول في استغفاره وهو
عدم ياسه من ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم
لقوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين
لهم انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو خلفه
يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة او الحال
وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله
وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في
الحر اي قاله بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا قل نار جهنم اشد حرا وقد اثرتموها بهذه
المخالفة لو كانوا يفقهون ان مآبهم اليها او انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة
فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤول اليه حالهم في
الدنيا والاخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين
عن السرور والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك الله الى طائفة منهم فان ردك الله الى المدينة
وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون
اثني عشر رجلا فاستاذنوك للخروج الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن

تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول مرة تعليل له وكان
اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع
الخالفين اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين ولا
تصل على احد منهم مات ابدا روي ان عبد الله بن ابي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما
دخل عليه ساله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن
فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلوة عليه
لان الضن بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد
من الصلوة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات
ابدا يعني الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحي ولا تقم على قبره
ولا تقف عند قبره للدفن او الزيارة انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل
للنهي او لتابيد الموت ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق
انفسهم وهم كافرون تكرير للتاكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس
مغتبطة عليها ويجوز ان تكون هذه في فريق غير الاول واذا انزلت سورة من القران ويجوز ان يراد بعضها
ان آمنوا بالله بان آمنوا بالله ويجوز ان تكون ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا
الطول منهم ذوو الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا بان يكونوا
مع الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون
ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا
معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم واولئك
لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الاخرة وقيل الحور لقوله تعالى
فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب
اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم
من الخيرات الاخروية وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسدا وغطفان استاذنوا
في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت
طي على اهالينا ومواشينا والمعذر اما من عذر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من
اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين
وضمها للاتباع لكن لم يقرا بهما وقرا يعقوب المعذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذرون بتشديد
العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في انهم كانوا معتذرين
بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم وهم منافقو الاعراب
كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم

من الاعراب او من المعذرين فانه منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والنار ليس على
الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة
ومزينة وبني عذرة حرج اثم في التأخر اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان والطاعة في السر والعلانية
كما يفعل الموالي الناصح او بما قدروا عليه فعلا وقولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على
المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير
للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم لهم او للمسيء
فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤون
سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة
بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد نذرنا الخروج فاحملنا
على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل
وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك
باضمار قد تولوا جواب اذا واعينهم تفيض تسيل من الدمع اي دمعا فان من للبيان وهي مع المجرور في
محل النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فائضا حزنا نصب
على العلة او الحال او المصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا اي لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما
ينفقون في مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستأذنونك وهم اغنياء واجدون الاهبة
رضوا بان يكونوا مع الخوالف استئناف لبيان ما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم با
لدناءة والانتظام في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة
فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا
بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم لن نصدقكم لانه قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا بالوحي
الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون عن
الكفر ام تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي اليه
فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم
واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم
اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم التأنيب
فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة للاعراض وترك
المعاتبة ومأواهم جهنم من تمام التعليل وكانه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في
الدنيا والاخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون
يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم
تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم لا يستلزم

رضى

رضى الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه وان امكنهم ان يلبسوا عليكم
لا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الاية النهي عن الرضى عنهم
والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا
من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة واجدر
الا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرائع فرائضها وسننها والله
عليم يعلم حال كل واحد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا
ومن الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه في سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا
يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء او تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان
ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما
يتربصون او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة في الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور
وسمي به عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرأ ابن كثير وابو
عمرو السوء هنا وفي الفتح بضم السين والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن
الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهي ثاني
مفعولي يتخذ وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه عليه الصلاة والسلام
كان يدعو للمتصدقين ويستغفر ولذلك سن للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي
عليه كما قال عليه الصلاة والسلام اللهم صل على آل ابي اوفى لان منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها
قربة لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه
وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرأ ورش قربة بضم الراء سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم
باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره وقيل الاولى في اسد وغطفان
وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين
صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى
وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب
بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين
من القبيلتين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء
اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرأ ابن
كثير من تحتها كما في سائر المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم ممن حول
بلدتكم يعني المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين
حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق ونظيره في حذف
الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله: انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها

ويهنه بالمعطوف على خبره وكلام مبتدأ لبيان تمردهم وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم بأعيانهم
وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم إلى حد أخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق
فراستك نحن نعلمهم ونطلع على أسرارهم إن قدروا أن يلبسوا عليك لم يقدروا أن يلبسوا علينا سنعذبهم
مرتين بالفضيحة والقتل أو بأحدهما وعذاب القبر أو بأخذ الزكاة ونهك الأبدان ثم يردون إلى
عذاب عظيم عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا عن تخلفهم بالمعاذير الكاذبة
وهم طائفة من المتخلفين أوثقوا أنفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له أنهم
أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى يحلهم فقال وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر فيهم فنزلت فأطلقهم
خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذي هو إظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر
سيء هو التخلف وموافقة أهل النفاق والواو إما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاة شاة ودرهما أو للدلالة
على أن كل واحد منهما مخلوط بالآخر عسى الله أن يتوب عليهم أن يقبل توبتهم وهي مدلول عليها
بقوله اعترفوا بذنوبهم إن الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه خذ من أموالهم
صدقة روي أنهم لما أطلقوا قالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال
ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب أو حب المال المؤدي بهم إلى مثله
وقرئ تطهرهم من أطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للأمر وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم
وترفعهم إلى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم إن صلواتك
سكن لهم تسكن إليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص
بالتوحيد والله سميع باعترافهم عليم بندامتهم ألم يعلموا الضمير إما للمتوب عليهم والمراد أن يمكن في
قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم أو لغيرهم والمراد به التحضيض عليها أن الله هو يقبل
التوبة عن عباده إذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول
من يأخذ شيئا ليؤدي بدله وأن الله هو التواب الرحيم وأن من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل
عليهم وقل اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم فإنه لا يخفى عليه خيرا كان أو شرا ورسوله والمؤمنون
فإنه تعالى لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم وستردون إلى عالم الغيب والشهادة بالموت
فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وآخرون من المتخلفين مرجون مؤخرون أي موقوف
أمرهم من أرجيته إذا أخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لأمر الله
في شأنهم إما يعذبهم إن أصروا على النفاق وإما يتوب عليهم إن تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على
أن كلا الأمرين بإرادة الله تعالى والله عليم بأحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم
والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن
لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك أخلصوا نياتهم وفوضوا أمرهم إلى الله فرحمهم الله تعالى

والذين اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون مرجون أو مبتدأ خبره محذوف أي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا
أو منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روي أن بني عمرو بن عوف
لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدهم إخوانهم بنو غنم
بن عوف فبنوا مسجدا على قصد أن يؤمهم فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام فلما أتموه أتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إنا بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل
فيه حتى نتخذه مصلى فأخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر
ابن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعل واتخذ
مكانه كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين يريد الذين كانوا يجتمعون
للصلاة في مسجد قباء وإرصادا ترقبا لمن حارب الله ورسوله يعني الراهب فإنه قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين فلما انهزم مع هوازن هرب
إلى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان
يجمع الجيوش يوم الأحزاب فلما انهزموا خرج إلى الشام من قبل متعلق بحارب أو باتخذوا أي اتخذوا
مسجدا من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف لما روي أنه بني قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يأتيه فقال أنا على جناح سفر وإذا قدمنا إن شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن
إن أردنا إلا الحسنى ما أردنا ببنائه إلا الخصلة الحسنى أو الإرادة الحسنى وهي الصلاة والذكر والتوسعة
على المصلين والله يشهد إنهم لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه أبدا للصلاة لمسجد أسس
على التقوى يعني مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء من الاثنين إلى
الجمعة لأنه أوفق للقصة أو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أبي سعيد سألت رسول الله عنه فقال
هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من أول يوم من أيام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله

لمن الديار بقنة الحجر ... أقوين من حجج ومن دهر

أحق أن تقوم فيه أولى بأن تصلي فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة
طلبا لمرضاة الله سبحانه وتعالى وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين يرضى عنهم
ويدنيهم من جنابه إدناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون
حتى وقف على باب مسجد قباء فإذا الأنصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكتوا فأعادها فقال عمر
إنهم مؤمنون وأنا معهم فقال عليه الصلاة والسلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء
قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال
يا معشر الأنصار إن الله قد أثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله
نتبع الغائط الأحجار الثلاثة ثم نتبع الأحجار الماء فتلا رجال يحبون أن يتطهروا أفمن أسس بنيانه
بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة هي أضعف القواعد وأرخاها

فانهار به في نار جهنم فادى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما
جرفه الوادي الهائر في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس
ثم رشحه بانهياره به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظه
عن النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة ادناها وتاسيس هذا على ما هم بسببه على
صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرا نافع وابن عامر اسس
على البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه واس بنيانه على الاضافة واسس واساس واساس
بالكسر وثلاثتها جمع اس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لا للتانيث كتترى وقرا ابن عامر
وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين الى ما فيه صلاح ونجاة لا يزال بنيانهم
الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد تدخله التاء
ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم اي شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا يزال
سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم رسخ
ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا
يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطع
ما هو كائن بالقتل او في القبر او في النار وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرا يعقوب الى بحرف
الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء وتقطع
بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول
والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنيانهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله
يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استيناف ببيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون
في معنى الامر وقرا حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا توجب الترتيب
وان فعل البعض قد يسند الى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه في معنى
الوعد في التورية والانجيل والقران مذكورا فيهما كما اثبت في القران ومن اوفى بعهده من
الله مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا
به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال وذلك هو الفوز العظيم التائبون
رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدا خبره
محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا كقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى
او خبره ما بعده اي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا
على المدح او جرا صفة للمؤمنين العابدون الذين عبدوا الله مخلصين له الدين الحامدون
لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه الصلاة والسلام سياحة

امتي الصوم شبه بها لانه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على
خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الآمرون با
لمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما
عطف عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود الله اي فيما
بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بان
التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه
ولذلك سمي واو الثمانية وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع
ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به
للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا ان
يستغفروا للمشركين روي انه عليه الصلاة والسلام قال لابي طالب لما حضرته الوفاة قل كلمة احاج لك بها
عند الله فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه
ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن
لي وانزل علي الآيتين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر
وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم
لابيه الكافر فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وعدها
ابراهيم اباه بقوله لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ويدل
عليه قراءة من قرا اباه او وعدها ابراهيم ابوه وهي الوعد بالايمان فلما تبين له انه عدو لله بان مات
على الكفر او اوحي اليه بانه لن يؤمن تبرا منه قطع استغفاره ان ابراهيم لاواه لكثير التاوه وهو كناية
عن افراط ترحمه ورقة قلبه حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته
عليه وما كان الله ليضل قوما اي ليسميهم ضلالا ويواخذهم مواخذتهم بعد اذ هداهم للاسلام
حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم حظر ما يجب اتقاؤه وكانه بيان عذر الرسول عليه الصلاة والسلام
في قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا على الامر الاول في القبلة والخمر
ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله بكل شيء عليم فيعلم امرهم في الحالين
ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبرؤ عنهم راسا بين لهم
ان الله مالك كل موجود ومتولي امره والغالب عليه ولا يتاتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا اليه
ويتبرؤوا مما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار من اذن المنافقين في التخلف او براهم عن علقة الذنب كقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تاخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي صلى الله عليه وسلم

والمهاجرون والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو
فيه والترقي اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده الذين
اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على
بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد تزيغ
قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام وفي كاد ضمير الشان
او ضمير القوم والعائد اليه الضمير في منهم وقرا حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تانيث القلوب غير حقيقي
وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه
تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤوف رحيم
وعلى الثلاثة وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن
الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها لاعراض
الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم
بحيث لا يسعها انس ولا سرور وظنوا وعلموا ان لا ملجا من الله من سخطه الا اليه الا الى استغفاره
ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليعدوا في التوابين او رجع عليهم بالقبول
والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة
الرحيم المتفضل عليه بالنعم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين
في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اي في توبتهم وانابتهم فيكون
المراد به هؤلاء الثلاثة واضرابهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن
رسول الله نهي عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ولا يصونوا انفسهم
عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روي ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت
له امراة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل
ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته
واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه
السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له وفي لا يرغبوا
يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف او وجوب المشايعة
بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظما شيء من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في
سبيل الله ولا يطؤون ولا يدوسون موطئا مكانا يغيظ الكفار يغضبهم وطؤه ولا ينالون
من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا به الثواب
وذلك مما يوجب المشايعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه
على ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون

واما في حق المؤمنين فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة
ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل
منعرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم اثبت لهم
ذلك ليجزيهم الله به احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم
وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم
كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة
فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة
فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم
غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه
والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على
الناس والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان
اخبار الاحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر
فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم تتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه
تقريرا واعتراضا في كتاب المرصاد وقد قيل للاية معنى آخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق
المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون
حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون
الضمير في ليتفقهوا ولينذروا لبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف اي
ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين
آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة
والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم
غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين
بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول انكارا واستهزاء
ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين
آمنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها
الى ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين
في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها
وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون يعني المنافقين وقرئ
بالتاء انهم يفتنون يبتلون بانواع البليات او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون
ما يظهر عليه من الايات في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا

يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض
تغامزوا بالعيون إنكارا لها وسخرية أو غيظا لما فيها من عيوبهم هل يراكم من أحد أي يقولون هل يراكم
أحد إن قمتم من حضرة الرسول فإن لم يرهم أحد قاموا وإن يرهم أحد أقاموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة
الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الإيمان وهو يحتمل الإخبار والدعاء بأنهم بسبب أنهم قوم
لا يفقهون لسوء فهمهم أو لعدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من أنفسكم من جنسكم
عربي مثلكم وقرئ من أنفسكم أي من أشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاءكم المكروه
حريص عليكم أي على إيمانكم وصلاح شأنكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم قدم
الأبلغ منهما وهو الرؤوف لأن الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل فإن تولوا عن الإيمان بك فقل
حسبي الله فإنه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا إله إلا هو كالدليل عليه عليه توكلت
فلا أرجو ولا أخاف إلا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم أو الجسم الأعظم المحيط الذي
تنزل منه الأحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن أبي بن كعب رضي الله عنه أن آخر ما نزل هاتان
الآيتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن علي إلا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل
هو الله أحد فإنهما أنزلتا علي ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وآيها مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر فخمها ابن كثير ونافع برواية قالون وحفص وقرأ ورش بين اللفظين وأمالها الباقون إجراء لألف الراء
مجرى المنقلبة من الياء تلك آيات الكتاب الحكيم إشارة إلى ما تضمنته السورة أو القرآن من الآي
والمراد من الكتاب أحدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم أو لأنه كلام حكيم أو محكم آياته لم ينسخ شيء
منها أكان للناس عجبا استفهام إنكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه أن أوحينا وقرئ بالرفع على
أن الأمر بالعكس أو على أن كان تامة وأن أوحينا بدل من عجب واللام للدلالة على أنهم جعلوه أعجوبة لهم
يوجهون نحوه إنكارهم واستهزاءهم إلى رجل منهم من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم
قيل كانوا يقولون العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب وهو من فرط حماقتهم
وقصور نظرهم على الأمور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن
يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه إلا في المال وخفة الحال أعون شيء في هذا الباب ولذلك كان أكثر الأنبياء
قبله كذلك وقيل تعجبوا من أنه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الأنعام أن أنذر الناس أن
هي المفسرة أو المخففة من الثقيلة فتكون في موقع مفعول أوحينا وبشر الذين آمنوا عمم الإنذار إذ قل
ما من أحد ليس فيه ما ينبغي أن ينذر منه وخصص البشارة إذ ليس للكفار ما يصح أن يبشروا به
أن لهم بأن لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لأن السبق بها

كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى باليد وإضافتها إلى الصدق لتحققها والتنبيه على أنهم إنما ينالونها
بصدق القول والنية قال الكافرون إن هذا يعنون الكتاب وما جاء به الرسول لسحر مبين
وقرأ الكوفيون وابن كثير لساحر على أن الإشارة إلى الرسول وفيه اعتراف بأنهم صادفوا من الرسول صلى الله
عليه وسلم أمورا خارقة للعادة معجزة إياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا إلا سحر مبين إن ربكم
الله الذي خلق السماوات والأرض التي هي أصول الممكنات في ستة أيام ثم استوى على العرش
يدبر الأمر يقدر أمر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريكه أسبابها وتنزيلها
منه والتدبير النظر في أدبار الأمور لتجيء محمودة العاقبة ما من شفيع إلا من بعد إذنه تقرير لعظمته
وعز جلاله ورد على من زعم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه إثبات الشفاعة لمن أذن له ذلكم
الله أي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للألوهية والربوبية ربكم لا غيره إذ لا يشاركه أحد في شيء من
ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة أفلا تذكرون تتفكرون أدنى تفكر فينبهكم على أنه المستحق للربوبية
والعبادة لا ما تعبدونه إليه مرجعكم جميعا بالموت أو النشور لا إلى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله
مصدر مؤكد لنفسه لأن قوله إليه مرجعكم وعد من الله حقا مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه
وعد الله إنه يبدأ الخلق ثم يعيده بعد بدئه وإهلاكه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط
بعدله أو بعدلهم وقيامهم على العدل في أمورهم أو بإيمانهم لأنه العدل القويم كما أن الشرك ظلم عظيم
وهو الأوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون
فإن معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب أليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة
في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على أن المقصود بالذات من الإبداء والإعادة هو الإثابة والعقاب واقع
بالعرض وأنه تعالى يتولى إثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه وأما عقاب الكفرة فكأنه
داء ساقه إليهم سوء اعتقادهم وشؤم أفعالهم والآية كالتعليل لقوله تعالى إليه مرجعكم جميعا فإنه لما
كان المقصود من الإبداء والإعادة مجازاة الله المكلفين على أعمالهم كان مرجع الجميع إليه لا محالة ويؤيده
قراءة من قرأ أنه يبدأ بالفتح أي لأنه ويجوز أن يكون منصوبا أو مرفوعا بما نصب وعد الله أو بما نصب
حقا هو الذي جعل الشمس ضياء أي ذات ضياء وهو مصدر كقيام أو جمع ضوء كسياط وسوط والياء
فيه منقلبة عن الواو وقرأ ابن كثير برواية قنبل هنا وفي الأنبياء وفي القصص ضئاء بهمزتين على القلب
بتقديم اللام على العين والقمر نورا أي ذا نور أو سمي نورا للمبالغة وهو أعم من الضوء كما عرفت
وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على أنه خلق الشمس نيرة في ذاتها
والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها وقدره منازل الضمير لكل واحد أي قدر مسير
كل واحد منهما منازل أو قدره ذا منازل أو للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله
وإناطة أحكام الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب وحساب الأوقات
من الأشهر والأيام في معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك إلا بالحق إلا ملتبسا بالحق

مراعيا مقتضى الحكمة البالغة نفصل الآيات لقوم يعلمون فإنهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان
وحفص يفصل بالياء إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض من أنواع الكائنات
لآيات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب فإنه يحملهم على التفكر والتدبر
إن الذين لا يرجون لقاءنا أي لا يتوقعونه لإنكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ورضوا
بالحيوة الدنيا من الآخرة لغفلتهم عنها واطمأنوا بها وسكنوا إليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها
أو سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما
يضادها والعطف إما لتغاير الوصفين والتنبيه على أن الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك
في الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم أصلا وإما لتغاير الفريقين والمراد بالأولين من أنكر البعث ولم
ير إلا الحيوة الدنيا وبالآخرين من ألهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل والإعداد له أولئك مأواهم
النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
يهديهم ربهم بإيمانهم بسبب إيمانهم إلى سلوك سبيل يؤدي إلى الجنة أو لإدراك الحقائق كما قال عليه
الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم أو لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وإن
دل على أن سبب الهداية هو الإيمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بإيمانهم على استقلال الإيمان
بالسببية وأن العمل الصالح كالتتمة والرديف له تجري من تحتهم الأنهار استئناف أو خبر ثان أو
حال من الضمير المنصوب على المعنى الأخير وقوله في جنات النعيم خبر أو حال أخرى منه أو من الأنهار أو
متعلق بتجري أو بيهدي دعواهم فيها أي دعاؤهم سبحانك اللهم اللهم إنا نسبحك تسبيحا
وتحيتهم ما يحيي به بعضهم بعضا أو تحية الملائكة إياهم فيها سلام وآخر دعواهم وآخر دعائهم
أن الحمد لله رب العالمين أي أن يقولوا ذلك ولعل المعنى أنهم إذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله
وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز بأصناف الكرامات
أو الله تعالى فحمدوه وأثنوا عليه بصفات الإكرام وأن هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب
الحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه إليهم استعجالهم بالخير وضع موضع تعجيله لهم بالخير إشعارا
بسرعة إجابته لهم في الخير حتى كأن استعجالهم به تعجيل لهم أو بأن المراد شر استعجلوه كقولهم فأمطر
علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا
كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه لقضي إليهم أجلهم لأميتوا وأهلكوا
وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا فنذر الذين لا يرجون لقاءنا
في طغيانهم يعمهون عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كأنه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم
إمهالا لهم واستدراجا وإذا مس الإنسان الضر دعانا لإزالته مخلصا فيه لجنبه ملقيا لجنبه أي
مضطجعا أو قاعدا أو قائما وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الأحوال أو لأصناف المضار
فلما كشفنا عنه ضره مر مضى على طريقته واستمر على كفره أو مر عن موقف الدعاء لا يرجع إليه

كأن

كأن لم يدعنا كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كما قال ⁂
ونحر مشرق اللون كأن ثدياه حقان

إلى ضر مسه إلى كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك
في الشهوات والإعراض عن العبادات ولقد أهلكنا القرون من قبلكم يا أهل مكة لما ظلموا حين ظلموا
بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على
صدقهم وهو حال من الواو بإضمار قد أو عطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم أن يؤمنوا
لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بأنهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد النفي كذلك
مثل ذلك الجزاء وهو إهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل وإصرارهم عليه بحيث تحقق أنه لا فائدة في إمهالهم
نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم أو نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وأنهم
أعلام فيه ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون التي أهلكناها
استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون أتعملون خيرا أو شرا فنعاملكم على مقتضى أعمالكم وكيف معمول
تعملون فإن معنى الاستفهام يحجبه أن يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة على أن المعتبر في الجزاء جهات
الأفعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح أخرى وإذا تتلى عليهم آياتنا
بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ائت بقرآن غير هذا بكتاب آخر نقرؤه ليس
فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت أو ما نكرهه من معايب آلهتنا أو بدله
بأن تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية أخرى ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم إليه فيلزموه قل ما
يكون لي ما يصح لي أن أبدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وإنما اكتفى بالجواب
عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الإتيان بقرآن آخر إن أتبع إلا ما يوحى إلي تعليل لما يكون فإن
المتبع لغيره في أمر لا يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا
له بهذا السؤال من أن القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال إني
أخاف إن عصيت ربي أي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه إيماء بأنهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح
قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا أدراكم به ولا أعلمكم به على لساني وعن ابن
كثير ولأدراكم بلام التأكيد أي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري والمعنى أنه الحق
الذي لا محيص عنه لو لم أرسل به لأرسل به غيري وقرئ ولا أدرأتكم ولا أدرأكم بالهمزة فيهما على لغة من يقلب
الألف المبدلة من الياء همزة أو على أنه من الدرء بمعنى الدفع أي ولا أجعلكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال
والمعنى أن الأمر بمشيئة الله لا بمشيئتي حتى أجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم
عمرا مقدار عمر أربعين سنة من قبله من قبل القرآن لا أتلوه ولا أعلمه فإنه إشارة إلى أن القرآن معجز
خارق للعادة فإن من عاش بين أظهرهم أربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم
ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى

على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث الاخرين على ما هي عليه علم
انه معلم به من الله افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا انه ليس
الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا تفاد مما اضافوه اليه كناية او تظليم للمشركين بما
افتراءهم على الله في قولهم انه لذو شريك وذو ولد او كذب باياته فيكفر بها انه لا يفلح المجرمون
ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم فانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود
ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء الاوثان
شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا او في الاخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين
فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر
ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده قل اتنبئون الله بما لا يعلم اتخبرونه بما لا يعلم وهو ان له
شركاء وهؤلاء شفعاؤهم عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما وفيه تقريع
وتهكم بهم في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان ما
يعبدون من دون الله اما سماوي واما ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور
مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركون
هم به وقرا حمزة والكسائي هنا وفي الموضعين في اول النحل والروم بالتاء وما كان الناس الا امة
واحدة موحدين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك في عهد ادم الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان
او على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعتهم طائفة
واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى
يوم القيمة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل وابقاء
المحق ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه اي من الايات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله
هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الايات المقترحة مفاسد تصرف عن انزالها فانتظروا لنزول
ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لجحودكم ما انزل علي من الايات العظام
واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض اذا
لهم مكر في اياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا
يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون في ايات الله ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا
منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة الواقعة
جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله اما الاستدراج او الجزاء على المكر ان رسلنا
يكتبون ما تمكرون تحقيقا للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف على الحفظة
فضلا ان يخفى على الله سبحانه وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم
يحملكم على السير ويمكنكم منه وقرا ابن عامر ينشركم بالنون والشين من النشر في البر والبحر حتى اذا

كنتم

كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه تذكرة
لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها
جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب
وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا وسدت
عليهم المسالك الخلاص كمن احيط به العدو دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع
الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم
ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من
جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجؤوا الفساد فيها وسارعوا
الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم
وقلع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله
عليكم او انه على امثالكم وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها
ورفعه على خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر مبتدا محذوف تقديره ذلك متاع الحيوة الدنيا
وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا او مفعول
البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة الدنيا محذور
او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبره ثم الينا مرجعكم في القيمة فننبئكم
بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها
وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات
الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما ياكل الناس والانعام من الزروع
والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت تزينت باصناف النبات واشكالها
والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت
فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة
وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها
اتاها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها
بما حصد من اصله كان لم تغن كان لم يغن زرعها اي لم يلبث والمضاف محذوف في الموضعين
للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبله وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون
الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاة وذهابه حطاما بعد ما كان غضا والتف وزين الارض
حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه فانه من التشبيه المركب
كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به والله يدعو الى دار السلام
دار السلامة من التقضي والافة او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم

الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم وهو طريقها
وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر
غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة
وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها
الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء
ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق
اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء
سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو او
الذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة بمثلها على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي ان
يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هي الفضل او التضعيف او كانما اغشيت
او اولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف اي فجزاء سيئة بمثلها على
زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم من الله من عاصم ما من احد
يعصمهم من سخط الله او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم
قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل
في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرأ
ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون فعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الآية في الكفار لاشتمال السيئات
على الشرك والكفر ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ويوم
نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا مكانكم
حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم عطف عليه
وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم
وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم
انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ان الله ينطق الاصنام
فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين
فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين
ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلو كل نفس
ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي تتلو من التلاوة
اي تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو اي تتبع عملها فيقودها الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو بالنون

ونصب

ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها
بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد به نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت
من الشر فتكون ما منصوبة بنزع الخافض وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق
ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد
وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها
آلهة قل من يرزقكم من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية
ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل
السماء والارض امن يملك السمع والابصار امن يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما
من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالها من ادنى شيء ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من
الحي ومن يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الامر ومن يلي
تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك
لفرط وضوحه فقل افلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك
فذلكم الله ربكم الحق اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه
الذي انشأكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال استفهام انكاري اي ليس بعد
الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال
كذلك حقت كلمة ربك اي كما حقت الربوبية لله او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون
عن الحق حقت كلمة الله وحكمه وقرأ نافع وابن عامر كلمات هنا وفي آخر السورة وفي غافر على الذين فسقوا
تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها
والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالبدء
في الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول بان ينوب عنهم
في الجواب فقال قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون
تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل
والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى
غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما اسند الى الله تعالى قل الله يهدي
للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى امن الذي لا يهتدي الا ان يهدى
من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم
كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال
ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء
الساكنين وروى ابو بكر يهدي باتباع الياء الهاء وقرأ ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين

لان المبالغة في الحكم المتحرك وعن نافع مثله وقرئ الا ان يهدى على المبالغة فما لكم كيف
تحكمون بما يقتضي صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدونه الا ظنا مستندا الى
خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة
والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمي منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغني من الحق
من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على
ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون
وعيد على اتباعهم الظن واعراضهم عن البرهان وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون
الله افتراء من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه مطابق لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود
على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر
لكان مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو
تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت من العقائد والشرائع لا ريب فيه منتفيا
عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول
في المعنى وان يكون استئنافا من رب العالمين خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق
او بتفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير في فيه
ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه ام يقولون بل ايقولون
افتراه محمد ومعنى الهمزة فيه للانكار قل فأتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى
على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم والعبارة وادعوا من استطعتم
ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله سوى الله تعالى فانه وحده قادر
على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه
بالقرآن اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من
ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم ولما يأتهم تأويله ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ اذهانهم
معانيه او ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب والمعنى
ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجأوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه
ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فراوزوا قواهم في معارضته
فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا
وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين
فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم من يؤمن به من يصدق به في
نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن الكفر ومنهم من لا يؤمن به
في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين

بالمعاندين

بالمعاندين او المصرين وان كذبوك وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم
عملكم فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون
مما اعمل وانا بريء مما تعملون لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم
وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت
الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم تقدر على اسماعهم
ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام
فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهائم وهو لا يتأتى الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم
لما كانت مؤوفة بمعارضة الوهم ومتابعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم
ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك يعاينون
دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون افانت تهدي العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون
وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار
والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والآية
كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم
ولكن الناس انفسهم يظلمون بافسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على ان للعبد
كسبا وانه غير مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق
بهم من العذاب يوم القيامة عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه وقرأ
ابو عمرو والكسائي بالتخفيف ورفع الناس ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار
يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موضع الحال اي يحشرهم
مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله او لمصدر
محذوف اي حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا
الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهي حال اخرى مقدرة او
بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله استئناف للشهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا
من الضمير في يتعارفون على ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من
المعارف في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدائم واما
نرينك نبصرنك بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك كما اراه يوم بدر او نتوفينك
قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الآخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف
مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجازيهم عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها
ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤديها ومقيمها على افعالهم يوم القيامة ولكل امة من الامم الماضية

رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين الرسول
ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول واهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة يوم
القيمة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء
المؤمنين وعقاب الكفار كقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعاد
له واستهزاء به ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين قل لا املك
لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه
او لكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم
قل ارأيتم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا
حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء من العذاب يستعجلونه
وكله مكروه لايلائم الاستعجال وهو متعلق بارأيتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير
للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء العذاب لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو
تندموا على الجملة متعلقة بارأيتم او قوله اثم اذا ما وقع آمنتم به بمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به
بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار
التأخير آلان على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الآن امنتم به وعن نافع
آلان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء
ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون الا بما
كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك احق هو احق ما تقول
من الوعد او ادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تقول به فانه حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر
ان الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو
فان فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة
في موضع النصب بيستنبئونك قل اي وربي انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعيته لثابت
وقيل كلا الضميرين للقران واي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه في التصديق
فيقال اي والله ولا يقال اي وحده وما انتم بمعجزين بفائتين العذاب ولو ان لكل نفس
ظلمت بالشرك او التعدي على الغير ما في الارض من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته
فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه واسروا الندامة لما رأوا العذاب
لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل
اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشيء لخالصه من حيث
انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم اسر الشيء واشره اذا اظهره وقضي بينهم

بالقسط

بالقسط وهم لا يظلمون ليس بتكرير لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين
على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهما لدلالة الظلم عليهم الا ان لله
ما في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده
من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يعلمون لقصور عقولهم
الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته لا تزول
قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة لهما ابدا واليه ترجعون بالموت والنشور يا ايها
الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين
اي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها المرغبة في المحاسن
والزاجرة عن المقابح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى
الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت
مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل
الله وبرحمته بانزال القران والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا فان اسم
الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا فبذلك فليفرحوا وفائدة
ذلك التكرير التأكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل
عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اي فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كانه قيل
ان فرحوا بشيء فبها ليفرحوا او للربط بما قبلها والدلالة على ان مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات
موجب للفرح وتكريرها للتأكيد كقوله واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا
بالتاء على معنى فبذلك فلتفرحوا المؤمنون هو خير مما يجمعون ايها المخاطبون قل ارأيتم
ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السماء محصل باسباب منها
وما في موضع النصب بانزل او بارأيتم فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك
وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه انعام وحرث حجر ما في بطون هذه
الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل الله اذن لكم في التحريم والتحليل فتقولون
ذلك بحكمه ام على الله تفترون في نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون المنفصلة متصلة بارأيتم
وقل مكرر للتأكيد وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم
على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب اي شيء ظنهم يوم القيمة ايحسبون
ان لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام
الوعيد تهديد عظيم ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال
الرسل وانزال الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون في شان
ولا تكون في امر واصله الهمز من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلو منه له لان

تلاوة القرآن معظم شأن الرسول صلى الله عليه وسلم او لان القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من
اجله ومفعول تتلو من قرآن على ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي والقرآن واضمار قبل الذكر
ثم بيانه تفخيم لشأنه او لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم ولذلك
ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا رقباء
مطلعين عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب
عن علمه وقرأ الكسائي بكسر الزاء من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اي
في الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام
في حال اهلها والمقصود منه هو البرهان على احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب
مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على
الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف وعلى محله مع الجار جعل
الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم
بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون بفوات مأمول والآية مجمل فسره بقوله
الذين آمنوا وكانوا يتقون وصل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم له لهم البشرى في
الحيوة الدنيا وهو ما بشر به الله المتقين في كتابه على لسان نبيه وما يريهم من الرؤيا الصالحة وما
يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع وفي الآخرة بتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين
بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين آمنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على
الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك
اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر
به وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام متصل بما قبله ولا يحزنك قولهم اشراكهم
وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ان العزة لله جميعا استئناف بمعنى
التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره
شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم هو السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافئهم عليها
الا ان لله من في السموات ومن في الارض من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف
الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا وشريكا فهو كالدليل
على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء اي شركاء على الحقيقة وان كانوا سموها
شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ان يتبعون الا
الظن اي ما يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انهم شركاء ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة
بيتبع وموصولة معطوفة على من وقرئ تدعون والمعنى اي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من
الملائكة والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك

الذين

الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان
سندهم ومنشأ رأيهم وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون انها شركاء
تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظم
نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة
بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا
اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم
الحمقاء هو الغني علة لتنزهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما في السموات وما في الارض
تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم
وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا من سلطان
اتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول
لا دليل عليه فهو جهالة وان العقائد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ قل ان الذين
يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون
بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدأ محذوف اي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رئاستهم في الكفر او حياتهم
او تقلبهم متاع او مبتدأ خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء
المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبأ نوح
خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي نفسي
كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة او قيامي على الدعوة وتذكيري
اياكم بآيات الله فعلى الله توكلت وثقت به فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم
اي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل
انه معطوف على امركم بحذف المضاف اي وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا
شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع على قصده والسعي
في اهلاكه على اي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم
غمة مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني
وتخلصتم عن ثقل مقامي وتذكيري ثم اقضوا الي ادوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي وقرئ
ثم افضوا بالفاء اي انتهوا الى بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون
ولا تمهلون فان توليتم اعرضتم عن تذكيري فما سألتكم من اجر يوجب توليكم
لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله او يفوتني لتوليكم ان اجري ما ثوابي على الدعوة والتذكير
الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني به آمنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين
لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة

وبلغ ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق
ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين به واغرقنا الذين كذبوا
بآياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن
كذب الرسول وتسلية له ثم بعثنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى
قومه فجاؤهم بالبينات بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم
ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل بسبب تعودهم
تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم
في الضلال واتباع المألوف وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله وكسب العبد وقد
مر تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا
بالآيات التسع فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا
برسالة ربهم واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة المزيلة
للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه واضح فيما بين
اخوانه قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه سحر فحذف المحكي المقول لدلالة ما قبله عليه ولا
يجوز ان يكون اسحر هذا لانهم بتوا القول بل هو استئناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الا
ستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم فلان
يخاف القالة كقوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام
كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم
بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا كانهم قالوا اجئتنا بالسحر
تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما
وجدنا عليه آباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها
سمي بها لاتصاف الملوك بالكبر او التكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين مصدقين في
فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار عليم حاذق فيه
فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به
السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو السحر على ان ما استفهامية
مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف تقديره اهو السحر او مبتدأ
خبره محذوف اي السحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده وتقديره اي شيء اتيتم ان الله
سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه
دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره
وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما آمن لموسى في مبدأ امره الا ذرية من قومه

الا اولاد

الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل
الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به او مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته
وماشطته على خوف من فرعون وملئهم اي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد
في ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم
ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من
الملأ كان بسببه ان فرعون لعال في الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى
ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين به يا قوم ان كنتم
آمنتم بالله فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله
مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له
والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت
فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا
فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم
الكافرين من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي
ان يتوكل اولا لتجاب دعوته واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ ان اتخذا مباءة لقومكما
بمصر بيوتا تسكنون فيها او ترجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت
قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي اليها واقيموا الصلوة فيها
امروا بذلك اول مرة لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة
في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس
القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة فيها مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد
لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه
زينة ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها واموالا في الحيوة الدنيا وانواعا من المال ربنا ليضلوا
عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس
وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت
على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيدا
وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم اهلكها والطمس
المحو وقرئ اطمس بالضم واشدد على قلوبهم اي واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان
فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء
معترض قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون لانه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه
من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن في وقته روي انه مكث فيهم بعد الدعاء

اربعين سنة ولا تتبعانّ سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال ولعدم الوثوق والا
طمئنان بوعد الله تعالى وعن ابن عامر ولا تتبعانْ بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين
ولا تتبعان من تبع ولا تتبعانّ ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جوزناهم في البحر حتى
بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوّزنا وهو من فعّل المرادف لفاعل كضعّف وضاعف فا
تبعهم فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين وعادين
او للبغي والعدو وقرئ وعُدُوّا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال آمنت انه اي بانه
لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين وقرأ حمزة والكسائي انه بالكسر
على اضمار القول او الاستئناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه
حتى لا يقبل آلآن اتؤمن الآن وقد أيست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت
قبل قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك
ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك
بنو اسرائيل وقرأ يعقوب ننجيك من انجى وقرئ ننحيك بالحاء اي نلقيك بناحية من الساحل
ببدنك في موضع الحال اي ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس
او بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء البدن كلها
كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية لمن
وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا
موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او لمن ياتي بعدك من
القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان
على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن
خلقك اي لخالقك آية كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف
تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل
على المشهور وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوأنا
انزلنا بني اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات
من اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قرؤوا التوراة وعلموا احكامها
او في امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك يقضي بينهم
يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل بالانجاء والاهلاك فان كنت في شك
مما انزلنا اليك من القصص على سبيل الفرض والتقدير فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك
فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة
وان القرآن مصدق لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول

وزيادة

وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا اشك ولا اسال وقيل الخطاب
للنبي والمراد امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا على لسان نبينا اليك
وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد
جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة فلا تكونن من الممترين
بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون
من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين
ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك بانهم يموتون على الكفر ويخلدون في العذاب
لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم كل آية فان السبب الاصلي لايمانهم
وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون فلولا
كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر
اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن
قوم يونس لما آمنوا اول ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي
في الحياة الدنيا ويجوز ان تكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا
لان المراد من القرى اهاليها كانه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم
يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل ومتعناهم الى حين الى آجالهم روي ان يونس عليه السلام بعث
الى اهل نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد
اغامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم
يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم
وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة
والايمان وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك
لآمن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون
فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم بما لم يشأ الله منهم حتى يكونوا مؤمنين
وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل
للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكن تحصيله بالاكراه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي
انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس
ان تؤمن بالله الا باذن الله الا بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله
ويجعل الرجس العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاي وقرأ ابو بكر ونجعل بالنون على الذين
لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على
قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله قل انظروا اي تفكروا ماذا في السموات والارض من عجائب

صنعه لتدل على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل وما تغني
الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع المصدر
فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقائعهم ونزول باس الله بهم اذ لا يستحقون
غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكي
اني معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام
الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا
ننج المؤمنين كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله
المقدر وقيل بدل من كذلك وقرا حفص والكسائي ننج مخففا قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم
في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم
فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها
وهو اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي هو يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفي
بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان
يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان يكون من غيره كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان
اقم وجهك للدين عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض
لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها
والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه باداء الفرائض والانتهاء عن القبائح او في
الصلاة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون
الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان دعوته وخذلته فان فعلت فان دعوته فانك اذا
من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر وان يصبك
به فلا كاشف له يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد فلا دافع لفضله الذي ارادك
به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر
انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا
استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو
الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تياسوا من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم
الحق من ربكم رسوله والقرآن ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فانما يهتدي
لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم
بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال والتبليغ
واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا
يمكن الخطا في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يونس

اعطي

اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون ؛؛

سورة هود

مكية وآيها مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب مبتدا وخبر او كتاب خبر مبتدا محذوف احكمت آياته نظمت نظما محكما لا يعتريه
اختلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ
او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على
امهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها
سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل
واحكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم او للتراخي في الاخبار من لدن حكيم
خبير صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على
اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي الا تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان في تفصيل
الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدا للاغراء على التوحيد او الامر بالتبري عن عبادة الغير
كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا انني لكم منه من الله نذير وبشير بالعقاب
على الشرك والثواب على التوحيد وان استغفروا ربكم عطف على الا تعبدوا ثم توبوا اليه ثم توسلوا
الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك
ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان تكون ثم لتفاوت ما بين الامرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم
في امن ودعة الى اجل مسمى هو آخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستئصال والارزاق والآجال
وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله
ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين وان تولوا
وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيامة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط
حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولي الى الله مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن
القياس وهو على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبكم اشد عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم الا
انهم يثنون صدورهم يثنونها عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي صلى الله
عليه وسلم او يولون ظهورهم وقرئ تثنوني بالتاء والياء من اثنوني وهو بناء مبالغة وتثنون
واصله تثنونن من الثن وهو الكلا الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني وتثنئن
من اثنان كابياض بالهمز وتثنوي ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل
انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد
كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة الا حين يستغشون ثيابهم

الاحين ياوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بافواههم
يستوى في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات الصدور بالا
سرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها غذاؤها ومعا
شها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه ويعلم
مستقرها ومستودعها اماكنها في الحيوة والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها من الارض حين
وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة كل كل واحد من الدواب و
احوالها في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ وكانه اريد بالاية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها
وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد
وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اى خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف او ما
في جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات
وكان عرشه على الماء قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا انه كان موضوعا على متن الماء واستدل
به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح
والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق بخلق اى خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم
معاملة المبتلى لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج اليه
اعمالكم ودلائل امارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من
معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار شامل الفرق
المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقي دائما في مراتب العلم
والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ايكم احسن عقلا
واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم مبعوثون
من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اى ما البعث او القول به او القرآن
المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة والبطلان وقرا حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى
القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت او ان يكون ان بمعنى علّ اى ولئن قلت علكم
مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره
ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن
استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم ياتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس
العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها
وحاق بهم واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد ما كانوا به يستهزئون
اى العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزئون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء
ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا

تلك النعمة منه انه ليؤوس قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به كفور مبالغ
في كفران ما سلف له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد
عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني اى المصائب التي ساءتني
انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ
الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في
الاخرة وانه يقع في الكفران والبطر بادنى شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبتدأ الوصول
الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا لالائه
سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اقله الجنة والاستثناء من الانسان
لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء
منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف
راى المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه
لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والثقة في التبليغ هاهنا وضائق
به صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدرك بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه
كنز ينفقه في الاستتباع كالملوك او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره
ان يقولوا انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا فما
بالك يضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم
جزاء اقوالهم وافعالهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والهاء لما يوحى قل فاتوا بعشر سور مثله
في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة
وتوحيد المثل باعتبار كل واحدة مفتريات مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي
فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما اقدر عليه لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض
والنظم وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة على المعارضة ان كنتم صادقين انه
مفترى فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول او لان المؤمنين
ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما
خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك
رتب عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه ولا يقدر عليه سواه وان لا اله الا هو
واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز الهتهم ولتنصيص
هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من باس الله الهتهم
فهل انتم مسلمون ثابتون على الاسلام راسخون مخلصون فيه اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا
ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اى فان لم يستجيبوا لكم الى

الظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل
من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة
وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر
من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها باحسانه وبره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء
اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اي يوف
الله وتوف على البناء للمفعول ونوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله
وان اتاه كريم يوم مسغبة ... يقول لا غائب مالي ولا حرم
وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا من اجورهم والاية في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في
الكفرة وغرضهم وبرهم اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم
استوفوا ما تقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها
لانه لم يبق لهم ثواب في الاخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو
الاخلاص ويجوز تعلق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا يعملون
لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون
وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وبطل على الفعل افمن كان
على بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما ياتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب
من هذا شانه هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي
اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة كمن كان يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن
مخلص وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنو اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو
دليل العقل شاهد منه من الله يشهد بصحته وهو القران ومن قبله من قبل القران كتاب موسى
يعني التورية فانها ايضا تتلوه في التصديق والبينة هو القران ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل
او لسان الرسول عليه الصلاة والسلام على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في
يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على
الضمير في يتلوه اي يتلو القران شاهد ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد
من بني اسرائيل ويقرأ من قبل القران التورية اماما مؤتما به في الدين ورحمة على المنزل عليهم لانه
الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون به بالقران ومن يكفر
به من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله فالنار موعده يردها لا محالة
فلا تك في مرية منه من الموعد او القران وقرئ مرية بالضم وهما الشك انه الحق من ربك
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال افكارهم ومن اظلم ممن افترى على
الله كذبا كان اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله اولئك اي الكاذبون يعرضون على ربهم

في الموقف

في الموقف بان يحبسوا وتعرض اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو
جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين
تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن
دينه ويبغونها عوجا يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة
وهم بالاخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالاخرة وتكريرهم لتاكيد كفرهم واختصاصهم
به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم وما
كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم
ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف
بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون
لتعاميهم عن ايات الله وكأنه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الالهة
بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف
لهم العذاب اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الالهة بعبادة الله وضل عنهم
ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها او خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق لهم سوى
الحسرة والندامة لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمانوا اليه وخشعوا له من الخبت وهو الارض المطمئنة اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم والبصير
والسميع يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن ايات الله وبالاصم لتصامه عن استماع
كلام الله وتابيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون كل منهما
مشبها باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما
والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله . الصابح فالغانم فالآيب . وهذا من باب اللف والطباق
هل يستويان هل يستوي الفريقان مثلا تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكرون بضرب الامثال والتامل
فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم بانى لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر
على ارادة القول نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من
اني لكم او مفعول مبين ويجوز ان تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف عليكم
عذاب يوم اليم مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة
جد جده ونهاره صائم للمبالغة فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا
لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا
اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او ارذل جمع رذل بادي الرأي ظاهر الرأي
من غير تعمق من البدو او اول الرأي من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ ابو عمرو

بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اى وقت حدوث بادى الرأى والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم
لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحيوة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها
ارذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم
كاذبين اياك فى دعوى النبوة واياهم فى دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم
أرأيتم اخبرونى ان كنت على بينة من ربى حجة شاهدة بصحة دعواى وآتانى رحمة من عنده
بايتاء البينة او النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة فى نفسها
هى الرحمة او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار او لانه
لكل واحدة منهما وقرأ حمزة والكسائى وحفص فعميت اى اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله انلزمكموها
انكرهكم على الاهتداء بها وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع
ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز فى الثانى الفصل والوصل ويا قوم لا اسألكم
عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا ان اجرى الا على الله فانه المأمول
منه وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوا طردهم انهم ملاقو ربهم فيخاصمون
طاردهم عنده او انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ولكنى اراكم قوما تجهلون
بلقاء ربكم او باقدارهم او فى التماس طردهم او تتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم
من ينصرنى من الله بدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة افلا تذكرون
لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا اقول لكم عندى خزائن
الله رزقه وامواله حتى جحدتم فضلى ولا اعلم الغيب عطف على عندى خزائن الله اى ولا اقول
لكم انا اعلم الغيب حتى تكذبونى استبعادا او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعونى بادى الرأى من غير
بصيرة وعقد قلب وعلى الثانى يجوز عطفه على اقول ولا اقول انى ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر
مثلنا ولا اقول للذين تزدرى اعينكم ولا اقول فى شأن من استرذلتموهم لفقرهم لن
يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله لهم فى الآخرة خير مما آتاكم فى الدنيا الله اعلم بما فى انفسهم
انى اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت
تاؤه دالا لتجانس الزاى فى الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم
بادى الرؤية من غير روية بما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل فى معانيهم
وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه
فأتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين فى الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا
تؤثر فينا قال انما يأتيكم به الله ان شاء عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب
او الهرب منه ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم شرط ودليل جواب والجملة دليل
جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان

اردت

اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحى ولذلك نقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان
كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل
على ان ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من
غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه ترجعون
فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامى وباله وقرئ اجرامى
على الجمع وانا برئ مما تجرمون من اجرامكم فى اسناد الافتراء الى واوحى الى نوح انه لن
يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس فلا تحزن ولا تتأسف بما كانوا يفعلون
اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوا من التكذيب والايذاء واصنع الفلك باعيننا
ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذى به يحفظ الشئ ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة
فى الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل ووحينا الينا كيف نصنعها ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا ولا
تراجعنى فيهم ولا تدعنى باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا
سبيل الى كفه ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه
استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان يعملها فى برية بعيدة من الماء وان عزته فكانوا يضحكون منه
ويقولون صرت نجارا بعد ما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون
اذا اخذكم الغرق فى الدنيا والحرق فى الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من
يأتيه عذاب يخزيه يعنى به اياهم وبالعذاب الغرق ويحل عليه وينزل عليه او يحل عليه حلول
الدين الذى لا انفكاك عنه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله
ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هى التى يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء
فيه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان فى الكوفة فى موضع
مسجدها او فى الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع فيها
قلنا احمل فيها فى السفينة من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين ذكرا وانثى
هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل صنف ذكر وصنف انثى واهلك
عطف على زوجين او اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين
يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين ومن آمن والمؤمنين من غيرهم وما آمن معه
الا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم
واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روى انه عليه السلام اتخذ السفينة فى سنتين من الساج
وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلاثين وجعل لها ثلاثة بطون فحمل فى اسفلها
الدواب والوحش وفى اوسطها الانس وفى اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اى صيروا فيها وجعل
ذلك ركوبا لانها فى الماء كالمركوب فى الارض بسم الله مجراها ومرساها متصل باركبوا حال من

الوادي اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت
او للمكان او للمصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما
بسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتدأ وخبر اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر او صلة
والخبر محذوف وهي اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو والهاء روي انه كان اذا اراد
ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله
ثم اسم السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجريها بالفتح من جرى وقرئ مرساها
ايضا من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله ان ربي لغفور رحيم اي
لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اي فركبوا
مسمين وهي تجري وهم فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند
اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت
السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك
قبل التطبيق ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه
وقيل كان لغير رشده لقوله فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين
وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه عن
ابيه او عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا ابعده يا بني اركب معنا في السفينة والجمهور كسروا
الياء ليدل على ياء الاضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها في لقمان في الموضع
الاول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف
المبدلة من ياء الاضافة واختلفت الرواية عنه في سائر المواضع وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو و
الكسائي وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين في الدين والانعزال قال ساوي الى جبل يعصمني
من الماء ان يغرقني قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان
من رحمهم الله وهم المؤمنين رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا
معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله في عيشة راضية وقيل الاستثناء
منقطع اي لكن من رحمه الله يعصمه وحال بينهما الموج بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل فكان
من المغرقين فصار من المهلكين بالماء وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي نودي بما ينادي
به اولو العلم وامرا بما يؤمرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالامر المطاع الذي
يامر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع
الامساك وغيض الماء نقص وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت
واستقرت السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل روي انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل
عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم فصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا

بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والاية في غاية الفصاحة لفخامة
لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وفي ايراد الاخبار على البناء للمفعول
دلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغن عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان
مثل هذه الافعال لا يقدر عليها سوى الواحد القهار ونادى نوح ربه واراد نداءه بدليل عطف قوله
فقال رب ان ابني من اهلي فانه النداء وان وعدك الحق وان كل وعد تعده حق لا يتطرق
اليه الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي فما حاله او فما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه
وانت احكم الحاكمين لانك اعلم الحكام واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من
الحكمة كالدارع من الدرع قال يا نوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية بين المؤمن والكافر واشار اليه بقوله
انه عمل غير صالح فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء
تصف ناقة

ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت … فانما هي اقبال وادبار

ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه
وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ما لا تعلم
اصواب هو ام ليس كذلك وانما سمى نداءه سؤالا لتضمن ذكر الوعد بنجاة اهله استنجاز في شأن ولده
او استفسار المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله اني اعظك ان تكون من
الجاهلين لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب
الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون المشددة وكذا نافع وابن عامر غير انهما
كسروا النون على ان اصله تسألنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء
ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع اثباتها في الوصل قال رب اني اعوذ بك ان اسألك
فيما يستقبل ما ليس لي به علم بصحته والا تغفر لي وان لم تغفر لي ما فرط مني في السؤال
وترحمني بالتوبة والتفضل علي اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام منا انزل
من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك وبركات عليك ومباركا عليك او زيادات
في نسلك حتى تصير آدما ثانيا وقرئ اهبط بالضم والبركة على التوحيد وهي الخير النامي وعلى امم ممن
معك وعلى امم هم الذين معك سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او على امم ناشئة ممن
معك والمراد بهم المؤمنون لقوله وامم سنمتعهم اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم
يمسهم منا عذاب اليم في الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل قوم هود وصالح
ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها
من انباء الغيب اي بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك او حال من الانباء
او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء في نوحيها ما كنت تعلمها انت ولا قومك
من قبل هذا خبر آخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائها اليك او حال من الهاء في نوحيها

او الكاف في لك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم
مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح ان
العاقبة في الدنيا بالظفر وفي الآخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي والى عاد اخاهم هودا عطف
على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره وقرئ
بالجر حملا على المجرور وحده ان انتم الا مفترون على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يا قوم
لا اسالكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا
للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا الحق من
المبطل والصواب من الخطا ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم
توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبري عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده يرسل السماء
عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر
وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم
ثلاثين سنة فوعدهم هود على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا
ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على
صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي
آلهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي وما نحن لك
بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق ان نقول الا اعتراك اي ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك من عراه يعروه
اذا اصابه بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات
والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما
تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله
على براءته من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تاكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة
بهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم
الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة ان آلهتهم التي هي جماد لا يضر ولا ينفع ولا تتمكن من
اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك
العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه
ولذلك عقبه بقوله اني توكلت على الله ربي وربكم تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غاية
وسعكم لم تضروني فاني متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم ولا يحيق بي ما لم يرده
ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها الا وهو
مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم
اي انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا فان تتولوا فقد

ابلغتكم

ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد اديت ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني ولا
عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم استئناف بالوعيد لهم بان
الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم
على الموضع كانه قيل فان تتولوا يعذبني ربي ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم
ويستخلف يسقط النون منه ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب فلا تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل
عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شيء ولما جاء امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب
نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة آلاف ونجيناهم من عذاب غليظ
تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع
امعاءهم او المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا
بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار
القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا بها وعصوا رسله لانهم
عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر
كل جبار عنيد يعني كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعندا وعنودا اذا طغى والمعنى
عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم واتبعوا
في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب
الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار الا بعدا لعاد دعاء
عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم
وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم هود عطف بيان
لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم
وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم
من الارض هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب
واستعمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى
اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم
ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا
يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا
ومستشارا في الامور او ان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك اتنهانا
ان نعبد ما يعبد آباؤنا على حكاية الحال الماضية واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد
والتبري عن الاوثان مريب موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة على الاسناد المجازي من اراب
في الامر قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار

المخاطب وآتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من عذابه ان عصيته في تبليغ رسالته
والمنع عن الاشراك به فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله
به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله
لكم آية انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها
تأكل في ارض الله ترعى نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب
عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام فعقروها فقال تمتعوا في داركم عيشوا
في منازلكم او في داركم الدنيا ثلاثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير
مكذوب اي غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله . ويوم شهدناه سليما
وعامرا . او غير مكذوب على المجاز وكان الواعد قال له اني بك فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد غير
كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا
ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيامة
وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ
ان ربك هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا
في ديارهم جاثمين قد سبق بيانه في سورة الاعراف كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم
نونه ابو بكر ههنا وفي النجم والكسائي في جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو في قوله الا
بعدا لثمود ذهابا الى الحي والاب الكبير ولقد جاءت رسلنا ابرهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة
وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما
سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام اي امركم او جوابي سلام
او وعليكم السلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ حمزة والكسائي سلم وكذلك في الذاريات
وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطأ مجيئه به او
فما ابطأ في المجيء به او فما تأخر عنه والجار في ان مقدر او محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل الذي
يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين فلما رأى ايديهم لا تصل
اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به
مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار قالوا له لما احسوا منه اثر الخوف
لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا نأكل وامرأته
قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد
او باصابة رأيها فانها كانت تقول لابرهيم اضمم اليك لوطا فاني علمت ان العذاب ينزل بهؤلاء القوم وقيل فضحكت
فحاضت قال :. وعهدي بسلمى ضاحكا في لبابة ... ولم يعد حقا ثديها ان تحلما :.
ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب

نصبه

نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا من وراء اسحق
يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحق او على لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير مصروف ورد للفصل
بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف اي ويعقوب مولود
من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته الى اسحق ليس من
حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابرهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة
كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر
به يكون منها لا من هاجر ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتا يا عجبا واصله في الشر
فاطلق في كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل أألد وانا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين
وهذا بعلي زوجي واصله القائم بالامر شيخا ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل
فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر
وبعلي بدل ان هذا لشيء عجيب يعني الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة
ولذلك قالوا أتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها فان
خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع
ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت في ملاحظة الآيات واهل البيت نصب على
المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة انه حميد فاعل ما يستوجب به
الحمد مجيد كثير الخير والاحسان فلما ذهب عن ابرهيم الروع ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه
بعرفانهم وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته
اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال او لانه في سياق الجواب بمعنى
الماضي كجواب لو او دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا او شرع في جدالنا او متعلق به اقيم مقامه
مثل اخذ او اقبل يجادلنا ان ابرهيم لحليم غير عجول على الانتقام من المسيء اليه اواه كثير التأوه
من الذنوب والتأسف على الناس منيب راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة
وهو رقة قلبه وفرط ترحمه يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت الملائكة يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال
انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه الازلي بعذابهم وهو اعلم بحالهم وانهم آتيهم
عذاب غير مردود مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه
مجيئهم لانهم جاؤا في صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن
مدافعتهم وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة
المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون
اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل اي ومن قبل ذلك الوقت
كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين

قال يا قوم هؤلاء بناتي فدى بهن أضيافه كرماً وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل
فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فإنه شرع طارئ أو مبالغة في تناهي خبث
ما يرومونه حتى إن ذلك أهون منه أو إظهاراً لشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم
فإن كل نبي أبو أمته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم هن أطهر
لكم أنظف فعلاً وأقل فحشاً كقولك الميتة أطيب من المغصوب وأحل منه وقرئ أطهر بالنصب على أن هن
خبر بناتي كقولك هذا أخي هو لا فصل فإنه لا يقع بين الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك الفواحش أو بإيثارهن
عليهم ولا تخزون ولا تفضحون من الخزي أو ولا تخجلون من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي في شأنهم
فإن إخزاء ضيف الرجل إخزاؤه أليس منكم رجل رشيد يهتدي إلى الحق ويرعوي عن القبيح قالوا
لقد علمت ما لنا في بناتك من حق من حاجة وإنك لتعلم ما نريد وهو إتيان الذكران قال لو أن
لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم أو آوي إلى ركن شديد إلى قوي أتمنع به عنكم
شبهه بركن الجبل في الشدة وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد وقرئ
أو آوي بالنصب بإضمار أن كأنه قال لو أن لي بكم قوة أو أوياً وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روي
أنه أغلق بابه دون أضيافه وأخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على
لوط من الكرب قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك لن يصلوا إلى إضرارك بإضرارنا
فهون عليك ودعنا وإياهم فخلاهم أن يدخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس
أعينهم وأعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فإن في بيت لوط سحرة فأسر بأهلك بالقطع من
الإسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع في القرآن من السرى بقطع من الليل بطائفة منه
ولا يلتفت منكم أحد ولا يتخلف أو لا ينظر إلى ورائه والنهي في اللفظ لأحد وفي المعنى للوط إلا امرأتك
استثناء من قوله فأسر بأهلك ويدل عليه أنه قرئ فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك وهذا إنما
يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فإنه إن فسر بالنظر إلى الوراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير
وأبي عمرو بالرفع على البدل من أحد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين في أنه خلفها مع قومها أو أخرجها
فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجر فقتلها لأن القواطع لا يصح حملها على المعاني
المتناقضة والأولى جعل الاستثناء في القراءتين من قوله ولا يلتفت مثله في قوله ما فعلوه إلا قليل ولا يبعد أن
يكون أكثر القراء على غير الأفصح ولا يلزم من ذلك أمرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحاً ولذلك
علله على طريقة الاستئناف بقوله إنه مصيبها ما أصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعاً على قراءة
الرفع إن موعدهم الصبح كأنه علة الأمر بالإسراء أليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط و
استبطائه العذاب فلما جاء أمرنا عذابنا أو أمرنا به ويؤيده الأصل وجعل التعذيب مسبباً عنه بقوله
جعلنا عاليها سافلها فإنه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها سافلها أي الملائكة المأمورون به فأسند
إلى نفسه من حيث إنه المسبب تعظيماً للأمر فإنه روي أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت مدائنهم

ورفعها

ورفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وأمطرنا عليها على
المدن أو على شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة من طين وأصله سنك كل فعرب
وقيل إنه من أسجله إذا أرسله أو أدر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل أو من مثل العطية في الإدرار أو من
السجل أي مما كتب الله أن يعذبهم به وقيل أصله من سجين أي من جهنم فأبدلت نونه لاماً منضود
نضد معداً لعذابهم أو نضد في الإرسال يتابع بعضه بعضاً كقطار الأمطار أو نضد بعضه على بعض
وألصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة أو بسيما تتميز به عن حجارة الأرض أو باسم
من يرمى بها عند ربك في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد فإنهم بظلمهم حقيق بأن تمطر عليهم
وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه الصلاة والسلام أنه سأل جبريل فقال يعني ظالمي أمتك ما من ظالم منهم
إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة وقيل الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون
بها في أسفارهم إلى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر أو المكان وإلى مدين أخاهم شعيباً أراد أولاد
مدين بن إبراهيم عليه السلام أو أهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من
إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان أمرهم بالتوحيد أولاً فإنه ملاك الأمر ثم نهاهم عما اعتادوه من
البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض إني أراكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس أو بنعمة حقها أن تتفضلوا
على الناس شكراً عليها لا أن تنقصوا حقوقهم أو بسعة فلا تزيلوها بما أنتم عليه وهو في الجملة علة للنهي
وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه أحد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله وأحيط بثمره
والمراد عذاب يوم القيامة أو عذاب الاستئصال ووصف اليوم بالإحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه
ويا قوم أوفوا المكيال والميزان صرح بالأمر بالإيفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيهاً على أنه لا
يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الإيفاء ولو بزيادة لا يتأتى بدونها بالقسط بالعدل
والسوية من غير زيادة ونقصان فإن الازدياد إيفاء وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظوراً
ولا تبخسوا الناس أشياءهم تعميم بعد تخصيص فإنه أعم من أن يكون في المقدار أو في غيره وكذا قوله
ولا تعثوا في الأرض مفسدين فإن العثي يعم تنقيص الحقوق وغيره من أنواع الفساد وقيل المراد
بالبخس المكس كأخذ العشور في المعاملات والعثي السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال إخراج
ما يقصد به الإصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعثوا في الأرض مفسدين أمر دينكم
ومصالح آخرتكم بقيت الله ما أبقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون
بالتطفيف إن كنتم مؤمنين بشرط أن تؤمنوا فإن خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط
بالإيمان أو إن كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة كقوله والباقيات الصالحات وقرئ تقية
الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي وما أنا عليكم بحفيظ أحفظكم عن القبائح أو أحفظ عليكم أعمالكم
فأجازيكم عليها وإنما أنا ناصح مبلغ وقد أعذرت حين أنذرت أو لست بحافظ عليكم نعمة الله لو لم
تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا من الأصنام

اجابوا به امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلواته والاشعار بان مثله لا يدعو اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان شعيب كثير الصلوة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرا حمزة والكسائي وحفص على الافراد والمعنى اصلاتك تامرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما اي وان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك انك لانت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اشارة الى ما اتاه الله من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى ما اتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المالوف والنهي عن دين الاباء والضمير في منه لله اي من عنده وباعانته بلا كد مني في تحصيله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اي وما اريد ان اتي ما انهاكم عنه لاستبد به فلو كان صوابا لاثرته ولم اعرض عنه فضلا عن ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ما اريد الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شان وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعي في كل ما ياتيه ويذره احد حقوق ثلاثة اهمها واعلاها حق الله وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي ان امركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته او اصلاح ما استطعته فحذف المضاف وما توفيقي الا بالله وما توفيقي لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته عليه توكلت فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدا واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما ياتيه ويذره من الله والاستعانة به في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة وان بصلتها ثاني مفعولي جرم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدي الى مفعول واحد والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبني كقوله

لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت ... حمامة في غصون ذات اوقال

وما قوم

وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هم بشيء بعيد ولا يبعد ان يسوى في امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه عما انتم عليه ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقولهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا او مهينا لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة لرجمناك لقتلناك برمي الحجارة او باصعب وجه وما انت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والايات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النفي تنبيه على ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة وان المانع لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلا تبقون على الله وتبقون على رهطي وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب وظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ان ربي بما تعملون محيط فلا يخفى عليه شيء منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف ثمة للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما عليه سبب لذلك وحذفها هاهنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل ومن هو كاذب عطف على من ياتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما اقول لكم اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل فهلكوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين واصل الجثوم اللزوم في المكان كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان

صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا موسى بآياتنا بالتورية او المعجزات وسلطان مبين هو المعجزات القاهرة او العصا وافرادها لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اى ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا فى نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الآية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع والمبين يخص بما فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره بالكفر بموسى اى فما اتبعوا موسى الهادى الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك فى الضلال والطغيان الداعى الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون برشيد مرشد او ذى رشد وانما هو غى محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيمة الى النار كما كان يقدمهم فى الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكره بلفظ الماضى مبالغة فى تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود اى بئس المورد الذى وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والآية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من كان هذه عاقبته لم يكن فى امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة حميدها واتبعوا فى هذه فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اى يلعنون فى الدنيا والآخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان او العطاء المعطى واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وهو اللعنة فى الدارين ذلك اى ذلك النبأ من انباء القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص عليك منها قائم من تلك القرى باق كالزرع القائم وحصيد ومنها عافى الاثر كالزرع المحصود والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء فى نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء لما جاء امر ربك حين جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل فيكون محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ القرى اى اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضى وهى ظالمة حال من القرى وهى فى الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا لظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة فى التهديد والتحذير ان فى ذلك اى فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة يعتبر بها عظمته لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين فى الآخرة او ينزجر به عن موجباته لعلمه بانها من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الآخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية

انقضت

انفقت فى تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها ذلك اشارة الى يوم القيمة وعذاب الآخرة دل عليه يوم مجموع له الناس اى يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شانه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود اى مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله. فى محفل من نواصى الناس مشهود. اى كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا فى نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك وما نؤخره اى اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التأجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود يوم يأت اى الجزاء او اليوم كقوله ان تأتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين او الله عز وجل كقوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل ونحوه وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يات بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجى من جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف الا باذنه الا باذن الله كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا فى موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فى موقف آخر او المأذون فيه هى الجوابات الحقة والممنوع عنه هى الاعذار الباطلة فمنهم شقى وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما فى اول النهيق وآخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت عليه الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم خالدين فيها ما دامت السموات والارض ليس لارتباط دوامهم بدوامهما فان النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامه دوامهما الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الآخرة وارضها ويدل عليه قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدى له التشبيه الا ما شاء ربك استثناء من الخلود فى النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف فى صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثانى فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التأبيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقى وسعيد

تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال
حقيقي او مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة
والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير
وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز
برضوان الله ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي ان
يكونوا في النار حين ياتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى
هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق
وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك علي الف الا الالفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة
التي لا اخر لها على مدة بقاء السموات والارض ان ربك فعال لما يريد من غير اعتراض واما الذين
سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ
غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع
ولاجله فرق بين الثواب والعقاب بالتابيد وقرا حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من
سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة فلا تك
في مرية شك بعد ما انزل اليك من مال الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين
في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما
يعبدونه في انه يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل استئناف معناه تعليل
النهي عن المرية اي هم واباؤهم سواء في الشرك اي ما يعبدون عبادة الا كعبادة ابائهم او ما يعبدون
شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق اباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في
الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة من قبل عليه وانا
لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كابائهم او من الرزق فيكون عذرا لتاخر العذاب عنهم مع قيام
ما يوجبه غير منقوص حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء
بعضه ولو مجازا ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فامن به قوم وكفر به قوم كما
اختلف هؤلاء في القران ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم
بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق وانهم وان كفار قومك لفي شك منه من القران مريب
موقع في الريبة وان كلا وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل المضاف اليه وقرا ابن
كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطئة
للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما
بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اولاهن
والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان

النافية

ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوته شيء منه وان خفي فاستقم كما
امرت لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله بالاستقامة
مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا
من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما انزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط
وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه الصلوة والسلام شيبتني هود ومن تاب معك
اي تاب من الشرك والكفر وامن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل
مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي
وفي الاية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان ولا تركنوا الى
الذين ظلموا ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم واستدامته
فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون
الى الظالمين اي الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الاية ابلغ
ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول ومن معه من المؤمنين بها للتثبت على الا
ستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل
ظلم في نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه وما لكم
من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون اي ثم لا ينصركم
الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه
واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره
لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه
على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه
اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة الغداة صلوة الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلوة العشية
صلوة العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا
بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات
يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنب الكبائر وفي سبب النزول ان رجلا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني قد اصبت من امراة غير اني لم اتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله فا
ستقم وما بعده وقيل الى القران ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات وعن المعاصي
فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلوة
والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا كان فهلا كان من القرون من
قبلكم اولو بقية من الراي والعقل او اولو فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه
ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اي ذوو ابقاء

على أنفسهم وجاءتها من العذاب ويؤيده أنه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه إذا راقبه
ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم لكن قليلا منهم أنجيناهم لأنهم كانوا كذلك
ولا يصح اتصاله إلا إذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه ما أنعموا فيه
من الشهوات واهتموا بتحصيل أسبابها وأعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كأنه أراد أن يبين
ما كان السبب لاستئصال الأمم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات
مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام إذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا
وكانوا مجرمين عطف على اتبع أو اعتراض وقرئ وأتبع أي وأتبعوا جزاء ما أترفوا فتكون الواو للحال ويجوز أن
تفسر به المشهورة ويعضده تقدم الإنجاء وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك وأهلها
مصلحون فيما بينهم لا يضمون إلى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك
قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم ولو شاء
ربك لجعل الناس أمة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على أن الأمر غير الإرادة وأنه تعالى
لم يرد الإيمان من كل أحد وأن ما أراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم
على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا إلا من رحم ربك إلا ناسا هداهم الله من فضله
فاتفقوا على ما هو أصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم إن كان الضمير للناس فالإشارة
إلى الاختلاف واللام للعاقبة أو إليه وإلى الرحمة وإن كان لمن فإلى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده
أو قوله للملائكة لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين أي من عصاتهما أجمعين أو منهما أجمعين
لا من أحدهما وكلا وكل نبإ نقص عليك من أنباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فؤادك
بيان لكلا أو بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه
وثبات نفسه على أداء الرسالة واحتمال أذى الكفار أو مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع
من أنواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من أنباء الرسل وجاءك في هذه السورة
أو الأنباء المقتصة عليك الحق ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين إشارة إلى سائر فوائده العامة
وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم إنا عاملون على حالنا وانتظروا بنا
الدوائر إنا منتظرون أن ينزل بكم نحو ما نزل على أمثالكم ولله غيب السماوات والأرض خاصة لا
يخفى عليه خافية مما فيهما وإليه يرجع الأمر كله فيرجع لا محالة أمرهم وأمرك إليه وقرأ نافع
وحفص يرجع على البناء للمفعول فاعبده وتوكل عليه فإنه كافيك وفي تقديم الأمر بالعبادة
على التوكل تنبيه على أنه إنما ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون أنت وهم فيجازي كلا ما
يستحقونه وقرأ نافع وحفص وابن عامر بالتاء هنا وفي آخر النمل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة هود أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب
ولوط وإبراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء إن شاء الله تعالى

سورة يوسف مكية وآيها مائة وإحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب المبين تلك إشارة إلى آيات السورة وهي المراد بالكتاب أي تلك
الآيات آيات السورة الظاهر أمرها في الإعجاز أو الواضحة معانيها أو المبينة لمن تدبرها أنها من عند الله
أو لليهود ما سألوا إذ روي أن علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام
إلى مصر وعن قصة يوسف فنزلت إنا أنزلناه أي الكتاب قرآنا عربيا سمي البعض قرآنا لأنه في
الأصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه إما توطئة
للحال التي هي عربيا أو حال لأنه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له أو حال من الضمير فيه أو حال بعد حال
وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لإنزاله بهذه الصفة أي أنزلناه مجموعا أو مقروءا بلغتكم كي
تفهموه وتحيطوا بمعانيه أو تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا أن اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص
معجز لا يتصور إلا بالإيحاء نحن نقص عليك أحسن القصص أحسن الاقتصاص لأنه اقتص على أبدع
الأساليب أو أحسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقص
والسلب واشتقاقه من قص أثره إذا اتبعه بما أوحينا إليك بإيحائنا هذا القرآن يعني السورة
ويجوز أن يجعل هذا مفعول نقص على أن أحسن نصب على المصدر وإن كنت من قبله لمن الغافلين
عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وإن هي المخففة من
الثقيلة واللام هي الفارقة إذ قال يوسف بدل من أحسن القصص إن جعل مفعولا بدل الاشتمال
أو منصوب بإضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب
به لا على أنه مضارع بني للمفعول أو الفاعل من آسف لأن المشهورة شهدت بعجمته لأبيه يعقوب
بن إسحق بن إبراهيم وعنه عليه الصلاة والسلام الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف
بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم يا أبت أصله يا أبي فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك
قلبها هاء في الوقف ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وكسرها لأنها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل
القرآن لأنها حركة أصلها أو لأنه كان يا أبتا فحذف الألف وبقي الفتحة وإنما جاز يا أبتا ولم يجز يا أبتي لأنه
جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم إجراء لها مجرى الأسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض
وإنما لم تسكن كأصلها لأنها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب إني رأيت
من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك ولقوله هذا تأويل رؤياي أحد عشر كوكبا والشمس
والقمر روي عن جابر أن يهوديا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبرني يا محمد عن النجوم
التي رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل فأخبره بذلك فقال إن أخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان
والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين

رآها يوسف والشمس والقمر فسكت نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها
رأيتهم لي ساجدين استئناف لبيان حالهم التي رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها
بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن اثنتي عشرة سنة وقرأ حفص هنا
وفي الصافات بفتح الياء لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك
حيلة فهم يعقوب من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم
والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما بحرفي التانيث كالقربة والقربى وهي انطباع
الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت
لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني
الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان
كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن
التعبير والا احتاجت اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى به تاكيدا
ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء
فلا يالو جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك اي وكما اجتباك لمثل
هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام والاجتباء
من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك
من تاويل الاحاديث من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس والشيطان
ان كانت كاذبة او من تاويل غوامض كتب الله وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث
كاباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة وعلى
آل يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب او نسله كما اتمها على
ابويك بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح
وفدائه بذبح عظيم من قبل من قبلك او من قبل هذا الوقت ابراهيم واسحق عطف بيان
لابويك ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم يفعل الاشياء على ما ينبغي لقد
كان في يوسف واخوته اي في قصتهم آيات دلائل قدرة الله وحكمته وعلامات نبوتك
للسائلين لمن سال عن قصتهم والمراد باخوته بنو علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون
ولاوي وزبالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها
راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون
دان ونفتالي وجاد واشر من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين
وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا منا وحده لان افعل
من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب في

الحلي

المحلى جائز في المضاف ونحن عصبة والحال انا جماعة اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة
والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفي ضلال مبين لتفضيله
المفضول او لتركه التعديل في المحبة روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته
يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض
له اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الامر الا من قال لا تقتلوه وقيل
انما قاله شمعون او دان ورضي به الآخرون او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة من العمران وهو معنى
تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى
يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد
وتكونوا جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان من بعده من بعد يوسف او الفراغ من امره
او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه
بعذر تمهدونه او صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم
يعني يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه
في غيابة الجب في قعره سمي بها لغيبوبته عن عين الناظر وقرأ نافع غيابات في الموضعين
على الجمع كانه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد يلتقطه ياخذه بعض السيارة
بعض الذين يسيرون في الارض ان كنتم فاعلين بمشورتي او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق
بينه وبين ابيه قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون
ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله عن رايه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم
والمشهور تامنا بالادغام باشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما
من كلمتين وتيمنا بكسر التاء ارسله معنا غدا الى الصحراء نرتع نتسع في اكل الفواكه ونحوها من
الرتعة وهي الخصب ونلعب بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى
يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل
الى يوسف وقرئ نرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء وانا له
لحافظون من ان يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة
صبري عنه واخاف ان ياكله الذئب لان الارض كانت مذأبة وقيل رأى بالمنام ان
الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره عليه وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع في رواية
قالون وفي رواية اليزيدي وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا واشتقاقه من
تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة
اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه
انا اذا لخاسرون ضعفاء مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والويل ونحو

للحال فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس
او بئر بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل
فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى الصحرا اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا
يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها
فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم وقال يا اخوتاه
ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها
القوه وكان فيها ماء فسقط ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبريل بالوحي كما قال
واوحينا اليه وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى
وفي القصص ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل عليه السلام بقميص
من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف
فاخرجه جبريل والبسه اياه لتنبئنهم بامرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك
يوسف لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيات وذلك اشارة الى ما قال
لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه امره ايناسا له
وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا اي انسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاؤا
اباهم عشاء اخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا
من البكاء يبكون متباكين روي انه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا
ابانا انا ذهبنا نستبق نتسابق في العدو او الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال
والتناضل وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا
ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وجاؤا على قميصه بدم كذب اي ذي
كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اي
وجاؤا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اي كدر او طري وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث
فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف اي فوق قميصه او على الحال
من الدم ان جوز تقديمها على المجرور روي انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسال عن قميصه فاخذه
والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل
ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا اي سهلت لكم
وهونت لكم في اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل اي فامري صبر جميل اجمل
وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه الى الخلق والله المستعان على ما تصفون على احتمال
ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة
يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلاث من القائه فيه فارسلوا

واردهم

واردهم الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان مالك بن دعر الخزاعي فادلى دلوه فارسلها في الجب ليملاها
فتدلى بها يوسف فلما راه قال يا بشرى هذا غلام نادى البشارة بشرى لنفسه او لقومه كانه قال تعالي
فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرا غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة
وامال فتحة الراء حمزة والكسائي وقرا ورش بين اللفظين وقرئ يا بشري بالادغام وهو لغة وبشراي
بالسكون على قصد الوقف واسروه اي الوارد واصحابه من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم
دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان ياتيه كل يوم
بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه
فسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاع التجارة واشتقاقه من البضع
فانه ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم
واخيهم وشروه وباعوه وفي مرجع الضمير وجهان او اشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه او
نقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها
قيل كانوا عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وكانوا فيه في يوسف من الزاهدين الراغبين عنه والضمير
في وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط
للشيء متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه ابق
وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف يبينه
الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي
كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد امن
بيوسف عليه السلام ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة سنة لقوله تعالى
ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والاية من قبيل خطاب
الاولاد باحوال الاباء روي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلاث عشرة
سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه
به من جعل شراءه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة وقيل
ذهبا لامراته راعيل او زليخا اكرمي مثواه اجعل مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني
تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه وكان
عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت
استاجره وابو بكر حين استخلف عمر وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا محبته
في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من
تاويل الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه
وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتب الله تعالى واحكامه فينفذها

او نعم المقامات المنبهة على الحوادث الكائنة لتستعد لها وتشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل لسنيه
والله غالب على امره لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوته شيئا واراد
الله غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او لطائف صنعه
وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين والاربعين
وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس
وعلما يعني علم تاويل الاحاديث وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه سبحانه وتعالى انما آتاه
ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقانه في عنفوان امره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه
طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد وغلقت
الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق وقالت هيت لك اي اقبل وبادر
او تهيات والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كاين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرا
ابن كثير بالضم وفتح الهاء تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وقرا هشام
كذلك الا انه يهمز وقد روي عنه ضم التاء وقرئ هيت كجير وهئت كجئت من هاء يهيء اذا
تهيا وقرئ هيئت وعلى هذا فاللام من صلته قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان
ربي احسن مثواي سيدي قطفير احسن تعهدي اذ قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه
في اهله وقيل الضمير لله اي انه خالقي احسن منزلتي بان عطف على قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح
الظالمون المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة ظلم على الزاني والمزني باهله ولقد همت به وهم
بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي
اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل
تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا
الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان راى برهان ربه في قبح الزنا وسوء
مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم
ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل راى جبريل وقيل
تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل
عمل السفهاء كذلك مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة
السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وقرا ابن كثير
وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القرآن اذا كان في اوله الالف واللام اي الذين اخلصوا
دينهم لله واستبقا الباب اي تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان
يوسف عليه السلام فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته
من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها وصادفا زوجها

لدى الباب

لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرت
منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف واغراءه به انتقاما منه وما نافية او استفهامية
بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمؤاتاة وانما قال ذلك دفعا لما
عرضته له من السجن او العذاب الاليم ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد من اهلها قيل ابن
عمها وقيل ابن خالها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة فرعون
وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها لتكون الزم
عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل على انها قدت
قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه
قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته
والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها
ادت مؤداها والجمع بين ان وكان على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت
الي فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحسان سابق
وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين
للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فلما راى قميصه قد من دبر قال انه ان قولك ما جزاء
من اراد باهلك سوءا او ان السوء او ان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها
ولامثالها او لسائر النساء ان كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد
تاثيرا في النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة يوسف حذف منه
حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك
يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا
والتذكير للتغليب وقال نسوة اسم لجمع امراة وتانيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد
فعله وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال اي اشاعوا الحكاية في مصر او صفة نسوة
وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب امرات العزيز تراود
فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى فتي لقولهم
فتيان والفتوة شاذة قد شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها
حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هناه بالقطران
فاحرقه انا لنراها في ضلال مبين في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن
باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف
او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين
امراة فيهن الخمس واعتدت لهن متكئا ما يتكئن عليه من الوسائد وآتت كل واحدة

منهن سكيناً حتى يتكئن والسكاكين بأيديهن فإذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع
أيديهن على أيديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة أو يهاب يوسف مكرهن إذا خرج وحده على أربعين امرأة في أيديهن
الخناجر وقيل متكأ طعاماً أو مجلس طعام فإنهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفاً ولذلك نهي عنه قال
جميل ∴ فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله
وقيل المتكأ طعام يحز حزاً كأن القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكاً بحذف الهمزة ومتكاء بإشباع
الفتحة كمنتزاح ومتكاً وهو الأترج وما يقطع من متك الشيء إذا بتكه ومتكأ من تكئ يتكأ إذا اتكأ
وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبي صلى الله عليه وسلم
رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل أكبرن بمعنى
حضن من أكبرت المرأة إذا حاضت لأنها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر أو ليوسف على حذف اللام أي حضن
له من شدة الشبق كما قال المتنبي ∴ خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن لحت حاضت في الخدور العواتق ∴
وقطعن أيديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيهاً له من صفات العجز
وتعجباً من قدرته على خلق مثله وأصله حاشا كما قرأه أبو عمرو في الدرج فحذفت ألفه الأخيرة تخفيفاً
وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقياً
لك وقرئ حاش الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشاً لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل
حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف أي صار في ناحية الله مما يتوهم فيه ما
هذا بشراً لأن هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز في إعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال
وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى أي بعبد مشترى لئيم إن هذا إلا ملك كريم فإن
الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة أو لأن جماله فوق جمال
البشر لا يفوقه فيه إلا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه أي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي
لمتنني فيه بالافتتان به قبل أن تتصورنه حق تصوره ولو تصورتنه بما عاينتن لعذرتنني أو فهذا
هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعاً لمنزلة المشار إليه ولقد راودته عن نفسه فا
ستعصم فامتنع طلباً للعصمة أقرت لهن حين عرفت أنهن يعذرنها كي يعاونها على إلانة عريكته
ولئن لم يفعل ما آمره أي ما آمر به فحذف الجار أو أمري إياه بمعنى موجب أمري فيكون الضمير
ليوسف ليسجنن وليكوناً من الصاغرين الأذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغراً وصغاراً
والصغير من صغر بالضم صغراً وقرئ وليكوناً وهو يخالف خط المصحف لأن النون كتبت فيه
بالألف كنسفعاً على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرأ يعقوب
بالفتح على المصدر أحب إلي مما يدعونني إليه أي آثر عندي من مؤاتاتها زناً نظراً إلى العاقبة
وإن كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه وإسناد الدعوة إليهن جميعاً لأنهن خوفنه
عن مخالفتها وزين له مطاوعتها أو دعونه إلى أنفسهن وقيل إنما ابتلي بالسجن لقوله هذا وإنما كان

الأولى

الأولى أن يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر وإلا تصرف
عني وإن لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك إلي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة أصب
إليهن أمل إلى جانبهن أو إلى أنفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل إلى الهوى ومنه الصبا لأن النفوس
تستطيبها وتميل إليها وقرئ أصب من الصبابة وهي الشوق وأكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما
يدعونني إليه فإن الحكيم لا يفعل القبيح أو من الذين لا يعملون بما يعلمون فإنهم والجهال سواء فاستجاب
له ربه فأجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله وإلا تصرف فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة
حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان إنه هو السميع لدعاء
الملتجئين إليه العليم بأحوالهم ومصالحهم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ثم ظهر للعزيز وأهله
من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف ليسجننه كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء أيديهن
واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك لأنها خدعت زوجها
وحملته على سجنه زماناً حتى تبصر ما يكون منه أو يحسب الناس أنه المجرم فلبث في السجن سبع
سنين وقرئ بالتاء على أن بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم أو العزيز ومن يليه وعتى بلغة
هذيل ودخل معه السجن فتيان أي أدخل يوسف السجن واتفق أن أدخل حينئذ آخران
من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بأنهما يريدان أن يسماه قال أحدهما يعني الشرابي
إني أراني في المنام وهي حكاية حال ماضية أعصر خمراً أي عنباً وسماه بما يؤول إليه وقال الآخر
أي الخباز إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه تنهس منه نبئنا بتأويله إنا
نراك من المحسنين من الذين يحسنون تأويل الرؤيا أو من العالمين وإنما قالا ذلك لأنهما رأياه
في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم أو من المحسنين إلى أهل السجن فأحسن إلينا بتأويل
ما رأينا إن كنت تعرفه قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله أي بتأويل
ما قصصتما علي أو بتأويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فإنه يشبه تفسير المشكل كأنه
أراد أن يدعوهما إلى التوحيد ويرشدهما إلى الطريق القويم قبل أن يسعف إلى ما سألاه كما هو
طريقة الأنبياء والنازلين منازلهم من العلماء في الهداية والإرشاد فقدم ما يكون معجزة له من
الإخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير قبل أن يأتيكما ذلكما ذلك التأويل
مما علمني ربي بالإلهام والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجيم إني تركت ملة قوم لا
يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله أي علمني ذلك لأني تركت ملة
أولئك واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب أو كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة
وإظهار أنه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع إليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل
أن يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد
كفرهم بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الأنبياء أن نشرك بالله من شيء أي شيء

كان ذلك اى التوحيد من فضل الله علينا بالوحى وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم
وتنبيههم عليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه
ولا يتنبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الايات ولكن اكثرهم لا ينظرون
اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبى السجن اى يا ساكنيه او
يا صاحبى فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله : يا سارق الليلة اهل الدار : ءارباب متفرقون
شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب الذى
لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا
اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان اى الا اشياء باعتبار اسام
اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة
والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل الهة ثم اخذتم تعبدونها
باعتبار ما تطلقون عليها ان الحكم ما الحكم فى امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات
من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لامره امر على لسان انبيائه الا تعبدوا الا
اياه الذى دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا
من التدرج فى الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الالهة على طريق الخطابة
ثم برهن على ان ما يسمونها الهة ويعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات
واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذى لا يقتضى
العقل غيره ولا يرتضى العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون فى جهالاتهم
يا صاحبى السجن اما احدكما يعنى الشرابى فيسقى ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى
ما كان عليه واما الاخر يريد به الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه فقالا كذبنا فقال
قضى الامر الذى فيه تستفتيان اى قطع الامر الذى تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما
ولذلك وحده فانهما وان استفتيا فى امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال
للذى ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحى فهو الناجى
الا ان يؤول الظن باليقين اذكرنى عند ربك اذكر حالى عند الملك كى يخلصنى فانساه
الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابى ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير
ذكر اخبار ربه او انسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه السلام رحم الله اخى
يوسف لو لم يقل اذكرنى عند ربك لما لبث فى السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد
فى كشف الشدائد وان كانت محمودة فى الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء فلبث فى السجن
بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك انى ارى سبع
بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف لما دنا فرجه راى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر

يابس

يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد
حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبت عليها
وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميزات
التمييز بها ووصف السبع الثانى بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس
وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه يا ايها الملأ افتونى فى رؤياى عبروها
ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهى الانتقال من الصور الخيالية الى المعانى
النفسانية التى هى مثالها من العبور وهو المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام
للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوى باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون
معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث احلام وهى تخاليطها
جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة فى
وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة وما نحن بتأويل الاحلام
بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اى ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل
للمنامات الصادقة كانه مقدمة ثانية للعذر فى جهلهم بتأويله وقال الذى نجا منهما من صاحبى
السجن وهو الشرابى وادكر بعد امة وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اى مدة طويلة
وقرئ امة بكسر الهمزة وهى النعمة اى بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اى نسيان يقال امه يامه
امها اذا نسى والجملة اعتراض ومقول القول انا انبئكم بتأويله فارسلون اى الى من عنده
علمه او الى السجن يوسف ايها الصديق اى فارسل الى يوسف فجاءه فقال يا يوسف وانما وصفه
بالصديق وهو المبالغ فى الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه فى تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه
افتنا فى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات
اى فى رؤيا ذلك لعلى ارجع الى الناس اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد اذ قيل ان السجن
لم يكن فيه لعلهم يعلمون تأويلها او فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما
بالرجوع فربما اخترم دونه ولا بعلمهم قال تزرعون سبع سنين دابا اى على عادتكم المستمرة
وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اى تدابون دابا وتكون الجملة حالا وقرأ
حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب فى العمل وقيل تزرعون امر اخرجه فى صورة الخبر مبالغة
لقوله فما حصدتم فذروه فى سنبله لئلا ياكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة
الا قليلا مما تاكلون فى تلك السنين ثم ياتى من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما
قدمتم لهن اى ياكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به
الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم ياتى من بعد ذلك عام فيه يغاث
الناس يمطرون من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب

والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرا حمزة والكسائي بالتا على تغليب المستفتي وقرئ على
بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل منه اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا
او من اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها
بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف اليابسات بسنين مجدبة وابتلاع
العجاف السمان باكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي او بان انتهاء الجدب
بالخصب او بان السنة الالهية على ان يوسع على عباده ما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به بعدما
جاءه الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع الى ربك فاساله ما بال النسوة
اللاتي قطعن ايديهن انما تانى في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حالهن لتظهر براءة ساحته
ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان
يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لا
سرعت الاجابة وانما قال فاساله ما بال النسوة ولم يقل فاساله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على
البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة
بضم النون ان ربي بكيدهن عليم حين قلن لي اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والا
ستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه بريء مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن
قال الملك لهن ما شانكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن يوسف عن نفسه
قلن حاش لله تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء
من ذنب قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه
ليناخ قال :. فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما
او ظهر من حص شعره اذا استاصله بحيث ظهرت بشرة راسه وقرئ على البناء للمفعول انا راودته عن
نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم قاله يوسف لما عاد اليه الرسول
واخبره بكلامهن اي ذلك التثبت ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من
الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار
والابواب المغلقة وان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده او لا يهدي الخائنين بكيدهم
فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله
وما ابرئ نفسي اي لا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما
انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه لما قال ليعلم اني لم اخنه قال له
جبريل ولا حين هممت فقال ذلك ان النفس لامارة بالسوء من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات
فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في اثرها كل الاوقات الا ما رحم ربي الا وقت رحمة ربي او الا ما
رحمه الله من النفوس فعصمه من ذلك وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة

وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة
واوا ثم الادغام ان ربي غفور رحيم يغفر هم النفس ويرحم من شاء بالعصمة او يغفر للمستغفر
لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به
استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه اي فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد
والدها، قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي انه لما
خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك من خيره واعوذ
بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابائي وكان
الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياي منك
فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي
قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد له منها افرائيم وميشا
قال اجعلني على خزائن الارض ولني امرها والارض ارض مصر اني حفيظ لها ممن لا يستحقها
عليم بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لما راى انه يستعمله في امره لا محالة آثر ما تعم فوائده
وتجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا
علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على
يده وكذلك مكنا ليوسف في الارض ارض مصر يتبوأ منها حيث يشاء ينزل
من بلادها حيث يهوى وقرا ابن كثير نشاء بالنون نصيب برحمتنا من نشاء في الدنيا والاخرة
ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا واجلا ولاجر الاخرة خير للذين امنوا
وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه ودوامه وجاء اخوة يوسف روي انه
لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون
المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه الناس اليه فباعهما اولا بالدراهم والدنانير
حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم
حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الراي رايك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم
وكان قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين اليه
للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول
العهد ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله
التي راوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تاملهم في حلاه من الهيبة والاستعظام ولما
جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاؤوا لاجله والجهاز ما يعد
من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلده الى اخرى وما تزف به المرأة الى زوجها
وقرئ بجهازهم بالكسر قال ائتوني باخ لكم من ابيكم روي انهم لما دخلوا

عليه قال من أنتم وما أمركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو أب واحد وهو شيخ صديق نبي
من الأنبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كنا اثني عشر فذهب أخ لنا إلى البرية فهلك قال فكم
أنتم هاهنا قالوا عشرة قال فأين الحادي عشر قالوا عند أبينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم
قالوا لا يعرفنا هاهنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني بأخيكم من أبيكم
حتى أصدقكم فاقترعوا فأصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسألوا حملا زائدا
لأخ لهم من أبيهم فأعطاهم وشرط عليهم أن يأتوه به ليعلم صدقهم ألا ترون أني أوفي الكيل
أتمه وأنا خير المنزلين للضيف والمضيفين لهم وكان أحسن إنزالهم وضيافتهم فإن لم تأتوني
به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون أي لا تقربوني ولا تدخلوا دياري وهو إما نهي أو نفي
معطوف على الجزاء قالوا سنراود عنه أباه سنجتهد في طلبه من أبيه وإنا لفاعلون ذلك لا
نتوانى به وقال لفتيته لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على جمع
الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فإنه وكل بكل رحل واحدا يعبي فيه بضاعتهم
التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وأدما وإنما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من أن
يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من أن لا يكون عند أبيه ما يرجعون به لعلهم يعرفونها لعلهم
يعرفون حق ردها أو لكي يعرفوها إذا انقلبوا إلى أهلهم وفتحوا أوعيتهم لعلهم يرجعون
لعل معرفتهم ذلك تدعوهم إلى الرجوع فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا
الكيل حكم بمنعه بعد هذا إن لم نذهب ببنيامين فأرسل معنا أخانا نكتل نرفع
المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج إليه وقرأ حمزة والكسائي بالياء على إسناده إلى الأخ أي يكتل لنفسه
فينضم اكتياله إلى اكتيالنا وإنا له لحافظون عن أن يناله مكروه قال هل آمنكم عليه
إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وإنا له لحافظون فالله خير
حافظا فأتوكل عليه وأفوض أمري إليه وهو أرحم الراحمين فأرجو أن يرحمني بحفظه ولا يجمع
علي مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا في قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال
كقولهم لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت
إليهم وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة إلى الراء نقلها في بيع وقيل قالوا يا أبانا ما نبغي ماذا
نطلب هل من مزيد على ذلك أكرمنا وأحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا أو لا نطلب وراء ذلك
إحسانا أو لا نبغي في القول ولا نزيد فيما حكينا لك من إحسانه وقرئ ما تبغي على الخطاب أي أي شيء
تطلب وراء هذا من الإحسان أو من الدليل على صدقنا هذه بضاعتنا ردت إلينا استئناف موضح
لقوله ما نبغي ونمير أهلنا معطوف على محذوف أي ردت إلينا فنستظهر بها ونمير أهلنا بالرجوع
إلى الملك ونحفظ أخانا عن المخاوف في ذهابنا وإيابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب
أخينا هذا إذا كانت ما استفهامية فأما إذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل أن تكون جملا معطوفة على

ما ينبغي

ما ينبغي أي لا نبغي فيما نقول ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ذلك كيل يسير أي مكيل قليل لا يكفينا
استقلوا ما كيل لهم فأرادوا أن يضاعفوه بالرجوع إلى الملك ويزدادوا إليه ما يكال لأخيهم ويجوز
أن تكون الإشارة إلى كيل بعير أي ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل إنه من كلام
يعقوب ومعناه أن حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد قال لن أرسله معكم إذ رأيت منكم
ما رأيت حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما أتوثق به من عند الله أي عهدا مؤكدا بذكر
الله لتأتنني به جواب القسم إذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم إلا أن تغلبوا فلا
تطيقوا ذلك أو إلا أن تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال والتقدير لتأتنني به على كل
حال إلا حال الإحاطة بكم أو من أعم العلل على أن قوله لتأتنني به في تأويل النفي أي لا تمتنعون من
الإتيان به إلا للإحاطة بكم كقولهم أقسمت بالله إلا فعلت أي ما أطلب إلا فعلك فلما آتوه موثقهم
عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق وإتيانه وكيل رقيب مطلع وقال يا بني لا تدخلوا
من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة لأنهم كانوا ذوي جمال وأبهة مشتهرين في مصر بالقربة
والكرامة عند الملك فخاف عليهم أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الأولى
لأنهم كانوا مجهولين حينئذ وكان الداعي إليها خوفه على بنيامين وللنفس آثار منها العين والذي يدل
عليه قوله عليه الصلاة والسلام في عوذته اللهم إني أعوذ بكلمات الله التامة من كل عين لامة ومن كل شيطان
وهامة وما أغني عنكم من الله من شيء مما قضى عليكم بما أشرت به عليكم فإن الحذر لا يمنع
القدر إن الحكم إلا لله يصيبكم لا محالة إن قضى عليكم سوءا ولا ينفعكم ذلك عليه توكلت
وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كأن
الواو للعطف والفاء لإفادة التسبب فإن فعل الأنبياء سبب لأن يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث
أمرهم أبوهم من أبواب متفرقة في البلد ما كان يغني عنهم رأي يعقوب واتباعهم له من الله
من شيء مما قضاه عليهم كما قال يعقوب فسرقوا وأخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعف
المصيبة على يعقوب إلا حاجة في نفس يعقوب استثناء منقطع أي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته
عليهم وحرازة من أن يعانوا قضاها أظهرها ووصى بها وإنه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج
ولذلك قال وما أغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره ولكن أكثر الناس لا يعلمون سر
القدر وأنه لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه ضم إليه بنيامين على الطعام
أو في المنزل روي أنه أضافهم فأجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخي يوسف
حيا لجلس معي فأجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون
معي فبات عنده وقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك
يعقوب ولا راحيل قال إني أنا أخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا
يعملون في حقنا فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة في رحل أخيه قيل كانت مشربة

جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل
على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير انكم لسارقون
لعله لم يقل بامر يوسف او كان تعبية السقاية والنداء عليها برضا بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون
يوسف من ابيه او انكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد فقيل
لاصحابها كقوله عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصله فعل كسقف فعل به ما فعل
ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون اي شيء
ضاع عنكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته
فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من
الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل
على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء
مختصة باسم الله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم
على براءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة
التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول الزرع وطعام احد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق
او السرق او الصواع على حذف المضاف ان كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد
في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب
عليه السلام وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب
لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر كانه قيل جزاؤه من وجد
في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدأ باوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم
ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها اي السقاية او الصواع لانه
يذكر ويؤنث من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا
ليوسف بان علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك ملك مصر لان
دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان الكيد الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك
الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اي لكن اخذه بمشيئة الله واذنه
نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل ذي علم عليم ارفع درجة منه
واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد
كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله سبحانه وتعالى ومعناه الذي له العلم البالغ
لغة ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق
اخ له من قبل يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابراهيم وكانت تحضن يوسف وتحبه
فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها

فوجدت

فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم وقيل كان لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل
كان في البيت عناق او دجاجة فاعطاها السائل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اكنها ولم
يظهرها لهم والضمير للاجابة والمقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير وتفسيرها
قوله قال انتم شر مكانا فانه بدل من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا اي منزلة في السرقة
لسرقتكم اخاكم او في سوء الصنيع مما كنتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة
لا يكون الا ضمير الشأن والله اعلم بما تصفون وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها
العزيز ان له ابا شيخا كبيرا اي في السن او القدر ذكروا له حاله استعطافا له عليه فخذ احدنا
مكانه بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستأنس به انا نراك من المحسنين الينا فاتمم
احسانك او من المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا
عنده فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه انا اذا لظالمون في مذهبكم
هذا وان مراده ان الله اذن في اخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت
غيره كنت ظالما فلما استيأسوا منه يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة
خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه
انجية كندي واندية قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في الراي وهو شمعون وقيل يهوذا الم
تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وانه جعل حلفهم بالله موثقا
منه لانه باذن منه وتأكيد من جهته ومن قبل ما فرطتم في يوسف قصرتم في شأنه وما مزيدة
ويجوز ان تكون مصدرية في موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل بين العاطف
والمعطوف بالظرف على الاسم ان وخبره في يوسف ومن قبل والرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه
نظر لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون موصولة اي ما فرطتموه
بمعنى ما قدمتموه في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى
يأذن لي ابي في الرجوع او يحكم الله لي او يقضي لي بالخروج منها او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم
لتخليصه روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها
الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب
اذا غضب احدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبزرا من بزر يعقوب
وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك
سرق على ما شاهدنا من ظاهر الامر وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا
بان رأينا ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين فلا ندري انه سرق
او سرق ودس الصواع في رحله او ما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك
تصاب به كما اصبت بيوسف واسأل القرية التي كنا فيها يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم

المنادي فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير التي توجهنا فيهم
وكنا معهم وانا لصادقون تاكيد في محل القسم قال بل سولت اى فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال
لهم اخوهم قال بل سولت اى زينت وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه فقدرتموه والا فما ادرى
الملك ان السارق يؤخذ بسرقته فصبر جميل اى فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان ياتيني
بهم جميعا بيوسف وبنيامين واخيهما الذي توقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم
في تدبيرها وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما صادف منهم وقال يا اسفا على يوسف اى يا
اسفا تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تاسف
على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزءه كان قاعدة المصيبات وكان غضا اخذا بمجامع
قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون
عند المصيبة الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب عليه السلام حين اصابه ما اصاب لم يسترجع
وقال يا اسفا وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة محقت سوادها وقيل
ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التاسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك
لا تدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده
ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون
فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله تعالى
وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا
اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف اى لا تفتؤ
ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما في قوله . فقلت يمين الله ابرح قاعدا . لانه لا يلتبس
بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي حتى تكون حرضا مريضا
مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذا لا يؤنث ولا
يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقيل قرئ به وبضمتين كجنب او تكون من الهالكين من
الميتين قال انما اشكو بثي وحزني هو الذي لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر الى الله
لا الى احد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي واعلم من الله من صنعه ورحمته وانه لا يخيب
داعيه ولا يدع الملتجي اليه او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حياة يوسف وقيل رأى
ملك الموت في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له
اخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما
والتحسس تطلب الاحساس ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من
روح الله اى من رحمته التي يحيى بها العباد انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته في شيء من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها

العزيز

العزيز بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة رديئة
او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل
صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل فاتمم لنا الكيل وتصدق
علينا برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف في حرمة الصدقة على الانبياء
او تختص بنبينا صلى الله عليه وسلم ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله
عليه السلام في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب
من الله قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اى هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده
عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم
عليه او عاقبته وانما قال ذلك تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم
لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد
يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين
قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان ودخول اللام عليه وقرأ ابن كثير
على الايجاب قيل عرفوه برؤيته وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن
راسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها قال انا يوسف وهذا اخي
من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه وتفخيما لشانه وادخالا له في قوله قد من الله علينا اى بالسلامة
والكرامة انه من يتق اى يتق الله ويصبر على البليات او على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا
يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر قالوا تالله
لقد آثرك الله علينا بحسن الصورة وكمال السيرة وان كنا لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا مذنبين
بما فعلنا معك قال لا تثريب عليكم لا تأنيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش
للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب او بالمقدر
في عليكم الواقع خبرا لا تثريب والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله
لكم لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها وهو ارحم الراحمين فانه يغفر الصغائر والكبائر
ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي الى
الطعام ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون
سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم
اخوتي واني من حفدة ابراهيم اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث
الذي كان في التعويذ فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا اى يرجع بصيرا اى ذا بصر وأتوني انتم
وابي باهلكم اجمعين بنسائكم وذراريكم واموالكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها
قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل به

اليه يهوذا من ثمانين فرسخا لولا أن تفندون تنسبوني الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا
يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني او لقلت انه قريب قالوا اي
الحاضرون تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف والاكثار
ذكره والتوقع للقائه فلما ان جاء البشير يهوذا روي انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فافرحه
بحمل هذا اليه ألقاه على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد
بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف
قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسأل له
المغفرة قال سوف أستغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم اخره الى السحر او الى صلاة الليل او الى
ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط
المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين
عشرين سنة حتى نزل جبريل وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو
ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه
اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه
مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين
رجلا سوى الذرية والهرمى آوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم
منزلة الاب في قوله واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق او لان يعقوب تزوجها بعد امه والرابة تدعى
اما وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من القحط واصناف المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف
بالامن والدخول الاول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا
تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجري مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله
والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا تأويل
رؤياي من قبل التي رأيتها ايام الصبى قد جعلها ربي حقا صدقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن
ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي
واهل البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة
اذا نخسها وحملها على الجري ان ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه
مشيته ويتسهل دونها انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شيء في وقته وعلى
وجه يقتضيه الحكمة روي ان يوسف طاف بابيه في خزائنه فلما ادخله خزانة القراطيس قال يا بني ما اعقك
عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل قال اما تسأله قال انت ابسط مني
اليه فسأله فقال جبريل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتني رب
قد آتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني الأحاديث الكتب او الرؤيا ومن

من تأويل

للتبعيض

للتبعيض لانه لم يؤت كل التأويل فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادى او منادى
برأسه أنت وليي ناصري ومتولي امري في الدنيا والآخرة تتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلما اقبضني
والحقني بالصالحين من آبائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب اقام معه اربعا
وعشرين سنة ثم توفي واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمة ثم عاد وعاش
بعده ثلاثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم
اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر
عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى عليه الصلاة والسلام الى مدفن آبائه
وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة
ايوب ذلك اشارة الى ما ذكر من نبأ يوسف والخطاب فيه للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ من
انباء الغيب نوحيه اليك خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون
كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما
هموا به من ان يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى
على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه
القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس ولو حرصت على ايمانهم
وبالغت في اظهار الآيات عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسألهم عليه على الانباء
من اجر جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وكأين من آية
وكم من آية والمعنى وكأي عدد شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده
في السموات والارض يمرون عليها على الآيات ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون
فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها
وبالنصب على ويطئون الارض وقرئ والارض يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون آثار الامم
الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة
غيره او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبني اليه تعالى او القول بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب
ونحو ذلك وقيل الآية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افأمنوا ان تأتيهم غاشية
من عذاب الله عقوبة تغشاهم وتشملهم او تأتيهم الساعة بغتة فجأة من غير سابقة
علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد
والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ادعوا الى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان
وحجة واضحة غير عمياء انا تأكيد للمستتر في ادعوا او على بصيرة لانه حال منه او مبتدأ خبره
على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين وانزهه تنزيها من
الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه

نفي استنباء النساء نوحي إليهم كما أوحي إليك ويميزون بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحي في كل القرآن ووافقه
حمزة والكسائي في سورة الأنبياء من أهل القرى لأن أهلها أعلم وأحلم من أهل البدو أفلم يسيروا في
الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك
أو من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة ولدار الحال أو الساعة أو الحياة
الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي أفلا تعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا أنها خير وقرأ
نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي أي قل لهم أفلا تعقلون حتى إذا
استيأس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام أي لا يغررهم تمادي أيامهم فإن من قبلهم أمهلوا
حتى أيس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا أو عن إيمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من
غير وازع وظنوا أنهم قد كذبوا أي كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون أو كذبهم
القوم بوعد الإيمان وقيل الضمير للمرسل إليهم أي وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم بالدعوة
والوعيد وقيل الأول للمرسل إليهم والثاني للرسل أي وظنوا أن الرسل قد كذبوا وأخلفوا فيما وعد
لهم من النصر إن صح فقد أراد بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة هذا وإن المراد به
المبالغة في التراخي والإمهال على سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيين بالتشديد أي وظن الرسل أن القوم قد
كذبوهم فيما أوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل أي وظنوا أنهم قد كذبوا فيما حدثوا
به عند قومهم لما تراخى عليهم ولم يروا له أثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنين
وإنما لم يعينهم للدلالة على أنهم الذين يستأهلون أن يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ
ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد بأسنا عن القوم
المجرمين إذا نزل بهم وفيه بيان للمشيئين لقد كان في قصصهم في قصص الأنبياء وأممهم
أو في قصة يوسف وإخوته عبرة لأولي الألباب لذوي العقول المبرأة عن شوائب الإلف
والركون إلى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين
يديه من الكتب الإلهية وتفصيل كل شيء يحتاج إليه في الدين إذ ما من أمر ديني إلا وله سند من
القرآن بوسط أو غير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون
يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علموا أرقاءكم سورة يوسف فإنه أيما مسلم تلاها وعلمها
أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلما

الرعد

مدنية وقيل مكية الا قوله الذين كفروا الاية
وآيها ثلاث واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

المر

المر قيل معناه أنا الله أعلم وأرى تلك آيات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك إشارة إلى آياتها
أي تلك الآيات آيات السورة الكاملة أو القرآن والذي أنزل إليك من ربك هو القرآن كله ومحله الجر
بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص أو إحدى الصفتين على الأخرى أو الرفع بالابتداء وخبره الحق
والجملة كالحجة على الجملة الأولى وتعريف الخبر وإن دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو أعم من المنزل
صريحا أو ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن أكثر الناس لا يؤمنون
لإخلالهم بالنظر والتأمل فيه الله الذي رفع السماوات مبتدأ وخبر ويجوز أن يكون الموصول صفة
والخبر يدبر الأمر بغير عمد أساطين جمع عماد كإهاب وأهب أو عمود كأديم وأدم وقرئ عمد كرسل
ترونها صفة لعمد أو استئناف للاستشهاد برؤيتهم السماوات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم
فإن ارتفاعها على سائر الأجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد أن
يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بإرادته وعلى هذا المنهاج سائر
ما ذكر من الآيات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما أراد منهما
كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع في حدوث الكائنات وبقائها كل يجري لأجل مسمى
لمدة معينة يتم فيها أدواره أو لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي إذا الشمس كورت وإذا النجوم
انكدرت يدبر الأمر أمر ملكوته من الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة وغير ذلك يفصل الآيات
ينزلها ويبينها مفصلة أو يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي
تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا أن من قدر على خلق هذه الأشياء وتدبيرها قدر على الإعادة
والجزاء وهو الذي مد الأرض بسطها طولا وعرضا لتثبت عليها الأقدام ويتقلب عليها الحيوان وجعل
فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء إذا ثبت جمع راسية والتاء للتأنيث على أنها صفة أجبل أو للمبالغة
وأنهارا ضمها إلى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث إن الجبال أسباب لتولدها ومن كل الثمرات
متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين أي وجعل فيها من جميع أنواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو
والحامض والأسود والأبيض والصغير والكبير يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما
كان مضيئا وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر يغشي بالتشديد إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون
فيها فإن تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر أمرها وهيأ أسبابها وفي
الأرض قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها تصلح
للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لأفعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك
لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الأرضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الأسباب السماوية
من حيث إنها متضامة متشاركة في النسب والأوضاع وجنات من أعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها
أنواع الأشجار والزروع وتوحيد الزرع لأنه مصدر في أصله وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وحفص وزرع
ونخيل بالرفع عطفا على وجنات صنوان نخلات أصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الأصول

وقرأ حفص بالضم وهو لغة تميم كقنوان في جمع قنو تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل
في الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك أيضا مما يدل على الصانع الحكيم فإن اختلافها مع اتحاد الأصول
والأسباب لا يكون إلا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر
وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الأمر إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون
عقولهم بالتفكر وإن تعجب يا محمد من إنكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بأن يتعجب منه
فإن من قدر على إنشاء ما قص عليك كانت الإعادة أيسر شيء عليه والآيات المعدودة كما هي دالة على
وجود المبدي فهي دالة على إمكان الإعادة من حيث إنها تدل على كمال قدرته وقبول المواد لأنواع تصرفاته
أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد بدل من قولهم أو مفعول له والعامل في إذا محذوف دل عليه
أئنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم لأنهم كفروا بقدرته على البعث وأولئك الأغلال
في أعناقهم مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم أو يغلون يوم القيامة وأولئك أصحاب النار هم فيها
خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة
بالعقوبة قبل العافية وذلك لأنهم استعجلوا ما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم
المثلات عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء
وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لأنها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وأمثلت الرجل من صاحبه
إذا اقتصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات بإتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الإتباع والمثلات
على أنها جمع مثلة كركبة وركبات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم مع ظلمهم أنفسهم ومحله
النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فإن التائب ليس على ظلم
ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر أو أول المغفرة بالستر والإمهال وإن ربك
لشديد العقاب للكفار أو لمن شاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ أحدا العيش
ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه لعدم
اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما أوتي موسى وعيسى عليهما السلام إنما أنت منذر مرسل
للإنذار كغيرك من الرسل وما عليك إلا الإتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك
ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم إلى الحق ويدعوهم
إلى الصواب أو قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي إلا من يشاء هدايته بما ينزل من الآيات ثم
أردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على أنه قادر على إنزال ما اقترحوه
وإنما لم ينزل لعلمه بأن اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وأنه قادر على هدايتهم وإنما لم يهدهم لسبق
قضائه عليهم بالكفر فقال الله يعلم ما تحمل كل أنثى أي حملها أو ما تحمله على أي حال هو من الأحوال
الحاضرة والمترقبة وما تغيض الأرحام وما تزداد وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد وأقصى مدة
الحمل أربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند أبي حنيفة روي أن الضحاك ولد لسنتين وهرم

بن حيان لأربع سنين وأعلى عدده لا حد له وقيل نهاية ما عرف أربعة وإليه ذهب أبو حنيفة وقال الشافعي
أخبرني شيخ باليمن أن امرأته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده
وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا فإن جعلتهما لازمين تعين ما
أن تكون مصدرية وإسنادهما إلى الأرحام على المجاز فإنهما لله أو لما فيها وكل شيء عنده بمقدار
بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله إنا كل شيء خلقناه بقدر فإنه تعالى خص كل حادث بوقت وحال
معينين وهيأ له أسبابا مسوقة إليه تقتضي ذلك عالم الغيب الغائب عن الحس والشهادة الحاضر له
الكبير العظيم الشأن الذي لا يخرج عن علمه شيء المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته أو الذي
كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من أسر القول في نفسه ومن جهر به لغيره
ومن هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبأ بالليل وسارب بالنهار بارز يراه كل أحد من سرب
سروبا إذا برز وهو عطف على من أو مستخف على أن من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب
يصطحبان كأنه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة بما قبلها مقررة
لكمال علمه وشموله له لمن أسر أو جهر أو استخفى أو سرب معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع
معقبة من عقبه مبالغة عقبه إذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضا أو لأنهم يعقبون
أقواله وأفعاله فيكتبونها أو اعتقب فأدغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة أو لأن المراد بالمعقبات
جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب أو معقبة على تعويض الياء من حذف إحدى القافين من بين
يديه ومن خلفه من جوانبه أو من الأعمال ما قدم وأخر يحفظونه من أمر الله من بأسه
متى أذنب بالاستمهال أو الاستغفار له أو يحفظونه من المضار أو يراقبون أحواله من أجل أمر الله وقد
قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من أمر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة
حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالى إن الله لا يغير ما بقوم من العافية
والنعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من الأحوال الجميلة بالأحوال القبيحة وإذا أراد الله بقوم
سوءا فلا مرد له فلا رد له فالعامل في إذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال
ممن يلي أمرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على أن خلاف مراد الله محال هو الذي يريكم
البرق خوفا من أذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف أي إرادة
خوف وطمع أو التأويل بالإخافة والإطماع أو الحال من البرق أو المخاطبين على إضمار ذو أو إطلاق
المصدر بمعنى المفعول أو الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه
وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة وإنما وصف به السحاب
فإنه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين به فيضجون
سبحان الله والحمد لله أو يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة
على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد

فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والملائكة من خيفته من خوف
الله واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله
حيث يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس
ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة او للحال فانه
روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين قتله
فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية
وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال المماحلة المكايدة
لاعدائه من محل بفلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعله اصله المحل
بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده
انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في
القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذي
يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجابه ويؤيده ما بعده
والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تأويل دعوة المدعو
الحق وقيل الحق هو الله تعالى وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الاية في عامر واربد ان
هلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله واجابة لدعوة رسوله او دلالة على انه على الحق وان كانت
عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول
عليهم او بيان ضلالهم وفساد رأيهم والذين يدعون اي والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف
الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه لا يستجيبون
لهم بشيء من الطلبات الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء
ليبلغ فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته
والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغترف
الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا
في ضلال في ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها يحتمل ان
يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء
والكفرة كرها حالة الشدة والضرورة وظلالهم بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم
شاؤا او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقلص وانتصاب طوعا وكرها على الحال بالغدو
والآصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الظلال انما
تعظم وتكثر فيهما والغدو جمع غداة كقنى وقناة والآصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب

وقيل

وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قد قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل قل من رب السموات والارض
خالقهما ومتولي امرهما قل الله اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن المراء
فيه او لقنهم الجواب به قل افاتخذتم من دونه ثم الزمهم بذلك لان اتخاذهم منكر بعيد عن
مقتضى العقل اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا
عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم
في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوي الاعمى والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة
والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم ام هل تستوي
الظلمات والنور الشرك والتوحيد وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالياء ام جعلوا لله شركاء
بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار فتشابه
الخلق عليهم خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه
عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء
عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء
لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل
على قوله وهو الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب على كل شيء انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء
او من السماء نفسها فان المبادئ منها فسالت اودية انهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل فيه الماء
بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لان المطر ياتي على تناوب بين البقاع بقدرها
اي بمقدارها الذي علم الله انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا
رفعه والزبد وضر الغليان رابيا عاليا ومما توقدون عليه في النار يعم الفلزات كالذهب
والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه ابتغاء حلية طلب حلي او متاع
كالاواني وآلات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها زبد مثله اي ومما توقدون عليه
زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء او للتبعيض وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء على ان
الضمير للناس واضماره للعلم به كذلك يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل
فانه مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة
فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق
الارض الى العيون والقنى والآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الامتعة المختلفة
ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله فاما
الزبد فيذهب جفاء يجفأ به اي يرمي به السيل والفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا
والمعنى واحد واما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة الفلز فيمكث في الارض ينتفع به اهلها
كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات للذين استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا

لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه جعل
ضرب المثل لشان الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهي المثوبة او الجنة والذين لم يستجيبوا
مبتدا خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به وهو على الاول كلام مبتدا لبيان مآل
غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه
شيء ومأواهم مرجعهم جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف افمن يعلم انما
انزل اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمي القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة
للانكار ان تقع شبهة في تشابههما بعد ما ضرب من المثل انما يتذكر اولو الالباب ذوو العقول المبرأة
عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته
حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله
وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين
والايمان بجميع الانبياء ويندرج في ذلك مراعاة جميع الحقوق الناس ويخشون ربهم وعيده عموما
ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا على ما تكرهه النفس
ويخالفه الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء وسمعة ونحوهما واقاموا الصلاة المفروضة وانفقوا
مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به
ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة
فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي الجنة والجملة خبر المو
صولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولي الالباب فاستئناف بذكر ما استوجبوا بتلك
الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدا خبره يدخلونها والعدن الاقامة اي جنات يقيمون
فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع في يدخلون
وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغوا
مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشأنهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة او ان الموصوفين
بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم وفي
التقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب لا تنفع والملائكة يدخلون عليهم من كل
باب من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة
بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية او
البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى
الفاء وبغيره والذين ينقضون عهد الله يعني مقابلي الاولين من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه
به من الاقرار والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض بالظلم وتهييج
الفتن اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة

عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا اي اهل مكة بالحياة الدنيا
بما بسط لهم في الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة في جنب الآخرة الا متاع الا متعة لا تدوم كعجالة
الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة
واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية
من ربه قل ان الله يضل من يشاء باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ويهدي اليه من اناب
اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كانه قال قل لهم ما اعظم
عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل آية ويهدي
اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من الآيات الذين آمنوا بدل من من او خبر مبتدا محذوف
وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من
خشيته او بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعني القرآن الذي هو اقوى المعجزات
الا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن اليه الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدا خبره طوبى
لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه
الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب بالنصب كذلك مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك
ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم تقدمتها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليهم
لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب الذي اوحيناه اليك وهم يكفرون
بالرحمن وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته
فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو
مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن
قالوا وما الرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو لا مستحق
للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم ولو ان
قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن او المبالغة في عناد
الكفرة وتصميمهم اي ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض تصدعت
من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى فتسمع
فتقرأه او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لانه الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير
والانذار او لما آمنوا به كقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان قريشا قالوا
يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقراءتك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين
وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من
آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو
قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر

فعتيق بل لله الأمر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو إضراب عما تضمنه لو من معنى النفي أي بل الله
قادر على الإتيان بما اقترحوه من الآيات إلا أن إرادته لم تتعلق بذلك لعلمه بأنه لا تلين له شكيمتهم
ويؤيد ذلك قوله أفلم ييأس الذين آمنوا عن إيمانهم مع ما رأوا من أحوالهم وذهب أكثرهم إلى أن معناه
أفلم يعلم لما روي أن عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤوا أفلم يتبين وهو تفسيره
وإنما استعمل اليأس بمعنى العلم لأنه مسبب عن العلم فإن الميؤوس عنه لا يكون إلا معلوما
ولذلك علقه بقوله أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فإن معناه نفي هدى بعض الناس
لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الأول متعلق بمحذوف تقديره أفلم ييأس الذين
آمنوا عن إيمانهم علما منهم أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا أو بآمنوا ولا يزال الذين كفروا
تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الأعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقلهم أو تحل قريبا من
دارهم فيفزعون منها ويتطاير إليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة فإنهم لا يزالون مصابين بما
صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه عليه الصلاة والسلام كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حولهم
وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز أن يكون تحل خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم فإنه حل بجيشه
قريبا من دارهم عام الحديبية حتى يأتي وعد الله الموت أو القيامة أو فتح مكة إن الله لا يخلف الميعاد
لامتناع الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا تسلية لرسول
الله ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والإملاء أن يترك ملاوة من الزمان في دعة وأمن
ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أي عقابي إياهم أفمن هو قائم على كل نفس رقيب
عليها بما كسبت من خير أو شر لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم
والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استئناف أو عطف على كسبت إن
جعلت ما مصدرية أو لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه
على أنه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيه على أن هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى
صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة أم تنبئونه بل أتنبئونه
وقرئ تنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم في الأرض شركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم أو صفات
لهم يستحقونها لأجلها لأنه لا يعلم وهو العالم بكل شيء أم بظاهر من القول أم تسمونهم شركاء
بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على أسلوب
عجيب ينادي على نفسه بالإعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا أباطيل ثم خالوها
أو كيدهم للإسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وصدوا
بالفتح أي وصدوا الناس عن الإيمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله يخذله فما له من
هاد يوفقه للهدى لهم عذاب في الحياة الدنيا بالقتل والأسر وسائر ما يصيبهم من المصائب
ولعذاب الآخرة أشق لشدته ودوامه وما لهم من الله من عذابه أو من رحمته من واق

حافظ

حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه أي
فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري من تحتها الأنهار على طريقة قولك صفة زيد أسمر أو على
حذف موصوف أي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار أو على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من
العائد المحذوف من الصلة أكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها أي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ
في الدنيا بالشمس تلك أي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى أمرهم وعقبى الكافرين
النار لا غير وفي ترتيب النظمين إطماع للمتقين وإقناط للكافرين والذين آتيناهم الكتاب يفرحون
بما أنزل إليك يعني المسلمين من أهل الكتاب كابن سلام وأصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون
رجلا أربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة أو عامتهم فإنهم كانوا يفرحون بما يوافق
كتبهم ومن الأحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الأشرف
وأصحابه والسيد والعاقب وأشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرائعهم أو ما يوافق ما حرفوه
منها قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به جواب للمنكرين أي قل لهم إني أمرت فيما أنزل إلي
بأن أعبد الله وأوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم إلى إنكاره وأما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم
فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الإلهية في جزئيات الأحكام وقرئ ولا أشرك بالرفع على الاستئناف
إليه أدعو لا إلى غيره وإليه مآب وإليه مرجعي للجزاء لا إلى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين
الأنبياء وأما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالأعصار والأمم فلا معنى لإنكاركم المخالفة فيه
وكذلك ومثل ذلك الإنزال المشتمل على أصول الديانات المجمع عليها أنزلناه حكما يحكم في
القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه
على الحال ولئن اتبعت أهواءهم التي يدعونك إليها كتقرير دينهم والصلاة إلى قبلتهم بعد ما حولت
عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع
العقاب عنك وهو حسم لأطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم ولقد أرسلنا رسلا
من قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية نساء وأولادا كما هي لك وما كان لرسول
وما صح له ولم يكن في وسعه أن يأتي بآية تقترح عليه وحكم يلتمس منه إلا بإذن الله فإنه المليء
بذلك لكل أجل كتاب لكل وقت وأمد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم
يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت
الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا أو يثبت ما رآه
وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وهو اللوح
المحفوظ إذ ما من كائن إلا وهو مكتوب فيه وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك
وكيفما دارت الحال أريناك بعض ما وعدناهم أو توفيناك قبله فإنما عليك البلاغ لا غير
وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك فلا تحتفل بإعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فإنا فاعلون له

وعنده أم الكتاب [illegible]

وهو طليعه اولم يروا انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها
والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب
الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك
كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم
عما قليل في الاخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم
والمؤمنين بهم فلله المكر جميعا اذ لا يؤبه بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود منه
دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار
من الحزبين حيثما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام
تدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع
وابو عمرو الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله وسيعلم من اعلمه
اذا اخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا
بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم
الكتاب علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز او علم التورية وهو ابن سلام واضرابه او علم
اللوح المحفوظ وهو الله اي كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا
فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف
فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين على الثاني وقرئ ومن عنده
علم على الحرف والبناء للمفعول وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات
بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله

سورة ابراهيم عليه السلام مكية وآيها اثنتان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب اي هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه من
الظلمات من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من
الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد
بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استئناف على انه جواب لمن يسأل عنه واضافة الصراط الى
الله اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله
الله الذي له ما في السموات وما في الارض على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او الله خبر مبتدأ
محذوف والذي صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود
على الحق وويل للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات

الى النور

الى النور والويل نقيض الوال وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه فعل لكنه رفع لافادة
الثبات الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة يختارونها عليها فان المختار للشيء يطلب من نفسه
ان يكون احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون
من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية
ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير
والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه او على انه مبتدأ خبره اولئك
في ضلال بعيد اي ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف فعله للمبالغة
او للامر الذي به الضلال فوصف به لملابسته وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الا بلغة قومه
الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه
لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم
بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز
لكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها
وما في اتعاب القرائح وكد النفوس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش
ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم
وان الله تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك ليس
بصحيح يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتورية والانجيل ونحوهما لم تنزل لتبين للعرب
فيضل الله من يشاء فيخذله عن الايمان ويهدي من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب
على مشيئته الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني
اليد والعصى وسائر المعجزات ان اخرج قومك من الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج
لان في الارسال معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح
ان توصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله بوقائعه التي وقعت على الامم الدارجة وايام
العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ان في ذلك لايات لكل صبار شكور يصبر على بلائه
ويشكر على نعمائه فانه اذا سمع بما انزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه
لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنه بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر
عنوان المؤمن واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون
اي اذكروا نعمته عليكم وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة
للنعمة وذلك اذا اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان تكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال
يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من ال فرعون
او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح

والفعل ثم معطوف على التذبيح ههنا وهو ما جنس العذاب واستحياؤهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة
وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز
ان تكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تأذن ربكم ايضا من كلام موسى وتأذن بمعنى
أذن كتوعد وأوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بني اسرائيل
ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل لأزيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ما انعمت
عليكم ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح
بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول مقدر او مفعول تأذن على انه جار مجرى قال لانه ضرب منه
وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا من الثقلين فان الله لغني عن شكركم حميد
مستحق للحمد في ذاته محمود يحمده الملائكة وتنطق بنعمته ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم
حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم
قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى او كلام مبتدأ من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله
جملة وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم
عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في
افواههم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها
عليها تعجبا منه او استهزاء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه او اشاروا
بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او ردوها في افواه الانبياء
يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي اي ردوا ايادي الانبياء
التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم
ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا
اليه من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة او ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا
تطمئن الى الشيء قالت رسلهم افي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك
فيه لا في الشك اي انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشاروا
الى ذلك بقولهم فاطر السموات والارض وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى
الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول له
مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم
وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة
حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب
عن المعاصي ونحو ذلك فتتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله وجعله
آخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان

يبعث

يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا بهذه الدعوى
فأتونا بسلطان مبين بين على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة كأنهم لم
يعتبروا ما جاؤوا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن
الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب
لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات
على بعض بمشيئة الله تعالى وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله اي ليس الينا الاتيان
بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتى نأتي بما اقترحتموه وانما هو امر يتعلق بمشيئة الله فيخص كل نبي
بنوع من الآيات وعلى الله فليتوكل المؤمنون فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم
عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله وما لنا الا
نتوكل على الله اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان الامور
كلها بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب قسم
محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون
فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم
من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم الى
ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ومن
آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فأوحى اليهم ربهم اي الى رسلهم لنهلكن الظالمين على اضمار
القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الارض من بعدهم اي ارضهم وديارهم
كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء
اعتبارا لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين
لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة او قيامي عليه وحفظي لاعماله
وقيل المقام مقحم وخاف وعيد اي وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار واستفتحوا سألوا الله
الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعاديهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو
معطوف على فأوحى والضمير للانبياء عليهم السلام وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سألوه ان ينصر المحق
ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على ليهلكن وخاب كل جبار عنيد اي ففتح لهم فافلح المؤمنون
وخاب كل جبار عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من
القبيلين كان اوقع من ورائه جهنم اي من بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها
في الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم
يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه
وهو صفة لماء او حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول

عذابه ولسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس ويأتيه الموت من كل مكان اى اسبابه من
الشدائد فتحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو
بميت فيستريح ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اى يستقبل فى كل وقت عذابا اشد مما هو عليه
وقيل هو الخلود فى النار وقيل حبس الانفاس وقيل الاية منقطعة عن قصة الرسل نازلة فى اهل مكة طلبوا الفتح
الذى هو المطر فى سنيهم التى ارسل الله عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعدهم ان يسقيهم
فى جهنم سقياهم صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم مبتدأ خبره محذوف اى فيما يتلى عليكم
صفتهم التى هى مثل فى الغرابة او قوله اعمالهم كرماد وهو على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم
بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح فى يوم عاصف
العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة
الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم فى حبوطها لبنائها على غير اساس من معرفة الله
والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من اعمالهم
على شئ لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون
هو الضلال البعيد فانه الغاية فى البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبى والمراد به امته وقيل لكل واحد من
الكفرة على التلوين ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والوجه الذى يحق ان تخلق عليه وقرأ حمزة
والكسائى خالق السموات ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم
رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه
تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال
وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن
كان هذا شأنه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا لعقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا
اى يبرزون من قبورهم يوم القيامة لامر الله ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش
ويظنون انها تخفى على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضى لتحقق وقوعه
فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأى وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة
فيميلها الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا فى
تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار
مضاف فهل انتم مغنون عنا دافعون عنا من عذاب الله من شئ من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية
للتبعيض واقعة موقع المفعول اى بعض الشئ الذى هو عذاب الله ويجوز ان تكونا للتبعيض اى بعض شئ هو بعض
عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل ان تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اى فهل انتم مغنون بعض الاغناء
قالوا اى الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له
لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اى اخترنا لكم ما اخترنا لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب

لهديناكم

لهديناكم ولاغنيناه عنكم كما عرضناكم له لكنه سد دوننا طريق الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا
مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار
وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما
روى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك
ثم يقولون سواء علينا وقال الشيطان لما قضى الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
خطيبا فى الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو
الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع
لكم فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه وما كان لى عليكم من سلطان تسلط
فالجئكم الى الكفر والمعاصى الا ان دعوتكم الا دعائى اياكم اليها بتسويلى وهو ليس من جنس السلطان ولكنه
على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لى اسرعتم
اجابتى فلا تلومونى بوسوستى فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتمونى
اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها
ما يدل عليه اذ يكفى لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما فى فعله وهو الكسب الذى يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم
بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخى بمغيثى وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل فى التقاء الساكنين وهو
اصل مرفوض فى مثله لما فيه من اجتماع يائين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها
الف فبالحرى ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف فى ضربه
واعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة انى كفرت بما اشركتمونى من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة
باشركتمونى اى كفرت اليوم باشراككم اياى من قبل هذا اليوم اى فى الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله
ويوم القيامة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما فى قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت
اى كفرت بالذى اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياى فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل
اشراككم حين رددت امره بالسجود لآدم واشرك منقول من شركت زيدا للمتعدى الى مفعول ثان
ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله وفى حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ
لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها
الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ وادخل على التكلم
فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اى تحييهم الملائكة فيها بالسلام باذن ربهم
الم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة اى جعل كلمة
طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان تكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها
او خبر مبتدأ محذوف اى هى كشجرة وان تكون اول مفعولى ضرب اجراء له مجرى جعل وقد قرئت
بالرفع على الابتداء اصلها ثابت فى الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها فى السماء ويجوز ان

يريد وفروعها اى افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها ولذلك
قيل انه اقوى ولعل الثانى ابلغ تؤتى اكلها تعطى ثمرها كل حين اقته الله لاثمارها باذن ربها بارادة
خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان فى ضربها زيادة افهام وتذكير
فانه تصوير للمعانى وادناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اجتثت
استؤصلت واخذت جثته بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف
فى الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقران والكلمة الخبيثة بالاشراك
بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا
الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروى ذلك مرفوعا وبشجرة
فى الجنة والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
الذى ثبت بالحجة عندهم وتمكن فى قلوبهم فى الحيوة الدنيا فلا يزلون اذا فتنوا فى دينهم كزكريا ويحيى
وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفى الاخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم
فى الموقف ولا تدهشهم اهوال القيمة روى انه عليه الصلاة والسلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه
فى جسده فياتيه ملكان فيجلسانه فى قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى
الاسلام ونبيى محمد فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول
الثابت ويضل الله الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون
فى مواقف الفتن ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال اخرين من غير اعتراض عليه الم تر
الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا اى شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا
فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم
حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك
فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبى النعمة موصوفين بالكفر وعن
عمر وعلى هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما
بنو امية فمتعوا الى حين واحلوا قومهم الذين شايعوهم فى الكفر دار البوار دار الهلاك
بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من القوم اى داخلين فيها مقاسين
لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم وبئس القرار وبئس المقر جهنم وجعلوا لله اندادا
ليضلوا عن سبيله الذى هو التوحيد وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس
الضلال ولا الاضلال غرضهم فى اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض قل تمتعوا
بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التى يتمتع بها وفى التهديد بصيغة الامر ايذان
بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله
فان مصيركم الى النار وان المخاطب لانهماكه فيه كالمامور به من امر مطاع قل لعبادى الذين

امنوا

امنوا خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل
عليه جوابه اى قل لعبادى الذين امنوا اقيموا الصلاة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم فيكون
ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم للرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان
يقدرا بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك هاهنا ولم يحسن فى قوله

محمد تفد نفسك كل نفس ... اذا ما خفت من امر تبالا

لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما
بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا سرا وعلانية
منتصبان على المصدر اى انفاق سر وعلانية او على الحال اى ذوى سر وعلانية او على الظرف اى وقتى
سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به من قبل ان ياتى يوم لا بيع فيه فيبتاع
المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدى به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع لك خليل او من قبل ان ياتى
يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تعالى وقرا ابن كثير وابو عمرو
ويعقوب بالفتح فيهما على النفى العام الله الذى خلق السموات والارض مبتدا وخبر وانزل من السماء
ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج
ومن الثمرات بيان له وحال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر
لان اخرج فى معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره بمشيئته الى حيث توجهتم
وسخر لكم الانهار فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية
اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدابان فى سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من
المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم واتاكم من كل ما
سالتموه اى بعض جميع ما سالتموه يعنى من كل شئ سالتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعض
ما فى قدرة الله ولعل المراد بما سالتموه ما كان حقيقا بان يسال لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسال
وما يحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين
اى واتاكم من كل شئ ما احتجتم اليه وسالتموه بلسان الحال ويجوز ان تكون ما نافية فى موقع الحال
اى واتاكم من كل شئ غير سائليه وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عد
انواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة
ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان كفار
شديد الكفران وقيل ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع واذ قال ابرهيم
رب اجعل هذا البلد بلدة مكة امنا ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا
امنا ان المسؤول فى الاول ازالة الخوف عنه وتصييره امنا وفى الثانى جعله من البلاد الامنة واجنبنى
وبنى بعدنى واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها فى جانب وقرئ واجنبنى وهما على لغة

نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم
وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل لم يعبدوا الصنم
محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيثما نصبنا
حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن كثيرا من الناس فلذلك سالت منك العصمة واستعذت
بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا فمن
تبعني على ديني فانه مني اى بعضي لا ينفك عني في امر الدين ومن عصاني فانك غفور
رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله
ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره ربنا اني اسكنت من ذريتي
اى بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهو اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم
بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة فانها حجرية لا تنبت عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له
والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا يهابه الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك
سمي عتيقا اى اعتق منه ولو دعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ما يؤول
اليه روي ان هاجر كانت لسارة فوهبتها من ابرهيم فولدت منه اسمعيل فغارت عليهما فناشدته
ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم راوا ثم طيورا
فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فراوهما وعندهما عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك في البانا
ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت اى ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع
من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار
بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثم المقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد
هو الدعاء لهم باقامة الصلوة كانه طلب منهم الاقامة وسال من الله ان يوفقهم لها فاجعل
افئدة من الناس اى افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس
لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب مني سقيم
اى افئدة ناس وقرئ آفدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر في ادؤر وان يكون
اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اى جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف
وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا ووددا
وقرئ تهوى على البناء للمفعول من اهوى اليه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا احب وتعديته بالى
لتضمنه معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون
تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء حتى توجد فيه الفواكه
الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا
كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب
لكن

لكنا ندعوك اظهارا للعبودية وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة
وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجا الى الله تعالى وما يخفى
على الله من شيء في الارض ولا في السماء لانه العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته الى كل معلوم ومن
للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اى وهب لي وانا كبير آيس عن الولد قيد الهبة بحال
الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيها من الآية اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل لتسع
وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة سنة ان ربي لسميع الدعاء اى لمجيبه من قولك سمع الملك
كلامي اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد
السماع الى دعاء الله تعالى على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسال منه الولد فاجابه ووهب
له سؤله حين ما وقع الياس منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلني مقيم الصلوة معدلا
لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله تعالى واستقراء
عادته في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء واستجب دعائي او وتقبل عبادتي ربنا
ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ ولابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما ادم وحوا
وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق
او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل
الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به تثبيته على ما هو عليه من انه تعالى مطلع
على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل
من توهم غفلة جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما
يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار اى تشخص فيه ابصارهم
فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين اى مسرعين الى الداعي او مقبلين بابصارهم لا
يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم
طرفهم بل تثبت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا ترجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم
هواء خلاء اى خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق وللجبان قلبه هواء
اى لا راي فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق
وانذر الناس يا محمد يوم ياتيهم العذاب يعني يوم القيمة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول
ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا وردنا
الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر اجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك
ونتبع الرسل جواب للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا
اقسمتم من قبل ما لكم من زوال على ارادة القول وما لكم جواب القسم لعلهم اقسموا بطرا وغرورا
او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا

ما اتوا لا يزالون على تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى
بفي كقر وغنى واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجري مجراه كقولك سكنت الدار وتبين لكم كيف
فعلنا بهم بما تشاهدون في منازلهم من اثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا لكم
الامثال من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب او صفات ما فعلوا وفعل بهم
التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال
الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده ما يمكرهم
به جزاء لمكرهم وابطالا له وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال مسوى
لازالة الجبال وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر
النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية
ثباتا وتمكنا من ايات الله وشرائعه وقرأ الكسائي لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام
هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد
مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي
واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا
يخلف الميعاد واذا لم يخلف احدا كيف يخلف رسله ان الله عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع
ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض بدل من يوم ياتيهم او ظرف
للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما
بعده والسموات عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك
بدلت الدراهم دنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما
اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والاية تحتملهما فعن علي
رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض
بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه
ما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام قال تبدل الارض غير الارض فتبسط
وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون
الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله الارض جهنم والسموات
الجنة على ما اشعر به قوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار لفي سجين
وبرزوا من اجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان
الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب
لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم

مع بعض

مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين او مع
ما اكتسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان
يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم في الاصفاد متعلق بمقرنين او حال من ضميره
والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل

وزيد الخيل قد لاقى صفادا ... يعض بساعد وبعظم ساق

سرابيلهم قمصانهم من قطران وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ
فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة تطلى به جلود اهل
النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقميص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار
في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر
النفس من الملكات الردية والهيئات الوحشية فيجلب اليها انواعا من الغموم والالام وعن يعقوب قطر
آن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين
وتغشى وجوههم النار وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم
وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات
ونظيره قوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم
ليجزي الله كل نفس اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة
او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين
ذلك ان علق اللام ببرزوا ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب هذا اشارة الى
القرآن او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله بلاغ للناس كفاية
لهم في الموعظة ولينذروا به عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة
بالبلاغ ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل وتلي وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه
واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتأمل فيما فيه من الايات الدالة عليه والمنبهة على ما
يدل عليه وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه وتعالى
ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمال القوة النظرية
التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله
تعالى من الفائزين بهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وآيها تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين الإشارة إلى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيره
للتفخيم أي آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا ربما يود الذين
كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر وحلول الموت أو يوم القيامة وقرأ
نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربتما بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحها مع التشديد
والتخفيف وبتاء التأنيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه أن يدخل على الماضي
لكن لما كان المترقب في إخبار الله تعالى كالماضي في تحققه أجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله

ربما تكره النفوس من الأمـــر له فرجة كحل العقال

ومعنى التقليل فيه الإيذان بأنهم لو كانوا يودون الإسلام مرة فبالحري أن يسارعوا إليه فكيف وهم
يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم أهوال القيامة فإن حانت منهم إفاقة في بعض الأوقات تمنوا ذلك والغيبة
في حكايته ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم
ويلههم الأمل ويشغلهم توقعهم لطول الأعمار واستقامة الأحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون
سوء صنيعهم إذا عاينوا جزاءه والغرض إقناط الرسول من ارعوائهم وإيذانه بأنهم من أهل الخذلان وأن
نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه إلزام للحجة وتحذير عن إيثار التنعم وما يؤدي إليه طول
الأمل وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم أجل مقدر كتب في اللوح المحفوظ والمستثنى
جملة واقعة صفة لقرية والأصل أن لا يدخلها الواو كقوله إلا لها منذرون لكن لما شابهت صورتها
صورة الحال أدخلت عليها تأكيدا للصوقها بالموصوف ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون
أي وما يستأخرون عنه وتذكير ضمير أمة فيه للحمل على المعنى وقالوا يا أيها الذي نزل عليه
الذكر نادوا به النبي صلى الله عليه وسلم على التهكم ألا ترى إلى ما نادوه له وهو قولهم إنك لمجنون
ونظيره لذلك قول فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون والمعنى إنك لتقول قول المجانين حين تدعي
أن الله نزل عليك الذكر أي القرآن لو ما تأتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشيء
لوجود غيره والتحضيض بالملائكة ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا أنزل إليه ملك
فيكون معه نذيرا أو للعقاب على تكذيبك كما أتت الأمم المكذبة قبل إن كنت من الصادقين في
دعواك ما ننزل الملائكة بالياء مسند إلى ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون وأبو
بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل أي تتنزل إلا بالحق إلا تنزيلا متلبسا بالحق أي بالوجه
الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في أن تأتيكم بصور تشاهدونها فإنه لا يزيدكم إلا لبسا
ولا في معاجلتكم بالعقوبة فإن منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالإيمان وقيل الحق الوحي
أو العذاب وما كانوا إذا منظرين إذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر أي ولو نزلنا الملائكة
ما كانوا منظرين إنا نحن نزلنا الذكر رد لإنكارهم واستهزائهم ولذلك أكده من وجوه
وقرره بقوله وإنا له لحافظون أي من التحريف والزيادة والنقص بأن جعلناه معجزا مباينا

الكلام

الكلام البشري بحيث لا يخفى تغيير نظمه على أهل اللسان أو نفى تطرق الخلل إليه في الدوام بضمان الحفظ له كما نفى
أن يطعن فيه بأنه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي صلى الله عليه وسلم ولقد أرسلنا من قبلك في شيع
الأولين في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه إذا تبعه وأصله الشياع
وهو الحطب الصغار توقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما يأتيهم
من رسول إلا كانوا به يستهزئون كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وما للحال لا تدخل
إلا مضارعا بمعنى الحال أو ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه
ندخله في قلوب المجرمين والسلك إدخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للا
ستهزاء وفيه دليل على أنه تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فإن الضمير الآخر في قوله لا يؤمنون
به له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير
مؤمن به أو بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف إذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها
في المرجوع إليه ولا يتعين أن تكون الجملة حالا من الضمير لجواز أن تكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها
مفسرة للمعنى الأول بل يقويه وقد خلت سنة الأولين أي سنة الله فيهم بأن خذلهم وسلك الكفر في
قلوبهم أو بإهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لأهل مكة ولو فتحنا عليهم أي على هؤلاء
المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون إليها ويرون عجائبها طول نهارهم
مستوضحين لما يرون أو تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكهم
في الحق إنما سكرت أبصارنا سدت عن الإبصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير
بالتخفيف أو حيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا
محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفي كلمتي الحصر والإضراب دلالة على البت بأن ما
يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل إليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجا اثني عشر
مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزيناها بالأشكال والهيئات
البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل
شيطان رجيم فلا يقدر أن يصعد إليها ويوسوس إلى أهلها ويتصرف في أمرها ويطلع على أحوالها
إلا من استرق السمع بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة
من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر أو بالاستدلال من أوضاع الكواكب وحركاتها وعن
ابن عباس أنهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما
ولد محمد عليه الصلاة والسلام منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز أن يكون
لها أسباب أخر وقيل الاستثناء منقطع أي ولكن من استرق السمع فأتبعه فلحقه شهاب
مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق
والأرض مددناها بسطناها وألقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وأنبتنا فيها من كل

في الارض وفيها او في الجبال من كل شيء موزون مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن مناسب
من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن في ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها
معايش تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ معائش بالهمزة على التشبيه بشمائل ومن لستم له
برازقين عطف على معايش او على محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم
ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الاية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين
مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون
كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الوهيته والامتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه
ويعبدوه ثم بالغ في ذلك وقال وان من شيء الا عندنا خزائنه اي وما من شيء الا ونحن قادرون على
ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة
التي لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت
به المشيئة فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له
من مخصص حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل
كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر او السحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في
قوله . ومختبط مما تطيح الطوائح . وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس فانزلنا من السماء
ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه نفى
عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين في الغدران والعيون والابار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما يدل
حركة الهواء في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضي
الغور فوقوفه دون حد لا بد له من سبب مخصص وانا لنحن نحيي بايجاد الحياة في بعض الاجسام
القابلة لها ونميت بازالتها وقد اول الحياة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على
الحصر ونحن الوارثون الباقون اذا مات الخلائق كلها ولقد علمنا المستقدمين منكم
ولقد علمنا المستاخرين من استقدم ولادة وموتا ومن تاخر او من خرج من اصلاب الرجال
ومن لم يخرج بعد ومن تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة وتاخر لا يخفى علينا شيء
من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل على
علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتاخر بعض ليبصرها
فنزلت وان ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي
لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة على كمال
قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة
متقن في افعاله عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا الانسان من صلصال من طين يابس
يصلصل اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل من حماء طين تغير

واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اي كائن من حما مسنون مصور من سنة الوجه او
مصبوب ليبيس ويتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب من السن وهو الصب كانه افرغ الحما
فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ
فيه من روحه او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى
سنينا والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب
الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل
يفسره خلقناه من قبل من قبل خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع
خلق الحياة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة
التي الغالب كقوله تعالى خلقكم من تراب وساق الاية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله سبحانه وبيان
بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد
للجمع والاحياء واذ قال ربك واذكر وقت قوله للملائكة اني خالق بشرا من صلصال
من حما مسنون . فاذا سويته عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي
حتى جرى اثاره في تجاويف اعضائه فحيي واصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم اخر ولما كان الروح
يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في
تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه لما مر في
النساء فقعوا له فاسقطوا له ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملائكة كلهم اجمعون
اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على
انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثاني حالا لا تاكيدا الا ابليس
ان جعل منقطعا اتصل به قوله ابى ان يكون مع الساجدين اي ولكن ابليس ابى وان جعل متصلا
كان استئنافا على انه جواب سائل قال هلا سجد قال يا ابليس ما لك الا تكون اي غرض لك
في انه لا تكون مع الساجدين لادم قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني
وينافي حالي ان اسجد لبشر جسماني كثيف وانا ملك روحاني خلقته من صلصال من حما مسنون
وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهي اشرفها استنقص ادم عليه السلام باعتبار النوع والاصل
وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج منها من السماء او الجنة او زمر الملائكة فانك
رجيم مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو
وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك اللعنة هذا الطرد والابعاد الى يوم الدين
فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وما في قوله فاذن مؤذن بينهم
ان لعنة الله على الظالمين بمعنى اخر ينسى عنده هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها
الناس او لانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل قال رب فانظرني فاخرني والفاء

متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم الى يوم يبعثون اراد ان يجد فسحة في الاغواء
ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني قال فانك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند
الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلاثة يوم القيمة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات
فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف
واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعله
يموت اول اليوم ويبعث مع الخلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل
على منصب ابليس لان خطاب الله له على سبيل الاهانة والاذلال قال رب بما اغويتني الباء
للقسم وما مصدرية وجوابه لازينن لهم في الارض والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن
لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله
خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود
لادم عليه السلام او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب لزيادة
غيه وتسليط له على اغواء بني ادم بان الله تعالى علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر
ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد
الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الالباب ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم اجمعين على
الغواية الا عبادك منهم المخلصين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل
فيهم كيدي وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر في كل القران اي الذين اخلصوا
نفوسهم لله تعالى قال هذا صراط علي حق علي ان اراعيه مستقيم لا انحراف عنه والاشارة
الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق علي
يؤدي الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه
وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم
او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض
والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الا
استثناء منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه الى تناقض
الاستثناءين وان جهنم لموعدهم اجمعين لموعد الغاوين او المتبعين اجمعين تأكيد للضمير او حال والعامل
فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا
يعمل لها سبعة ابواب يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي
جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار

مجامع

مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية او لان اهلها سبع فرق
لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم افرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث
للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرا ابو بكر جزؤ با
لتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاي ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجرى الوصل مجرى
الوقف ومنهم حال منه او من المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها
ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة في جنات وعيون لكل واحد منهم جنة وعين
او لكل عدة منها لقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التي
وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الاية وقرا نافع وابو عمرو وحفص وهشام وعيون بالضم
بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين ادخلوها على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء
على انه ماض فلا يكسر التنوين بسلام سالمين او مسلما عليكم امنين من الافة والزوال ونزعنا
في الدنيا بما الف بين قلوبهم او في الجنة بتطييب نفوسهم ما في صدورهم من غل من حقد كان في
الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات
الجنة ومراتب القرب اخوانا حال من الضمير في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في امنين او الضمير المضاف
اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او
حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستقر في على سرر لا يمسهم
فيها نصب استئناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين فان
تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة
ما سبق من الوعد والوعيد وتاكيد له ونبئهم عن ضيف ابرهيم عطف على نبئ عبادي تحقيقا لهما
بعبرة بهم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما قال انا
منكم وجلون خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل
والوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل
من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف
منه وقرا حمزة نبشرك بفتح النون والتخفيف من البشر بغلام هو اسحق لقوله وبشرناه باسحق
عليم اذا بلغ قال ابشرتموني على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه
او انكار لان يبشر به في مثل هذه الحال وكذا قوله فبم تبشرون اي فباي اعجوبة تبشرون او
فباي شيء تبشرون فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرا ابن كثير بكسر النون مشددة
في كل القران على ادغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا
لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية وكسرها على الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا
محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله وامره فلا تكن من

القانطين من الآيسين من ذلك فإنه تعالى قادر على أن يخلق بشرا من غير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز
عاقر وكان استعجاب إبراهيم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون
المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال تعالى لا ييأس من روح الله إلا
القوم الكافرون وقرأ أبو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم
أيها المرسلون أي فما شأنكم الذي أرسلتم لأجله سوى البشارة ولعله علم أن كمال المقصود ليس البشارة
لأنهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج إلى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم أو لأنهم
بشروه في تضاعيف الحال لإزالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤوا بها قالوا إنا أرسلنا إلى
قوم مجرمين يعني قوم لوط إلا آل لوط إن كان استثناء من قوم كان منقطعا إذ القوم مقيد بالإجرام
وإن كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والإرسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين
به وكأن المعنى إنا أرسلنا إلى قوم أجرم كلهم إلا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط ويدل عليه
قوله إنا لمنجوهم أجمعين أي مما يعذب به القوم وهو استئناف إذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط
جار مجرى خبر لكن إذا انقطع وعلى هذا جاز أن يكون قوله إلا امرأته استثناء من آل لوط أو من
ضميرهم وعلى الأول لا يكون إلا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم إلا أن يجعل إنا لمنجوهم اعتراضا
وقرأ حمزة والكسائي مخففا قدرنا إنها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ أبو
بكر عن عاصم قدرنا بالتخفيف وإنما علق والتعليق من خواص أفعال القلوب لتضمنه معنى العلم
ويجوز أن يكون قدرنا أجري مجرى قلنا لأن التقدير بمعنى القضاء قول وأصله جعل الشيء على
مقدار غيره وإسنادهم إياه إلى أنفسهم وهو فعل الله سبحانه وتعالى لما لهم من القرب والاختصاص
به فلما جاء آل لوط المرسلون. قال إنكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر عنكم
مخافة أن تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون أي ما جئناك بما تنكرنا
لأجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه
وأتيناك بالحق باليقين من عذابهم وإنا لصادقون فيما أخبرناك به فأسر بأهلك
فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان بوصل الألف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير بقطع
من الليل في طائفة من الليل وقيل في آخره قال

افتحي الباب وانظري في النجوم ... كم علينا من قطع ليل بهيم

واتبع أدبارهم وكن على أثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم أحد
لينظر ما وراءه من الهول فلا يطيقه أو فيصيبه ما أصابهم أو ولا ينصرف أحدكم ولا يتخلف لغرض
فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون إلى حيث أمركم
الله بالمضي إليه وهو الشام أو مصر فعدى وامضوا وتؤمرون إلى الضمير المحذوف على الاتساع
وقضينا إليه أي أوحينا إليه مقضيا ولذلك عدي بإلى ذلك الأمر مبهم يفسره أن دابر هؤلاء

مقطوع

مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للأمر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى
أنهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء أو من
الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فإن دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء أهل المدينة سدوم
يستبشرون بأضياف لوط طمعا فيهم قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فإن من
أسيء إلى ضيفه فقد أسيء إليه واتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلوني بسببهم
من الخزي وهو الهوان أو لا تخجلوني فيهم من الخزاية وهي الحياء قالوا أولم ننهك عن العالمين عن أن
تجير منهم أحدا أو تمنع بيننا وبينهم فإنهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر
وسعه أو عن ضيافة الناس وإنزالهم قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فإن نبي كل أمة بمنزلة أبيهم
وفيه وجوه ذكرت في هود إن كنتم فاعلين قضاء الوطر أو ما أقول لكم لعمرك قسم بحياة
المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في
العمر يختص به القسم لإيثار الأخف فيه لأنه كثير الدور على ألسنتهم إنهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم
أو شدة غلمتهم التي أزالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب الذي يشار به إليهم يعمهون
يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فأخذتهم الصيحة يعني
صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل عليه السلام مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا
عاليها عالي المدينة أو عالي قراهم سافلها فصارت منقلبة بهم وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل
من طين متحجر أو طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود إن في
ذلك لآيات للمتوسمين للمتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء
بسمته وإنها وإن المدينة أو القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها إن في ذلك
لآية للمؤمنين بالله ورسله وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون
الغيضة فبعث الله إليهم شعيبا فكذبوه فأهلكوا بالظلة والأيكة الشجرة الملتفة فانتقمنا منهم بالإهلاك
وإنهما يعني سدوم والأيكة وقيل الأيكة ومدين فإنه كان مبعوثا إليهما فكان ذكر أحدهما منبها على
الآخر لبإمام مبين لبطريق واضح والإمام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح
لأنها مما يؤتم به ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا ومن معه من
المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونه وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين
يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم أو معجزاته كالناقة وسقيها وشربها ودرها أو ما نصب لهم من الأدلة
وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الأعداء لوثاقتها
أو من العذاب لفرط غفلتهم أو حسبانهم أن الجبال تحميهم منه فأخذتهم الصيحة مصبحين فما
أغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الأموال والعدد وما
خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق إلا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام

الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض وان الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ باية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان وابي وهو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع ايات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته او الفاظه او قصصه ومواعظه او مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز او مثن على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن او كتب الله كلها فتكون من للتبعيض والقرآن العظيم ان اريد بالسبع الايات او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الاخر لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه عليه الصلاة والسلام وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع ايات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون به واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم وقل اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب الذي انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى سحر وشعر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن ما يقرؤونه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لا تمدن الى اخره اعتراض ممد لها الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله العاضهة والمستعضهة وقيل اسحارا وعن عكرمة العضة السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف

منه

منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم او النسبة الى السحر فيجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع واعرض عن المشركين ولا تلتفت الى ما يقولون انا كفيناك المستهزئين بقمعهم واهلاكهم وقيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف عدي بن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عين الاسود بن عبد المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك فافزع الى الله تعالى فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين وعنه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اي الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد عليه الصلاة والسلام

سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وآيها مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

أتى أمر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم من قيام الساعة او اهلاك الله اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما تقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم منه سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلون الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انه لما نزلت أتى أمر الله فوثب النبي

صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح بالوحي او بالقرآن
فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق
الذي به علم الرسول ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرا ابن
كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرا ابو بكر تنزل على المضارع المبني
للمفعول من التنزيل من امره بامره او من اجله على من يشاء من عباده ان يتخذه رسولا ان انذروا بان
انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته انه لا اله الا انا فاتقون ان الشان لا اله الا انا او خوفوا
اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة
لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض
او مخففة من المثقلة والاية تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد
الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمال القوة العملية وان النبوة عطائية
والايات التي بعدها دليل على وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم
وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات
والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته
تعالى عما يشركون منها او مما يفتقر في وجوده او بقائه اليها ومما لا يقدر على خلقهما
وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة جماد لا حس بها ولا حراك
سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو خصيم منطيق مجادل مبين للحجة او خصيم مكافح
لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم
رميم وقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام الابل والبقر والغنم
وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق
لاجله وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ به فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها
وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تاكلون اي تاكلون ما يؤكل منها من اللحوم
والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الاي او لان الاكل منها هو المعتاد
المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوي او التفكه
ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين
تسرحون تخرجونها بالغداة الى المراعي فان الافنية تتزين بها في الوقتين ويجل اهلها
في اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملأى البطون
حافلة الضروع ثم تاوي الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون
وصفان له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا
بالغيه اي ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا ان تحملوها على ظهوركم اليه الا بشق

الانفس

الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله
الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرؤف رحيم حيث
رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها
وزينة اي لتركبوها وتتزينوا بها زينة وقيل هو معطوف على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة
بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض
وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها او مصدرا في موضع الحال من احد الضميرين
اي متزينين او متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل
بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الاية مكية وعامة المفسرين والمحدثين
على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا
احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم
لنا به وان يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل بيان
مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل
يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يقصده
السالك لا يميل عنه والمراد من السبيل الجنس ولذلك اضاف اليه القصد وقال ومنها جائر حائد
عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله ان يبين طرق الضلالة او لان المقصود
بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اي عن القصد
ولو شاء لهداكم اجمعين اي ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية
مستلزمة للاهتداء هو الذي انزل من السماء من السحاب او من جانب السماء ماء لكم
منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم
حصر المشروب فيه ولا باس به لان مياه العيون والابار منه لقوله سبحانه فسلكه ينابيع وقوله
فاسكناه في الارض ومنه شجر ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما نبت على الارض
قال يعلفها اللحم اذ عز الشجر والخيل في اطعامها اللحم ضرر
فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر
بالرعي علامات ينبت لكم به الزرع وقرا ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل
والاعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ لم ينبت في الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل
تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم
الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون على وجود
الصانع وحكمته فان من تامل ان الحبة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها
ويخرج منه ساق الشجر وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم ينمو ويخرج منه الاوراق والازهار



والأكمام والثمار ويشتمل كل منها على أجسام مختلفة الأشكال والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع
السفلية والتأثيرات الفلكية إلى الكل علم أن ذلك ليس إلا فعل فاعل مختار مقدس عن منازعة
الأضداد والأنداد ولعل فصل الآية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم
بأن هيأها لمنافعكم مسخرات بأمره حال من الجميع أي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها
كيف شاء أو لما خلقن له بإيجاده وتقديره أو لحكمه وفيه إيذان بالجواب عما عسى أن يقال إن
المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب وأوضاعها فإن ذلك إن سلم فلا ريب في أنها أيضاً ممكنة
الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود
دفعاً للدور والتسلسل أو مصدر ميمي جمع لاختلاف الأنواع وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء
والخبر فيكون تعميماً للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر أيضاً إن في ذلك لآيات
لقوم يعقلون جمع الآية وذكر العقل لأنها تدل أنواعاً من الدلالة الظاهرة لذوي العقول السليمة
غير محوجة إلى استيفاء فكر كأحوال النبات وما ذرأ لكم في الأرض عطف على الليل أي وسخر
لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات مختلفاً ألوانه أصنافه فإنها تتخالف باللون غالباً إن
في ذلك لآية لقوم يذكرون أن اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس إلا بصنع صانع
حكيم وهو الذي سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص
لتأكلوا منه لحماً طرياً هو السمك ووصفه بالطراوة لأنه أرطب اللحوم يسرع إليه الفساد
فيسارع إلى أكله ولإظهار قدرته في خلقه عذباً طرياً في ماء زعاق وتمسك به مالك والثوري
على أن من حلف لا يأكل لحماً حنث بأكل السمك وأجيب عنه بأن مبنى الأيمان على العرف وهو لا يفهم
منه عند الإطلاق ألا ترى أن الله سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على أن لا يركب دابة بركوبه
وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان أي تلبسها نساؤكم فأسند إليهم لأنهن من
جملتهم ولأنهن يتزين بها لأجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جواري فيه تشقه بحيزومها
من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جري الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة
ولعلكم تشكرون أي تعرفون نعمة فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لأنه
أقوى في باب الإنعام من حيث إنه جعل المهالك سبباً للانتفاع وتحصيل المعاش وألقى في الأرض
رواسي جبالاً رواسي أن تميد بكم كراهة أن تميل بكم وتضطرب وذلك لأن الأرض قبل أن تخلق
فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها أن تتحرك بالاستدارة كالأفلاك أو أن تتحرك
بأدنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت
كالأوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الأرض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر أحد
على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال وأنهاراً أي وجعل فيها أنهاراً لأن ألقى فيه معناه وسبلاً
لعلكم تهتدون لمقاصدكم أو إلى معرفة الله وعلامات معالم يستدل بها السابلة من جبل ومنهل

وريح ونحو ذلك وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه أنه
قرئ بالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي ولعل الضمير
لقريش لأنهم كانوا كثيري الأسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم وإخراج الكلام
عن سنن الخطاب وتقديم النجم وإقحام الضمير للتخصيص كأنه قيل وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً
يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه ألزم لهم وأوجب عليهم أفمن يخلق كمن لا يخلق إنكار
بعد إقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لأن
يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك بل على إيجاد شيء ما وكان حق الكلام
أفمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيهاً على أنهم بالإشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات
العجزة شبيهاً بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلباً فيه أولو العلم منهم أو
الأصنام وأجراها مجرى أولي العلم لأنهم سموها آلهة ومن حق الإله أن يعلم أو للمشاكلة بينه
وبين من يخلق أو للمبالغة فكأنه قيل من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم فكيف بما لا علم عنده
أفلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك فإنه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده بأدنى تذكر
والتفات وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلاً أن تطيقوا القيام بشكرها
أتبع ذلك تعداد النعم وإلزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيهاً على أن وراء ما عدد
نعماً لا تنحصر وأن حق عبادته تعالى غير مقدور إن الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم
في أداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم
ما تسرون وما تعلنون من عقائدكم وأعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم بعد
تزييفه باعتبار القدرة والذين تدعون من دون الله أي والآلهة الذين تعبدونهم من دونه
وقرأ عاصم ويعقوب يدعون بالياء لا يخلقون شيئاً لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق
بين أنهم لا يخلقون شيئاً لينتج أنهم لا يشاركونه ثم أكد ذلك بأن أثبت لهم صفات تنافي الألوهية
فقال وهم يخلقون لأنهم ذوات ممكنة مفتقرة الوجود إلى التخليق والإله ينبغي أن
يكون واجب الوجود أموات هم أموات لا تعتريهم الحياة أو أموات حالاً أو مآلاً غير أحياء بالذات
ليتناول كل معبود والإله ينبغي أن يكون حياً بالذات لا تعتريه الممات وما يشعرون أيان
يبعثون ولا يعلمون وقت بعثهم أو بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والإله
ينبغي أن يكون عالماً بالغيوب مقدراً للثواب والعقاب وفيه تنبيه على أن البعث من توابع التكليف
إلهكم إله واحد تكرير للمدعى بعد إقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة
وهم مستكبرون بيان لما اقتضى إصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم إيمانهم بالآخرة فإن
المؤمن بها يكون طالباً للدلائل متأملاً فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وإنكار
قلوبهم ما لا يعرف إلا بالبرهان اتباعاً للأسلاف وركوناً إلى المألوف فإنه ينافي النظر والاستكبار

عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت
الاقرار لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع
بجرم لانه مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده
او اتباع رسوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القائل بعضهم على التهكم او الوافدون
عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما
سموه منزلا على التهكم او على الفرض اي على تقدير انه منزل فهو اساطير الاولين لا تحقيق فيه و
القائلون قيل هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اي قالوا ذلك اضلالا
للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين
يضلونهم وبعض وزر ضلال من يضلونه وهو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اي
يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان
يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين
من قبلهم اي سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها
امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار
سبب هلاكهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل
التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة الاف ذراع ليترصد امر السماء
فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله
تعالى انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركاي اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية
لاضافتهم زيادة في توبيخهم الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين في شانهم وقرا
نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله قال الذين اوتوا العلم
اي الانبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة
ان الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين وفائدة قولهم اظهار الشماتة
وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفاهم الملائكة وقرا
حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة ظالمي انفسهم بان
عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا
نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام
بلى اي فتجيبهم الملائكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله
فالقوا السلم الى اخر الاية استئناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيمة وعلى هذا اول من لا يجوز
الكذب يوول ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا واحتمل ان يكون
الراد عليهم هو الله تعالى او اولو العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابها المعد له وقيل

ابواب

ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا يعني
المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا وفي نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب
واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روي ان احياء العرب ايام الموسم كانوا يبعثون
ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين
قالوا له ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا ولدار الاخرة خير اي ولثوابهم
في الاخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا و
تفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات
عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم
فيها ما يشاؤون من انواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في
الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول الذين تتوفاهم
الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل
فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس
يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون
فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون
ما ينتظر الكفار الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وقرا حمزة والكسائي بالياء
او ياتي امر ربك القيمة او العذاب المستاصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب
فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابوا وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه فاصابهم سيئات ما عملوا اي جزاء سيئات اعمالهم
على حذف المضاف او تسمية الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون واحاط بهم جزاؤه
والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء
نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء انما قالوا ذلك استهزاء ومنعا للبعثة والتكليف
متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشا يمتنع فما الفائدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك
وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه
ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين كذلك
فعل الذين من قبلهم فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا
الابلاغ الموضح للحق وهو لا يؤثر في هداية من شاء الله هدايته لكنه يؤدي اليه على سبيل التوسط
وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به
السنة الالهية في الامم كلها سببا لهدى من اراد اهتداءه وزيادة لضلال من اراد ضلاله كالغذاء الصالح
فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا

الله واجتنبوا الطاغوت بأن يعبدوا الله ويجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم للإيمان بإرشادهم
ومنهم من حقت عليه الضلالة إذ لم يوفقهم ولم يرد هدايتهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه
من الدلالة على أن تحقق الضلال وثباته بفعل الله وإرادته من حيث إنه قسيم من هداه الله وقد صرح
به في الآية الأخرى فسيروا في الأرض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون إن تحرص يا محمد على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل
من يريد ضلاله وهو المعني بمن حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يُهدى على البناء للمفعول وهو أبلغ
وما لهم من ناصرين من ينصرهم بدفع العذاب عنهم وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله
من يموت عطف على وقال الذين أشركوا إيذانا بأنهم كما أنكروا التوحيد أنكروا البعث مقسمين عليه
زيادة في البت على فساده ولقد رد الله عليهم أبلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا عليه مصدر مؤكد لنفسه
وهو ما دل عليه بلى فإن يبعث موعد من الله عليه أي إنجازه لامتناع الخلف في وعده أو لأن البعث
مقتضى حكمته حقا صفة أخرى للوعد ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنهم يبعثون إما لعدم
علمهم بأنه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها وإما لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناعه
ثم إنه تعالى بين الأمرين فقال ليبين لهم أي يبعثهم ليبين لهم الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم
الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو إشارة إلى السبب الداعي إلى البعث المقتضي له من
حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال إنما قولنا لشيء إذا أردناه
أن نقول له كن فيكون وهو بيان إمكانه وتقريره أن تكوين الله بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على
سبق المواد والمدد وإلا لزم التسلسل فكما أمكن تكوين الأشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال أمكن تكوينها إعادة
بعده ونصب ابن عامر والكسائي فيكون عطفا على نقول أو جوابا للأمر والذين هاجروا في الله من بعد
ما ظلموا هم رسول الله وأصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم إلى الحبشة ثم إلى المدينة و
بعضهم إلى المدينة أو المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب
وخباب وعمار وعابس وأبو جندل وسهيل وقوله في الله أي في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة
مباءة حسنة وهي المدينة أو تبوئة حسنة ولأجر الآخرة أكبر مما تعجل لهم في الدنيا وعن عمر أنه
كان إذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاءه قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا
وما ادخر لك في الآخرة أفضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار أي لو علموا أن الله يجمع لهؤلاء المهاجرين
خير الدارين لوافقوهم أو للمهاجرين أي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على
الشدائد كأذى الكفار ومفارقة الوطن ومحله النصب أو الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين
إلى الله مفوضين إليه الأمر كله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم رد لقول قريش الله
أعظم من أن يكون رسوله بشرا أي جرت السنة الإلهية بأن لا يبعث للدعوة العامة إلا بشرا يوحى
إليه على ألسنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الأنعام فإن شككتم فيه فاسألوا أهل الذكر

اهل

أهل الكتاب أو علماء الأخبار ليعلموكم إن كنتم لا تعلمون وفي الآية دليل على أنه تعالى لم يرسل امرأة ولا
ملكا للدعوة العامة وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا إلى الملائكة أو إلى الأنبياء وقيل لم يبعثوا
إلى الأنبياء إلا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي أنه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل عليه السلام على
صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة إلى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر أي أرسلناهم
بالبينات والزبر أي المعجزات والكتب كأنه جواب قائل قال بم أرسلوا ويجوز أن يتعلق بما أرسلنا
داخلا في الاستثناء مع رجالا أي وما أرسلنا إلا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت إلا زيدا بالسوط
أو صفة لهم أي رجالا ملتبسين بالبينات أو بنوحي على المفعولية أو الحال من القائم مقام فاعله على أن قوله
فاسألوا اعتراض أو بلا تعلمون على أن الشرط للتبكيت والإلزام وأنزلنا إليك الذكر أي القرآن
وإنما سمي ذكرا لأنه موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل إليهم في الذكر بتوسط إنزاله إليك مما
أمروا به ونهوا عنه أو مما تشابه عليهم والتبيين أعم من أن ينص بالمقصود أو يرشد إلى ما يدل عليه
كالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وإرادة أن يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق أفأمن الذين
مكروا السيئات أي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الأنبياء أو الذين مكروا رسول الله وراموا
صد الصحابة عن الإيمان أن يخسف الله بهم الأرض كما خسف بقارون أو يأتيهم العذاب من حيث
لا يشعرون بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط أو يأخذهم على تخوف على مخافة بأن يهلك قوما
قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون أو على أن ينقصهم شيئا بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى
يهلكوا من تخوفته إذا تنقصته روي أن عمر رضي الله عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من
هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم قال شاعرنا أبو كبير يصف
ناقته:
تخوف الرحل منها تامكا قردا ... كما تخوف عود النبعة السفن
فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني
كلامكم فإن ربكم لرؤوف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء
استفهام إنكار أي قد رأوا أمثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره
فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها يتفيأ ظلاله أي أولم ينظروا إلى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة
عن اليمين والشمائل عن أيمانها وشمائلها أي عن جانبي كل واحد منها استعارة من يمين الإنسان وشماله
ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله سجدا لله
وهم داخرون وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع
أو الاختيار يقال سجدت النخلة إذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير إذا طأطأ رأسه ليركب أو سجدا حال
من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها أو باختلاف
مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب إلى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ أو واقعة
على الأرض ملتصقة بها على هيئة الساجد والأجرام في أنفسها أيضا داخرة أي صاغرة منقادة لأفعال

الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلا وقيل المراد
باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع
وشماله وهو جانبه الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار تبتدي من الشرق واقعة على الربع الغربي
من الارض وعند الزوال تبتدي من الغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض ولله يسجد ما في السموات
وما في الارض اي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتاثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح
اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله من دابة بيان لهما لان الدبيب هي الحركة الجسمانية سواء
كانت في ارض او سماء والملائكة عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف المجردات
على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما في الارض والملائكة تكرير لما في السموات
وتعيين له اجلالا وتعظيما او المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل
لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون
عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر
كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف
الله لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون
مدارون بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه
دلالة على ان مساق النهي اليه او ايماء بان الاثنينية تنافي الالوهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو
اله واحد للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم
الالهية فاياي فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود فكانه قال
فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض خلقا وملكا وله الدين
اي الطاعة واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب
اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن امن وعقابه لمن كفر
افغير الله تتقون ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن الله اي واي شي
اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول
فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه
تجارون فما تتضرعون الا اليه والجوار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر
عنكم اذا فريق منكم وهم كفاركم بربهم يشركون بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب
عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من البيان كانه قال اذا فريق وهم انتم ويجوز ان يكون من
للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما اتيناهم من نعمة
الكشف عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف
تعلمون اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر

الوارد

الوارد للتهديد والفاء الجواب ويجعلون لما لا يعلمون اي لالهتهم التي لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير
لما او التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف
او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم من الزروع والانعام
تالله لتسالن عما كنتم تفترون من انها الهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون
لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له من قولهم او تعجب منه
ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيها الرفع بالابتدا والنصب بالعطف على البنات على
ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضميرا الفاعل والمفعول لشي واحد لكنه لا يبعد
يجوز في المعطوف واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله
مسودا من الكابة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم مملو
غيظا على المراة يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء ما بشر به من سوء المبشر به عرفا ايمسكه
محدثا نفسه متفكرا في ان يتركه على هون ذل ام يدسه في التراب اي يخفيه ويئده وتذكير
الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث فيهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد المنادية
بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق ولله المثل الاعلى
وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز الحكيم
المنفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها
على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها من دابة قط بشؤم ظلمهم وعن
ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن ادم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الاباء بكفرهم
لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا فاذا
جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون بل هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم
الناس واضافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر
عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون اي ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء في الرياسة
والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال وتصف السنتهم الكذب مع ذلك وهو ان لهم الحسنى
اي عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة
لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده وانهم مفرطون مقدمون الى النار من افرطته
في طلب الماء اذا قدمته وقرا نافع بكسر الراء على انه من الافراط في المعاصي وقرئ بالتشديد مفتوحا من
فرطته في طلب الماء ومكسورا من التفريط في الطاعات تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين
لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم اي في الدنيا وعبر
باليوم عن زمانها او فهو وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيامة على انه حكاية حال ماضية او اتية
ويجوز ان يكون الضمير لقريش اي زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولي هؤلاء

اليوم بقرينهم ويغويهم وان يقدر مضاف اى فهو ولى امثالهم والولى القرين والناصر فيكون نفيا للناصر
لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم فى القيامة وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس
الذى اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم يؤمنون
معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض
بعد موتها انبت فيها انواع النبات بعد يبسها ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون سماع تدبر
وانصاف وان لكم فى الانعام لعبرة دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم مما فى بطونه
استيناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وانثه فى سورة المؤمنين فان الانعام اسم
جمع ولذلك عده سيبويه فى المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكياش ومن قال انه جمع نعم جعل
الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرا نافع
وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح من بين فرث ودم لبنا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم
المتولد من الاجزاء اللطيفة التى فى الفرث وهو الاشياء الماكولة المنهضمة بعض الانهضام فى الكرش
وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف فى كرشها كان اسفله فرثا واوسطه
لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذى يغذى
البدن لانهما لا يتكونان فى الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم فى الكرش ويبقى ثفله
وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة
المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع
الباقى على الاعضاء بحسبها فتجرى الى كل حقه على ما يليق به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان الحيوان
انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى
الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورة لحومها
الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله فى احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها
ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار
بكمال حكمته وتناهى رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما فى بطونها والثانية ابتدائية
كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذى يبتدى منه الاسقاء وهو متعلقة
بنسقيكم او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا صافيا لا يستصحبه
لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا
للشاربين سهل المرور فى حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف ومن ثمرات النخيل والاعناب
متعلق بمحذوف اى ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اى من عصيرها وقوله تتخذون منه سكرا
استيناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا او خبر لمحذوف صفته تتخذون
اى ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف

المحذوف

المحذوف الذى هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمى به الخمر ورزقا حسنا كالتمر
والزبيب والدبس والخل والاية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين
العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال جعلت اعراض الكرام سكرا اى تنقلت باعراضهم
وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم بالنظر والتامل فى الايات واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف فى قلوبها وقرئ
النحل بفتحتين ان اتخذى بان اتخذى ويجوز ان تكون ان مفسرة لان فى الايحاء معنى القول وتانيث
الضمير على المعنى فان النحل مذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف التبعيض
لانها لا تبنى فى كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا فى كل مكان منها وانما سمى ما تبنيه
لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التى لا يقوى عليها حذاق
المهندسين الا بآلات وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء وقرا ابن عامر
وابو بكر يعرشون بضم الراء ثم كلى من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها
فاسلكى ما اكلت سبل ربك فى مسالكه التى يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكى
الطرق التى الهمك فى عمل العسل او فاسلكى راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس
ذللا جمع ذلول وهى حال من السبل اى مذللة ذللها الله وسهلها لك او من الضمير فى اسلكى اى وانت
ذلل منقادة لما امرت به يخرج من بطونها كانه عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل
الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم شراب يعنى العسل لانه مما يشرب
واحتج به من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل فى باطنها عسلا ثم تقئ ادخارا
للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها
فى بيوتها ادخارا فاذا اجتمع فى بيوتها شىء كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه مختلف الوانه
ابيض واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل والفصل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما فى الامراض
البلغمية او مع غيره كما فى سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه
مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان اخى يشتكى بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب
واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرا فكانما انشط من عقال
وقيل الضمير للقران او لما بين الله من احوال النحل ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون فان من
تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد له من
خالق قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم باجال مختلفة
ومنكم من يرد يعاد الى ارذل العمر اخسه يعنى الهرم الذى يشابه الطفولية فى نقصان
القوة والعقل وقيل هو خمس وسبعون وقيل خمس وتسعون لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير

إلى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم إن الله عليم بمقادير أعماركم قدير يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على أن تفاوت آجال الناس ليس إلا بتقدير قادر حكيم ركب أبنيتهم وعدل أمزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم على ما ملكت أيمانهم على مماليكهم فإن ما يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله في أيديهم فهم فيه سواء فالموالي والمماليك سواء في أن الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية أو مقررة لها ويجوز أن تكون واقعة موقع الجواب كأنه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فيستووا في الرزق على أنه رد وإنكار على المشركين فإنهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الألوهية ولا يرضون أن يشاركهم عبيدهم فيما أنعم الله عليهم فيساووهم فيه أفبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون له شركاء فإنه يقتضي أن يضاف إليهم بعض ما أنعم الله عليهم ويجحدوا أنه من عند الله أو حيث أنكروا أمثال هذه الحجج بعد ما أنعم الله عليهم بإيضاحها والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرأ أبو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً أي من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون أولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة وأولاد أولاد أو بنات فإن الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت أتم خدمة وقيل هم الأختان على البنات وقيل الربائب ويجوز أن يراد بها البنون أنفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم من الطيبات من اللذائذ أو الحلالات ومن للتبعيض فإن المرزوق في الدنيا أنموذج منها أفبالباطل يؤمنون وهو أن الأصنام تنفعهم أو أن من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب وبنعمت الله هم يكفرون حيث أضافوا نعمه إلى الأصنام أو حرموا ما أحل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل إما للاهتمام أو لإيهام التخصيص مبالغة أو للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً من مطر ونبات ورزقاً إن جعلته مصدراً فشيئاً منصوب به وإلا فبدل منه ولا يستطيعون أن يملكوه أو لا استطاعة لهم أصلاً وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لأن ما مفرد في معنى الآلهة ويجوز أن يعود إلى الكفار أي ولا يستطيع هؤلاء مع أنهم أحياء متصرفون شيئاً من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الأمثال فلا تجعلوا له مثلاً تشركونه به أو تقيسونه عليه فإن ضرب المثل تشبيه حال بحال إن الله يعلم فساد ما تعولون عليه من القياس على أن عبادة عبيد الملك أدخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون وأنتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي أو أنه يعلم كنه الأشياء وأنتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله الأمثال فإنه يعلم كيف تضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلاً لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على

شيئ

شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوون مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف رأساً ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالاً كثيراً فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الأصنام التي هي أعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الإطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوكية للتمييز عن الحر فإنه أيضاً عبد الله وبسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيماً للمالك المتصرف يدل على أن المملوك لا يملك والأظهر أن من موصوفة ليطابق عبداً وجمع الضمير في يستوون لأنه للجنس فإن المعنى هل يستوي الأحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلاً عن العبادة لأنه مولي النعم كلها بل أكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه إلى غيره ويعبدونه لأجلها وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم ولد أخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شيء من الصنائع والتدابير لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال وثقل على من يلي أمره أينما يوجهه حيثما يرسله مولاه في أمر وقرئ يوجه على البناء للمفعول وتوجه كقوله أينما أوجه ألق سعدا وتوجه بلفظ الماضي لا يأت بخير بنجح وكفاية مهم هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لجميع الفضائل وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه إلى مطلب إلا ويبلغه بأقرب سعي وإنما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لأنهما كمال ما يقابلها وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللأصنام لإبطال المشاركة بينه وبينها أو للمؤمن والكافر ولله غيب السموات والأرض يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بأن لم يكن محسوساً ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة فإن علمه غائب عن أهل السموات والأرض وما أمر الساعة في سرعته وسهولته إلا كلمح البصر إلا كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها أو هو أقرب أو أمرها أقرب منه بأن يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي تبتدئ فيه فإنه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن وأو للتخيير أو بمعنى بل وقيل معناه أن قيام الساعة وإن تراخى فهو عند الله كالشيء الذي تقولون فيه هو كلمح البصر أو هو أقرب مبالغة في استقرابه إن الله على كل شيء قدير فيقدر على أن يحيي الخلائق دفعة كما قدر على أن أحياهم متدرجاً ثم دل على قدرته فقال والله أخرجكم من بطون أمهاتكم وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على أنه لغة أو إتباع لما قبلها وحمزة بكسرها والميم والهاء مزيدة مثلها في أهراق لا تعلمون شيئاً جهالاً مستصحبين جهل الجمادية وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة أداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الأشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرر الإحساس حتى تتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما أنعم عليكم طوراً بعد طور فتشكروه ألم يروا إلى الطير قرأه ابن عامر

وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب للعامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب
المواتية له في جو السماء في الهواء المتباعد من الارض ما يمسكهن فيه الا الله فان ثقل جسدها يقتضي
سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها ان في ذلك لآيات تسخير الطير للطيران بان خلقها
خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها في الهواء على خلاف طبعها لقوم
يؤمنون لانهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون
فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الا
نعام بيوتا هي القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها
من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة يخف
عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم ويوم اقامتكم ووضعها وضربها وقت
الحضر او النزول وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة ومن اصوافها واوبارها
واشعارها الصوف للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من
جملتها اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى
مدة مديدة او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم والله جعل لكم مما خلق من الشجر
والجبال والابنية وغيرها ظلالا تتقون بها حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع
تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل من الصوف
والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان وقاية الحر
كانت اهم عندهم وسرابيل تقيكم بأسكم يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل
ما يلبس كذلك كاتمام هذه النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون
اي تنظرون في نعمه فتؤمنون به وتنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون
من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان
تولوا اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ
وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون نعمت الله اي يعرف المشركون نعمه
التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير
المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة
الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار
بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم
يعرف الحق لنقصان العقل او التفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما
لانه اقام مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا
وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار

اذ لا عذر لهم ودخل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه
من الاقناط الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون
من العتبى وهي الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله
واذا رأى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
يمهلون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركاء او الشياطين
الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك
نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك او التماس لان يشطر عذابهم
فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله او انهم
عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم كقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام
به حينئذ او في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا
ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا الى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد
الاستكبار في الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان آلهتهم ينصرونهم
ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام
والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب المستحق لكفرهم بما كانوا يفسدون
بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان
نبي كل امة بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب
استئناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين على التفصيل او الاجمال
بالاحالة الى السنة او القياس وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه وبشرى
للمسلمين خاصة ان الله يأمر بالعدل بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل
والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط
بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات وهو
اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عليه الصلاة والسلام الاحسان ان تعبد
الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه
وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة الشهوية والبغي
والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية
ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى
الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع آية في القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام
عثمان بن مظعون ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة
للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي

والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون وأوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
على الإسلام لقوله تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وقيل كل أمر يجب الوفاء به إذا
عاهدتم وقيل النذور وقيل الإيمان بالله ولا تنقضوا الأيمان أي أيمان البيعة أو مطلق الأيمان بعد توكيدها
بعد توثيقها بذكر الله ومنه أكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك البيعة
فإن الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه إن الله يعلم ما تفعلون من نقض الأيمان والعهود ولا تكونوا
كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت أي نقضت غزلها من بعد
إبرام وإحكام أنكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها أو المفعول الثاني لنقضت
فإنه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنها وقيل ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فإنها
كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون أيمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا أو في الجار الواقع موقع
الخبر أي ولا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شأنها متخذي أيمانكم مفسدة ودخلا بينكم وأصل الدخل ما يدخل
الشيء ولم يكن منه أن تكون أمة هي أربى من أمة بأن تكون جماعة أزيد عددا وأوفر مالا من جماعة
والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم أو لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فإنهم كانوا إذا رأوا شوكة في
أعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا أعداءهم إنما يبلوكم الله به الضمير لأن تكون أمة لأنه
بمعنى المصدر أي يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسول الله أم تغترون
بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للأربى وقيل للأمر بالوفاء وليبينن لكم
يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون إذا جازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم
أمة واحدة متفقة على الإسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق
ولتسألن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم تصريح
بالنهي عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة في قبح المنهي فتزل قدم أي عن محجة الإسلام بعد ثبوتها
عليها والمراد أقدامهم وإنما وحد ونكر للدلالة على أن زلل قدم واحدة عظيم فكيف بأقدام كثيرة وتذوقوا
السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بصدودكم عن الوفاء أو صدكم غيركم عنه فإن من
نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الآخرة ولا تشتروا بعهد الله
ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله صلى الله عليه وسلم ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش
يعدون لضعفاء المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد إنما عند الله من النصر والتغنيم في الدنيا
والثواب في الآخرة هو خير لكم مما يعدونكم إن كنتم تعلمون إن كنتم من أهل العلم
والتمييز ما عندكم من أعراض الدنيا ينفد ينقضي ويفنى وما عند الله من خزائن رحمته باق
لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على أن نعيم أهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم على
الفاقة وأذى الكفار أو على مشاق التكاليف وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون بأحسن ما كانوا يعملون
بما يرجح فعله من أعمالهم كالواجبات والمندوبات أو بجزاء أحسن من أعمالهم من عمل صالحا من ذكر

أو أنثى

أو أنثى بينه بالنوعين دفعا للتخصيص وهو مؤمن إذ لا اعتداد بأعمال الكفرة في استحقاق الثواب وإنما المتوقع
عليها تخفيف العقاب فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا فإنه إن كان موسرا فظاهر وإن
كان معسرا يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الأجر العظيم في الآخرة بخلاف الكافر فإنه إن
كان معسرا فظاهر وإن كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات أن يتهنأ بعيشه وقيل في الآخرة ولنجزينهم
أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فإذا قرأت القرآن إذا أردت قراءته كقوله إذا قمتم
إلى الصلوة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فاسأل الله أن يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك
في القراءة والجمهور على أنه للاستحباب وفيه دليل على أن المصلي يستعيذ في كل ركعة لأن الحكم المرتب على شرط
يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه إيذان بأن الاستعاذة عند القراءة من
هذا القبيل وعن ابن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
هكذا أقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ إنه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى
ربهم يتوكلون على أوليائه المؤمنين به والمتوكلين عليه فإنهم لا يطيعون أوامره ولا يقبلون
وساوسه إلا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك أمروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الأمر بالاستعاذة
لئلا يتوهم منه أن له سلطانا إنما سلطانه على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم به بالله
أو بسبب الشيطان مشركون وإذا بدلنا آية مكان آية بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان
المنسوخة لفظا وحكما والله أعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده
فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ينزل بالتخفيف
قالوا أي الكفرة إنما أنت مفتر متقول على الله تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب إذا والله أعلم
بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز أن يكون حالا بل أكثرهم
لا يعلمون حكمة الأحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب قل نزله روح القدس يعني جبريل وإضافة
الروح إلى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزله
تنبيه على أن إنزاله مدرجا على حسب المصالح مما يقتضي التبديل من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت
الذين آمنوا على الإيمان بأنه كلامه فإنهم إذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة
رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل
ليثبت أي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول أضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف
ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا
ويسارا كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل وكان الرسول يمر عليهم ويسمع ما يقرآنه
وقيل عائشا غلام حويطب بن عبد العزى قد أسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي لسان
الذي يلحدون إليه أعجمي لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه مأخوذ من لحد القبر
وقرأ حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء والحاء لسان أعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين

ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لإبطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين أحدهما أن ما سمعه منه
كلام أعجمي لا يفهمه هو ولا أنتم والقرآن عربي تفهمونه بأدنى تأمل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما
هب أنه تعلم منه المعنى باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ لأن ذلك أعجمي وهذا عربي والقرآن كما
هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع أن العلوم الكثيرة التي في القرآن لا يمكن تعلمها إلا بملازمة
معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقي سمع منه بعض أوقات مروره
عليه كلمات أعجمية لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم في القرآن بأمثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية
عجزهم إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يصدقون أنها من عند الله لا يهديهم الله إلى الحق أو إلى
سبيل النجاة وقيل إلى الجنة ولهم عذاب أليم في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعدما أماط شبهتهم
ورد طعنهم فيه ثم قلب الأمر عليهم فقال إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله لأنهم
لا يخافون عقابا يردعهم عنه وأولئك إشارة إلى الذين كفروا أو إلى قريش هم الكاذبون أي
الكاذبون على الحقيقة أو الكاملون في الكذب لأن تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات أعظم
الكذب أو الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروءة أو الكاذبون في قولهم إنما أنت مفتر
إنما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد إيمانه بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض أو من
أولئك أو من الكاذبون أو مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز أن ينتصب بالذم
وأن يكون من شرطية محذوفة الجواب إلا من أكره على الافتراء أو كلمة الكفر استثناء متصل لأن الكفر
لغة يعم القول والعقد كالإيمان وقلبه مطمئن بالإيمان لم يتغير عقيدته وفيه دليل على أن الإيمان
هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب من
الله ولهم عذاب عظيم إذ لا أعظم من جرمه روي أن قريشا أكرهوا عمارا وأبويه ياسرا وسمية على
الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا إنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت
وقتلوا ياسرا وهما أول قتيلين في الإسلام وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا مكرها فقيل يا رسول الله إن
عمارا كفر فقال كلا إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله
وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال ما لك إن عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم
بالكفر عند الإكراه وإن كان الأفضل أن يتجنب عنه إعزازا للدين كما فعله أبواه لما روي أن مسيلمة أخذ
رجلين فقال لأحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال أنت أيضا فخلاه وقال للآخر
ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال أنا أصم فأعاد عليه ثلاثا فأعاد جوابه فقتله
فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما الأول فقد أخذ برخصة الله وأما الثاني فقد صدع بالحق
فهنيئا له ذلك إشارة إلى الكفر بعد الإيمان أو الوعيد بأنهم استحبوا الدنيا على الآخرة بسبب أنهم
آثروها عليها وأن الله لا يهدي القوم الكافرين في علمه إلى ما يوجب ثبات الإيمان ولا يعصمهم
عن الزيغ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم فأبت عن إدراك الحق

والتأمل

والأبصار فيه وأولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة إذ أغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب
لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون إذ ضيعوا أعمارهم وصرفوها فيما أفضى بهم إلى العذاب المخلد
ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا أي عذبوا كعمار بالولاية والنصر ثم لتباعد حال هؤلاء
عن حال أولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح أي من بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي أكره مولاه جبرا حتى
ارتد ثم أسلما وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما أصابهم من المشاق إن ربك من بعدها
من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تأتي
كل نفس منصوب برحيما أو باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها شأن
غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون أجورهم
وضرب الله مثلا قرية أي جعلها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا فأنزل الله
بهم نقمته أو لمكة كانت آمنة مطمئنة لا يزعج أهلها خوف يأتيها رزقها أقواتها رغدا واسعا
من كل مكان من نواحيها فكفرت بأنعم الله جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع
وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس فأذاقها الله لباس الجوع والخوف استعار الذوق لإدراك أثر الضرر
واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف وأوقع الإذاقة عليه بالنظر إلى المستعار له
كقول كثير: غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال
فإنه استعار الرداء للمعروف لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي
هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا إلى المستعار له وقد ينظر إلى المستعار كقوله

ينازعني ردائي عبد عمرو — رويدك يا أخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني — ودونك فاعتجر منه بشطر

استعار الرداء للسيف ثم قال فاعتجر نظرا إلى المستعار بما كانوا يصنعون بصنيعهم ولقد جاءهم
رسول منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير لأهل مكة عاد إلى ذكرهم بعدما ذكر مثلهم فكذبوه
فأخذهم العذاب وهم ظالمون أي في حال التباسهم بالظلم والعذاب ما أصابهم من الجدب الشديد
أو وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله أمرهم بأكل ما أحل الله
لهم وشكر ما أنعم عليهم بعدما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل
بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة إن كنتم إياه تعبدون تطيعون أو إن صح
زعمكم أنكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم لما أمرهم بتناول
ما أحل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم أن ما عداها حل لهم ثم أكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل
بأهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا
ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا الآية ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بإنما حصر

المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضمه اليها دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا هذا
حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم
فتقول هذا حلال وهذا حرام ومفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اي لا تقولوا
هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول تنطق به السنتكم
من غير دليل ووصف السنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة الكذب كانت مجهولة
والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال
وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة للالسنة
وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض
ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفي عنهم
الفلاح وبينه بقوله متاع قليل اي ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب
ولهم عذاب اليم في الآخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اي في سورة الانعام
في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم
وبين غيرهم في التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء
بجهالة بسببها وملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة
والسوء يعم الافتراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها
من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة ان ابراهيم كان امة لكماله
واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة في اشخاص كثيرة كقوله

ليس من الله بمستنكر ... ان يجمع العالم في واحد

وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذي جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج
الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم
ما احله او لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هي فعلة بمعنى مفعول
كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون
بسيرته كقوله اني جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا له قائما باوامره حنيفا مائلا عن الباطل
ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم شاكرا
لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه
الى صراط مستقيم في الدعوة الى الله وآتيناه في الدنيا حسنة بان حببه الى الناس حتى ان ارباب
الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة والطاعة وانه في الآخرة
لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما سأله بقوله والحقني بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد

وثم

ومن تمام التعليم والتشبيه على ان اجل ما اوتي ابراهيم اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام ملته ولذلك
يأمره ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد اخرى
والمجادلة مع كل احد على حسب فهمه وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت
تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة على الذين اختلفوا فيه اي على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى
عليه السلام ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من
خلق السموات والارض فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت
وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم
ها هنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل فريق بما يستحقه ادع من بعثت
اليهم الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة
والموعظة الحسنة والخطابات المقنعة والعبر النافعة فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق
والثانية لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن
طرق المجادلة بالرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التي هي اشهر فان ذلك انفع في
تسكين لهبهم وتبيين شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
اي انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله اعلم بالضالين
والمهتدين وهو المجازي لهم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار
اليه والى من يتابعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه
من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر
والضلال وقيل انه عليه الصلاة والسلام رأى حمزة رضي الله عنه وقد مثل به فقال والله لئن اظفرني
الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل
الجاني وليس له ان يجاوزه وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الآكد
بقوله ولئن صبرتم لهو اي الصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالامر به
لرسوله لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال واصبر وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه
وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون في ضيق
صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير في ضيق هنا وفي النمل وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق
تخفيف ضيق ان الله مع الذين اتقوا المعاصي والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاية والفضل او مع
الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من
الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل

مكية وقيل الا قوله وان كادوا ليفتنونك
الى اخر ثمان آيات وآياتها مائة واحدى عشرة آية
بسم الله الرحمن الرحيم
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد
يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال
قد قلت لما جاءني فخره ... سبحان من علقمة الفاخر
وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد واسرى وسرى بمعنى
وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل اي بعضه
كقوله ومن الليل فتهجد به من المسجد الحرام بعينه لما روي انه عليه الصلاة والسلام قال بينا انا
في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد
الحرام لان كله مسجد او لانه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى لما روي انه كان نائما في بيت ام هانئ
بعد صلاة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لي النبيون فصليت بهم ثم
خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن امن به وسعى رجال الى ابي
بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك
فسمي الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا
اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا
مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم
يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في انه كان في المنام او في اليقظة
بروحه او بجسده والاكثر على انه اسري به بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى
الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين
طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيف وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل
يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض
وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي صلى الله عليه وسلم
او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد
الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن موسى
ومحفوف بالانهار والاشجار لنريه من آياتنا كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته
بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك
البركات والايات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال محمد صلى الله عليه وسلم البصير بافعاله
فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا

على

على اي لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا وقرأ ابو عمرو بالياء على ان لا يتخذوا من دوني وكيلا
ربا تكلون اليه اموركم غيري ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ الا تتخذوا
بالتاء او على انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة
والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير
انعام الله عليهم في انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة انه ان نوحا عليه السلام
كان عبدا شكورا يحمد الله على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره
وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه السلام وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا
مقضيا مبتوتا في الكتاب في التوراة لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء
القضاء المبتوت مجرى القسم مرتين افسادتين اولاهما مخالفة احكام التوراة وقتل شعيا وقيل
ارميا وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن
عن طاعة الله او لتظلمن الناس فاذا جاء وعد اولاهما وعد عقاب اولاهما بعثنا عليكم عبادا
لنا بختنصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل سنحاريب من اهل نينوى
اولي بأس شديد ذوي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا فترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء
وهما اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوراة
وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع
وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة
والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث
الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراهم الى الشام وملك دانيال عليهم
فاستولوا على من كان فيها من اتباع بختنصر او بان سلط الله داود على جالوت فقتله وامددناكم
باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل
من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم
لان ثوابه لها وان اسأتم فلها فان وباله عليها وانما ذكر باللام ازدواجا فاذا جاء وعد
الآخرة وعد عقوبة المرة الاخرى ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم اي
ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء
على التوحيد والضمير فيه للوعد او للبعث او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون وقرئ لنسوءن
بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا
واللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا
وليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله عليهم
الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل خردوش

قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما
صدقوني فقتل عليه ألوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال إن لم تصدقوني ما تركت منكم أحدا فقالوا إنه دم يحيى
فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك فاهدأ بإذن
الله قبل أن لا أبقي منهم أحدا فهدأ عسى ربكم أن يرحمكم بعد المرة الأخرى وإن عدتم نوبة
أخرى عدنا مرة ثالثة إلى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد قتله فعاد الله بتسليطه
عليهم فقتل قريظة وأجلى بني النضير وضرب الجزية على الباقين هذا لهم في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين
حصيرا محبسا لا يقدرون على الخروج منها أبد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير إن هذا القرآن
يهدي للتي هي أقوم للحالة أو للطريقة التي هي أقوم الحالات أو الطرق ويبشر المؤمنين الذين
يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وقرأ حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف وأن الذين لا
يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما عطف على أن لهم أجرا كبيرا والمعنى أنه يبشر المؤمنين
ببشارتين ثوابهم وعقاب أعدائهم أو على يبشر بإضمار يخبر ويدع الإنسان بالشر ويدعو الله عند
غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله أو يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير
وكان الإنسان عجولا يسارع إلى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم فإنه لما انتهى الروح
إلى سرته ذهب لينهض فسقط روي أنه عليه السلام دفع أسيرا إلى سودة بنت زمعة فرحمته لأنينه
فأرخت كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم إنما أنا بشر فمن دعوت عليه فاجعل
دعائي رحمة له فنزلت ويجوز أن يريد بالإنسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول
النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية فأجيب له وضرب
عنقه يوم بدر صبرا وجعلنا الليل والنهار آيتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق
واحد بإمكان غيره فمحونا آية الليل أي الآية التي هي الليل بالإشراق والإضافة فيهما للتبيين كإضافة
العدد إلى المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة أي مضيئة أو مبصرة للناس من أبصره فبصر
أو مبصرا أهله كقولهم أجبن الرجل إذا كان أهله جبناء وقيل الآيتان القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا
نيري الليل والنهار آيتين أو وجعلنا الليل والنهار ذوي آيتين ومحو آية الليل التي هي القمر جعلها مظلمة
في نفسها مطموسة النور أو نقص نورها شيئا فشيئا إلى المحاق وجعل آية النهار التي هي الشمس مبصرة
جعلها ذات شعاع يبصر الأشياء بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار أسباب
معاشكم وتتوصلوا به إلى استبانة أعمالكم ولتعلموا باختلافهما أو بحركاتهما عدد السنين والحساب
وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون إليه في أمور الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه بيانا
غير ملتبس وكل إنسان ألزمناه طائره عمله وما قدر له كأنه طير إليه من عش الغيب ووكر
القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو الخير والشر من قدر الله
وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا هي صحيفة عمله أو نفسه

المنتقشة

المنتقشة بآثار أعماله فإن الأفعال الاختيارية تحدث في النفس أحوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه
بأنه مفعول أو حال من مفعول محذوف هو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج ويخرج
وقرئ ويخرج أي الله تعالى يلقاه منشورا لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب أو يلقاه صفة ومنشورا حال من
مفعوله وقرأ ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك على إرادة القول كفى
بنفسك اليوم عليك حسيبا أي كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لأنه إما
بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لأنه يكفي المدعي ما أهمه وتذكيره على أن الحساب والشهادة مما
يتولاه الرجال أو على تأويل النفس بالشخص من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما
يضل عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا تحمل
نفس حاملة وزرا وزر نفس أخرى بل إنما تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على أن لا وجوب قبل الشرع وإذا أردنا أن
نهلك قرية وإذا تعلقت إرادتنا بإهلاك قوم لإنفاذ قضائنا السابق أو دنا وقته المقدر كقولهم
إذا أراد المريض أن يموت ازداد مرضه شدة أمرنا مترفيها متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه
إليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فإن الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على
الطاعة من طريق المقابلة وقيل أمرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها كقولك أمرته فقرأ فإنه لا يفهم
منه إلا الأمر بالقراءة على أن الأمر مجاز من الحمل عليه أو التسبب له بأن صب عليهم من النعم ما أبطرهم
وأفضى بهم إلى الفسوق ويحتمل أن لا يكون له مفعول منوي كقولك أمرته فعصاني وقيل معناه كثرنا
يقال أمرت الشيء وآمرته فأمر إذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة أي كثيرة
النتاج وهو أيضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية أمرنا عن أبي عمرو ويحتمل أن
يكون منقولا من أمر بالضم إمارة أي جعلناهم أمراء وتخصيص المترفين لأن غيرهم يتبعهم
ولأنهم أسرع إلى الحماقة وأقدر على الفجور فحق عليها القول يعني كلمة العذاب السابق بحلوله أو بظهور
معاصيهم أو بانهماكهم في المعاصي فدمرناها تدميرا أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريب ديارهم
وكم أهلكنا وكثيرا أهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك
بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه
من كان يريد العاجلة مقصورا عليها همه عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل
له بالمشيئة والإرادة لأنه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم أن الأمر بالمشيئة
والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ يشاء والضمير فيه لله حتى يطابق المشهورة وقيل
لمن فيكون مخصوصا بمن أراد الله به ذلك وقيل الآية في المنافقين كانوا يراءون المسلمين ويغزون معهم
ولم يكن غرضهم إلا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مطرودا
من رحمة الله ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الإتيان بما أمر والانتهاء عما نهي

لا التقرب بما يخترعون بارائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا شرك
معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرائط الثلاث كان سعيهم مشكورا من الله اي
مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا اي كل واحد من الفريقين والتنوين بدل
من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل انفه مددا لسالفه هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء
ربك من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن
ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللاخرة
اكبر درجات واكبر تفضيلا اي التفاوت في الاخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها
والنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها اخر الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام والمراد به امته او لكل
احد فتقعد فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولهم قعد عن الشيء اذا
عجز عنه مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله ومفهومه
ان الموحد يكون ممدوحا منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به الا تعبدوا بان لا تعبدوا
الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الاخرة
ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا
لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان تتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه
اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا
ولذلك صح لحوقها النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي
من الالف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان
يكون تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك فلا تقل لهما اف فلا تتضجر مما يستقذر
منهما وتستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر
لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف
وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع
الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول
الله صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان
بهما ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل
التافيف والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض لهما جناح الذل تذلل لهما
وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله

وغداة ريح قد كشفت وقرة ... اذ اصبحت بيد الشمال زمامها

للشمال يدا وللقرة زماما وامره بخفضها مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض جناحك للمؤمنين و
اضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ

الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذليل من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان
افقر خلق الله اليهما وقل رب ارحمهما وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية
وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما
وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي
بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما
يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما
واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا صالحين
قاصدين الصلاح فانه كان للاوابين للتوابين غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير
وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده
على اثره وات ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا
كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي القربى اقارب الرسول عليه الصلاة والسلام والمسكين
وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير
التفريق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضا ما هذا السرف فقال اوفي الوضوء سرف
قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة فان
التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي
روي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله عن
ذلك وامرهم بالانفاق في القربات وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر به فما
ينبغي ان يطاع واما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من
الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك
ترجوها لانتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه لفقد
رزق من الله ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب
الذي هو قوله فقل لهم قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال
القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور
وهو اليسر مثل اغناكم الله ورزقنا الله واياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا
تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما
الذي هو الكرم فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير
محسورا نادما او منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر بينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم جالس اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة فعد
الينا فذهب الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه

وأعطاه وقعد عريانا وأذن بلال وانتظروه للصلاة فلم يخرج فأنزل الله ذلك ثم سلاه بقوله إن ربك
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الإضافة
إلا لمصلحتك إنه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم
ويجوز أن يراد أن البسط والقبض من أمر الله العالم بالسرائر والظواهر فأما العباد فعليهم أن يقتصدوا
أو أنه تعالى يبسط تارة ويقبض أخرى فاستنوا بسنته لا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط
وأن يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق مخافة الفاقة وقتلهم أولادهم
وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم أرزاقهم فقال نحن نرزقهم وإياكم إن
قتلهم كان خطئا كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطء الإثم يقال
خطئ خطأ كأثم إثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من أخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل
وحذر وحذر وقرأ ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو إما لغة أو مصدر خاطأ وهو وإن لم يسمع لكنه جاء
تخاطأ في قوله ∴ تخاطأه القناص حتى وجدته ∴ وخرطومه في منقع الماء راسب
وهو مبني عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا الزنا بالعزم
والإتيان بالمقدمات فضلا أن تباشروه إنه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح زائدة وساء
سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الأبضاع المؤدي إلى قطع الأنساب وهيج الفتن ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله إلا بالحق إلا بإحدى ثلاث كفر بعد إيمان وزنا بعد إحصان وقتل مؤمن
معصوم عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي أمره بعد وفاته
وهو الوارث سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه أو بالقصاص على القاتل فإن قوله
مظلوما يدل على أن القتل عمدا عدوان فإن الخطأ لا يسمى ظلما فلا يسرف أي القاتل في القتل بأن
يقتل من لا يحق قتله فإن العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك أو الولي بالمثلة أو قتل غير القاتل
ويؤيد الأول قراءة أبي فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب أحدهما إنه كان
منصورا علة للنهي على الاستئناف والضمير إما للمقتول فإنه منصور في الدنيا بثبوت القصاص
بقتله وفي الآخرة بالثواب وإما لوليه فإن الله نصره حيث أوجب القصاص له وأمر الولاة بمعونته
وإما للذي يقتله الولي إسرافا بإيجاب القصاص أو التعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم
فضلا أن تتصرفوا فيه إلا بالتي هي أحسن إلا بالطريقة التي هي أحسن حتى يبلغ أشده غاية
لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء وأوفوا بالعهد بما عاهدكم الله تعالى من تكاليفه
أو ما عاهدتموه وغيره إن العهد كان مسؤولا مطلوبا يطلب من العاهد أن لا يضيعه
ويفي به أو مسؤولا عنه يسأل الناكث ويعاتب عليه أو يسأل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما
يقال للموءودة بأي ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز أن يراد أن صاحب العهد كان مسؤولا وأوفوا
الكيل إذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي

عرب

عرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لأن العجمي إذا استعملته العرب وأجرته مجرى كلامهم في الإعراب
والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف هنا وفي الشعراء ذلك
خير وأحسن تأويلا وأحسن عاقبة تفعيل من آل إذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف أثره
إذا قفاه ومنه القافة ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا أو رجما بالغيب واحتج به
من منع اتباع الظن وجوابه أن المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا
أو ظنا واستعماله بهذا المعنى شائع وقيل إنه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله
عليه الصلاة والسلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وقول الكميت
∴ ولا أرمي البريء بغير ذنب ∴ ولا أقفو الحواصن إن قفينا ∴
إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك أي كل هذه الأعضاء فأجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤولة
عن أحوالها شاهدة على صاحبها هذا وإن أولاء وإن غلب في العقلاء لكنه من حيث إنه اسم جمع لذا
وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله ∴ والعيش بعد أولئك الأيام ∴ كان عنه مسؤولا في ثلاثتها
ضمير كل أي كان كل واحد منها مسؤولا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز أن يكون الضمير في
عنه لمصدر لا تقف أو لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤولا مسند إلى عنه كقوله غير المغضوب عليهم
والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لأن الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على أن العبد مؤاخذ
بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم إبدالها بالفتح ولا تمش في الأرض مرحا
أي ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم أبلغ وإن كان المصدر آكد من صريح النعت إنك
لن تخرق الأرض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال
وتعليل للنهي بأن الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس في التذلل كل ذلك إشارة إلى الخصال
الخمس والعشرين المذكورة من قوله لا تجعل مع الله إلها آخر وعن ابن عباس أنها المكتوبة في ألواح موسى
كان سيئه يعني المنهي عنه فإن المذكورات مأمورات ومناه وقرأ الحجازيان والبصريان
سيئة على أنها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك إشارة إلى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك
مكروها بدل من سيئة أو صفة لها محمولة على المعنى فإنه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز أن ينتصب
مكروها على الحال من المستكن في كان أو في الظرف على أنه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي
لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على أن الحوادث كلها واقعة بإرادته تعالى ذلك إشارة إلى الأحكام المتقدمة
مما أوحى إليك ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله إلها
آخر كرره للتنبيه على أن التوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه فإن من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله أو تركه
غيره ضاع سعيه وأنه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه أولا ما هو عائدة الشرك في الدنيا وثانيا ما هو
نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله أفأصفاكم
ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للإنكار والمعنى أفخصكم ربكم بأفضل الأولاد

وهو البنون واتخذ من الملائكة إناثاً بنات لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم إنكم
لتقولون قولاً عظيماً بإضافة الأولاد إليه وهي خاصة بعض الأجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل أنفسكم
عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من أشرف خلق الله أدونهم ولقد صرفنا
كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن في مواضع منه ويجوز أن يراد بهذا القرآن إبطال إضافة
البنات إليه بتقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى أو أوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذ
كروا وقرأ حمزة والكسائي ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر وما يزيدهم إلا نفوراً عن الحق
وقلة طمأنينة إليه قل لو كان معه آلهة كما يقولون أيها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء
فيه وفيما بعده على أن الكلام مع الرسول ووافقهما نافع وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر ويعقوب في الثانية
على أن الأولى مما أمر الرسول أن يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالتهم إذاً لابتغوا
إلى ذي العرش سبيلاً جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا إلى من هو مالك الملك سبيلاً بالمعازة كما
يفعل الملوك بعضهم مع بعض أو بالتقرب والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله أولئك الذين يدعون
يبتغون إلى ربهم الوسيلة سبحانه ينزه تنزيهاً وتعالى عما يقولون علواً تعالياً كبيراً متباعداً
غاية البعد عما يقولون فإنه في أعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد
من أدنى مراتبه فإنه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن
من شيء إلا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم الإمكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل
بإمكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم أيها المشر
كون لإخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز أن يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ
والدلالة لإسناده إلى ما يتصور منه اللفظ وإلى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز إطلاق اللفظ
على معنييه وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو بكر يسبح بالياء إنه كان حليماً حيث لا يعاجلكم
بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفوراً لمن تاب منكم وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين
لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً يحجبهم عن فهم ما تقرؤه عليهم مستوراً ذا ستر كقوله وعده مأتيا
وقولهم سيل مفعم أو مستوراً عن الحس أو بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون أنهم لا يفهمون نفى عنهم أن
يفهموا ما أنزل عليهم من الآيات بعدما نفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الأنفس والآفاق
تقريراً له وبياناً لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم أكنة تكنها
وتحول دونها عن إدراك الحق وقبوله أن يفقهوه كراهة أن يفقهوه ويجوز أن يكون مفعولاً لما
دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم أكنة أي منعناهم أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً يمنعهم عن استماعه
ولما كان القرآن معجزاً من حيث اللفظ والمعنى أثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وإدراك اللفظ وإذا
ذكرت ربك في القرآن وحده واحداً غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال وأصله
يحد وحده بمعنى واحداً وحده ولوا على أدبارهم نفوراً هرباً من استماع التوحيد ونفرة أو تولية ويجوز

أن

أن يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن أعلم بما يستمعون به بسببه ولأجله من الهزء بك وبالقرآن
إذ يستمعون إليك ظرف لأعلم وكذا وإذ هم نجوى أي نحن أعلم بغرضهم من الاستماع حين هم
مستمعون إليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل أن يكون جمع
نجي إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً مقدر باذكر أو بدل من إذ هم نجوى على وضع
الظالمين موضع المضمر للدلالة على أن تناجيهم بقولهم هذا ظلم والمسحور الذي سحر فزال عقله وقيل
الذي له سحر وهو الرئة أي إلا رجلاً يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الأمثال
مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلاً
إلى طعن بوجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في أمره لا يدري ما يصنع أو إلى الرشاد وقالوا أإذا
كنا عظاماً ورفاتاً حطاماً أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً على الإنكار والاستبعاد لما بين غضاضة
الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل في إذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لأن ما
بعد أن لا يعمل فيما قبلها وخلقاً مصدر أو حال قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما
يكبر في صدوركم أي مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه أبعد شيء منها فإن قدرته تعالى
لا تقصر عن إحيائكم لاشتراك الأجسام في قبول الأعراض فكيف إذا كنتم عظاماً مرفوتة وقد كانت غضة
موصوفة بالحياة قبل والشيء أقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم
أول مرة وكنتم تراباً وما هو أبعد منه من الحياة فسينغضون إليك رؤوسهم فسيحركونها نحوك
تعجباً واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً فإن كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر
أو الظرف أي يكون في زمان قريب وأن يكون اسم عسى أو خبره والاسم مضمر يوم يدعوكم
فتستجيبون أي يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر
أمرهما وأن المقصود منهما الإحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم أي حامدين لله على كمال قدرته
كما قيل إنهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك أو منقادين لبعثه انقياد
الحامدين عليه وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً وتستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية
أو مدة حياتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا التي هي أحسن الكلمة التي
هي أحسن ولا يخاشنوا المشركين إن الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة
تفضي بهم إلى العناد وازدياد الفساد إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً ظاهر العداوة ربكم
أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم تفسير للتي هي أحسن وما بينهما اعتراض أي قولوا
لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بأنهم من أهل النار فإنه يهيجهم على الشر مع أن ختام أمرهم غيب لا يعلمه
إلا الله وما أرسلناك عليهم وكيلاً موكولاً إليك أمرهم تقسرهم على الإيمان وإنما أرسلناك بشيراً
ونذيراً فدارهم ومر أصحابك بالاحتمال منهم وروي أن المشركين أفرطوا في إيذائهم فشكوا إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رجلاً منهم فهم به فأمره الله بالعفو وربك أعلم بمن في السموات والأرض

وباحوالهم فيختار منهم للنبوة والولاية من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيا
وان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبري عن
العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود فان شرفه بما اوحي اليه من الكتاب لا بما اوتي من
الملك وقيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وآتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله
وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب في الزبور من ان الارض يرثها عبادي الصالحون
وتنكيره هنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول
ويؤيده قراءة حمزة بالضم فهو كالعباس او الفضل او لان المراد وآتينا داود بعض الزبر او بعضا من الزبور
فيه ذكر الرسول قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون
فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة هؤلاء الالهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة
ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون
رحمته ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف تزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا
بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والا
ستيصال او معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ
مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالآيات وما صرفنا عن ارسال الآيات التي اقترحها قريش
الا ان كذب بها الاولون الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت
لكذبوها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستيصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستاصلهم
لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال وآتينا
ثمود الناقة بسؤالهم مبصرة بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ بالفتح
فظلموا بها فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالآيات اي بالآيات المقترحة
الا تخويفا من نزول العذاب المستاصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن
الا تخويفا بعذاب الآخرة فان امر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيمة والباء مزيدة او في موقع الحال و
المفعول محذوف واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم في قبضة قدرته
او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق
وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان في المنام ومن قال انه
كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية حين رأى انه دخل مكة وفيه ان الآية مكية الا
ان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا رآها في وقعة بدر لقوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك
قليلا ولما روي انه لما ورد ماءه قال لكأني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان
فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوما من بني امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة

فقال

فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله الا فتنة للناس ما حدث في ايامهم
والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم
ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر السمندل من ان
تأكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قدر ان يخلق في النار
شجرة لا تحرقها ولعنها في القرآن لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها في اصل
الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد
اولت بالشيطان وبابي جهل والحكم بن ابي العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والشجرة
الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم بانواع التخويف فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا متجاوزا
الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا لمن
خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين
او منه اي ااسجد له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار قال ارأيتك هذا الذي
كرمت علي الكاف لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول
الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود له لم كرمته
علي لئن اخرتن الى يوم القيمة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته
الا قليلا لاستاصلنهم باغوائهم الا قليلا لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا
جرد ما عليها اكلا ماخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا من قول الملائكة اتجعل
فيها من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب قال اذهب امض لما
قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم
جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء
موفورا مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او بما في جزاؤكم
من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخف من استطعت منهم ان تستفزه
والفز الخفيف بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك
ورجلك باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي والرجل
اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم
فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استاصلهم وقرأ حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم
وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ ورجالك ورجالك وشاركهم في الاموال
بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل الى الولد
بالحرام والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال
القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتاخير التوبة لطول الامل

وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده الباطلة والغرور تزيين الخطأ بما يوهم انه صواب
ان عبادي يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا عبادك منهم المخلصين يخصصهم ليس
لك عليهم سلطان اي على اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك
على الحقيقة ربكم الذي يزجي هو الذي يجري لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الربح وانواع الا
متعة التي لا تكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر من
اسبابه واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم
الا اياه وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه عن اغاثتكم الا
الله سبحانه وتعالى فلما نجاكم من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي
الرمة :: عطاء فتى تمكن في المعالي فاعرض في المكارم واستطالا
وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض افامنتم الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره
انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم في البحر بالغرق قدر ان يهلككم في البر
بالخسف وغيره ان يخسف بكم جانب البر ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال
او صلة وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم لما
وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك
او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك
فانه لا راد لفعله ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر تارة اخرى بخلق دواع تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه
فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء الا قصفته اي كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء
على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم وكفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم
علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف ولقد كرمنا بني ادم بحسن الصورة والمزاج الاعدل
واعتدال القامة والتميز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى اسباب المعاش والمعاد
والتسلط على ما في الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى ما
يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو ان
كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب
والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم تغرقهم
الماء ورزقناهم من الطيبات المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن
خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم
من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسألة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف
يوم ندعو نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعو على قلب الالف
واوا في لغة من يقول افعو في افعى او على ان الواو علامة الجمع كما في واسروا النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل بدل منه

والنون

والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى كل اناس
بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال
يا صاحب كتاب كذا اي تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم
وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى واظهار شرف الحسن والحسين
وان لا يفتضح اولاد الزنا فمن اوتي من المدعوين كتابه بيمينه اي كتاب عمله فاولئك يقرءون
كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا لا ينقصون من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم
الاشارة والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتي
كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة او يكون قراءتهم
لذلك كلا قراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ايضا مشعر
بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الاخرة
اعمى لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الالة والمهلة وقيل
لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالجهل
والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم المتوسطة
كما في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها
تصير ياء في التثنية وقد اما لهما حمزة والكسائي وابو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما وان كادوا ليفتنونك
نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا
نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم
وادينا كما حرمت مكة وان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل قريش قالوا لا نمكنك
من استلام الحجر حتى تلم بالهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشان
قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك من الاحكام لتفتري
علينا غيره ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك
وليا لهم بريئا مني ولا بي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم شيئا
قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم
وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا عن ان تركن اليه
وهو صريح في انه عليه السلام ما هم باجابتهم مع قوة الدواعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق
الله وحفظه اذا لاذقناك اي لو قاربت لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب
الدنيا وعذاب الاخرة ضعف ما نعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر
وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف
واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل

المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع العذاب
عنك وإن كادوا وإن كاد أهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من الأرض أرض مكة ليخرجوك
منها وإذا لا يلبثون خلفك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك إلا قليلا إلا زمانا قليلا وقد كان
كذلك فإنهم أهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة وقيل الآية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي صلى الله عليه
وسلم بالمدينة فقالوا الشام مقام الأنبياء فإن كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج
مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة وأجلي بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا بإذا على
أنه معطوف على جملة قوله وإن كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فإن إذا لا تعمل إذا كان معتمدا
ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال

عفت الديار خلافهم فكأنما ... بسط الشواطب بينهن حصيرا

سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر أي سن الله ذلك سنة وهو أن يهلك
كل أمة أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم فالسنة لله وإضافتها إلى الرسل لأنها من أجلهم ويدل
عليه ولا تجد لسنتنا تحويلا أي تغييرا أقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله
عليه الصلاة والسلام أتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها وأصل التركيب
للانتقال ومنه الدلك فإن الدالك لا تستقر يده وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع
ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لأن الناظر إليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام
للتأقيت مثلها في لثلاث خلون إلى غسق الليل إلى ظلمته وهو وقت صلاة العشاء الآخرة وقرآن
الفجر وصلاة الصبح سميت قرآنا لأنه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة
فيها ولا دليل فيه لجواز أن يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر دل الأمر
بإقامتها على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا إن قرآن الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة
الليل وملائكة النهار أو شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو أخو الموت بالانتباه أو كثير
من المصلين أو من حقه أن يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات الخمس إن فسر الدلوك بالزوال
ولصلوات الليل وحدها إن فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس إلى
غسق الليل بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل به على أن الوقت يمتد إلى غروب الشفق ومن الليل
فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة والضمير للقرآن نافلة لك فريضة زائدة لك
على الصلوات المفروضة أو فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى أن يبعثك ربك مقاما
محمودا مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور أنه مقام
الشفاعة لما روى أبو هريرة أنه عليه السلام قال هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي ولإشعاره بأن
الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك إلا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف بإضمار فعله أي فيقيمك
مقاما أو بتضمين يبعثك معناه أو الحال بمعنى أن يبعثك ذا مقام وقل رب أدخلني أي في القبر

مدخل صدق إدخالا مرضيا وأخرجني أي منه عند البعث مخرج صدق إخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد
إدخال المدينة والإخراج من مكة وقيل إدخاله مكة ظاهرا عليها وإخراجه منها آمنا من المشركين وقيل
إدخاله الغار وإخراجه منه سالما وقيل إدخاله فيما حمله من أعباء الرسالة وإخراجه منه مؤديا حقه وقيل
إدخاله في كل ما يلابسه من مكان أو أمر وإخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى أدخلني فأدخل
دخولا وأخرجني فأخرج خروجا واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا تنصرني على من خالفني أو ملكا
ينصر الإسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فإن حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم
في الأرض وقل جاء الحق الإسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك من زهق روحه إذا خرج إن
الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود أنه عليه الصلاة والسلام دخل مكة يوم الفتح وفيها
ثلاثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرته في عين واحد واحد منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب
لوجهه حتى ألقى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به
فكسره وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم
كالدواء الشافي للمرضى ومن للبيان فإنه كله كذلك وقيل إنه للتبعيض والمعنى أن منه ما يشفي من المرض
كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين إلا خسارا لتكذيبهم
وكفرهم به وإذا أنعمنا على الإنسان بالصحة والسعة أعرض عن ذكر الله ونأى بجانبه لوى
عطفه وبعد بنفسه عنه كأنه مستغن مستبد بأمره ويجوز أن يكون كناية عن الاستكبار لأنه من
عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفي فصلت وناء على القلب أو على أنه بمعنى نهض
وإذا مسه الشر من مرض أو فقر كان يئوسا شديد اليأس من روح الله قل كل يعمل على شا
كلته قل كل أحد يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة أو جوهر روحه وأحواله التابعة
لمزاج بدنه فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا أسد طريقا وأبين منهاجا وقد فسرت الشاكلة
بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك عن الروح الذي يحيى به بدن الإنسان ويدبره قل الروح من
أمر ربي من الإبداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من أصل كأعضاء جسده أو وجد بأمره وحدث
بتكوينه على أن السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثر الله بعلمه لما روي أن اليهود قالوا لقريش
سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فإن أجاب عنها أو سكت فليس بنبي وإن أجاب
عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة وقيل
الروح جبريل وقيل خلق أعظم من الملك وقيل القرآن ومن أمر ربي معناه من وحيه وما أوتيتم من
العلم إلا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم فإن اكتساب العقل للمعارف النظرية إنما هو من
الضروريات المستفادة من إحساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما ولعل أكثر الأشياء
لا يدركه الحس ولا شيئا من أحواله المعرفة لذاته وهو إشارة إلى أن الروح مما لا يمكن معرفة ذاته إلا
بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب وما رب العالمين

بين لي بعض صفاته روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن
وانتم فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت
ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير والحق
ما تسعه القوة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله سبحانه
وتعالى التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير ولئن شئنا لنذهبن بالذي
اوحينا اليك اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا
ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن المصاحف والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا
استرداده مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون
استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة
في تنزيله ان فضله كان عليك كبيرا كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه في حفظه قل
لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى
لا يأتون بمثله وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه
اللام الموطئة ولولا هي لكان جوابا للشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير

وان اتاه خليل يوم مسألة ∴ يقول لا غائب مالي ولا حرم

ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم
بمثله لا يخرجه عن كونه معجزا ولانهم كانوا وسائط في اتيانه ويجوز ان تكون الاية تقريرا لقوله
ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد صرفنا كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في
هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس فأبى اكثر
الناس الا كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي وقالوا لن
نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا بعد ما لزمتهم الحجة ببيان اعجاز
القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة
والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او تكون لك
جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او يكون الاستنان يشتمل على ذلك او تسقط
السماء كما زعمت علينا كسفا يعنون قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع
لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن الا في الروم وابن عامر
الا في سورة هذه السورة ونافع وابو بكر في غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدرة
وسدر او فعل بمعنى مفعول كالطحن او تأتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على
صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها
عليها كما حذف الخبر في قوله . فاني وقيار بها لغريب . او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون

لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن
لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي تعجبا من
اقتراحاتهم او تنزيها لله من ان يأتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر
قال سبحان ربي اي قال الرسول هل كنت الا بشرا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل وكانوا
لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الايات اليهم ولا لهم
ان يتحكموا على الله حتى تتخيروها علي هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في آيات اخرى كقوله
ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم
الهدى اي وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا
الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد والقرآن الا انكارهم ان يرسل
الله بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون كما يمشي بنو آدم مطمئنين
ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس
فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقي منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا
يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق قل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم على اني رسول اليكم باظهار المعجزة على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به
اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال او التمييز انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم
الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو
المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه يهدونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
يسحبون عليها او يمشون بها روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم
قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما
لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم
لم يستبصروا بالايات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالحق ويجوز ان يحشروا
بعد الحساب من الموقف الى النار مؤفي القوى والحواس مأواهم جهنم كلما خبت سكن لهبها
بان اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بان تبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة
مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالوا على الاعادة والافناء واليه
اشار بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا
لمبعوثون خلقا جديدا لان الاشارة الى ما تقدم من عذابهم اولم يروا ولم يعلموا ان الله الذي
خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب
عليه من الابداء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيامة فابى الظالمون مع وضوح
الحق الا كفورا الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه وسائر نعمه

وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة
مع الايجاز والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق
اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو اثر غيره بشي فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذا بخيل بالاضافة الى جود
الله وكرمه هذا وان البخلا اغلب فيهم وكان الانسان قتورا بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة
بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذل ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات هي العصا واليد والجراد
والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان
والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاث الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سال النبي صلى الله عليه وسلم عنها
فقال ان لا تشركوا بالله شيا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا
الربوا ولا تمشوا ببري الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة
اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله فعلى هذا المراد بالايات والاحكام العامة للملل
الثابتة في كل الشرائع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الاخرة من السعادة او
الشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا حكم مستانف زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق
الكلام فاسال بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم عن حال
دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على لفظ الماضي بغير همز وهو لغة قريش
واذ متعلقة بقلنا او سال على هذه القراءة او فاسال يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ
جاءهم او عن الايات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك او لتعلم ان الله تعالى لو اتى بما اقترحوا
لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين
وطمانينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا باتينا او باضمار يخبروك على انه جواب الامر او باضمار
اذكر على الاستيناف فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال
لقد علمت يا فرعون وقرا الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل هؤلاء الايات الا
رب السموات والارض بصائر بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند ونصبه على الحال
واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا
اي ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن
موسى عليه السلام يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة
واللام الفارقة فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض
ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره و
استفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد فرعون او اغراقه لبني اسرائيل اسكنوا
الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الاخرة الكرة او الحيوة او الساعة او الدار الاخرة يعني
قيام القيمة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداكم من اشقياكم

واللفيف

واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا القران الا ملتبسا بالحق المقتضي
لانزاله وما نزل على الرسول الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد
من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفي اعتراء البطلان له اول
الامر واخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب فلا عليك الا التبشير
والانذار وقرانا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله
ويوما شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين سنة لتقراه على
الناس على مكث على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه
ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل امنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم بالقران لا يزيده كمالا و
امتناعكم عنه لا يورثه نقصا وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل له اي ان لم تؤمنوا به فقد
امن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرؤوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة
وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل او راوا نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا
لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم
اذا يتلى عليهم القران يخرون للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا لانجازه
وعده في تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وانزال القران عليه ويقولون
سبحان ربنا عن خلف الوعد ان كان وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون
للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما
اثر فيهم من مواعظ القران حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من
وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القران خشوعا كما يزيدهم علما
ويقينا بالله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر وقالت اليهود انك
لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التورية والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما
مطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود
وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اجوب لقوله ايا ما تدعوا
فله الاسماء الحسنى والدعاء في الاية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء
عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما في اي من الابهام
والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام ايا ما تدعوا فهو حسن
فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها
على صفات الجلال والاكرام ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك
يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين

بين ذلك سبيلا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب وروي ان ابا
بكر رضي الله عنه كان يخافت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله عنه كان يجهر
ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان
يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ
بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له
شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة به
ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا
وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه
الكامل الذات المنفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم
عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان
العبد وان بالغ في التنزيه والتحميد واجتهد في العبادة والتمجيد
ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي انه عليه
الصلاة والسلام كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب
علمه هذه الاية وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين
كان له قنطار في الجنة والقنطار الف
اوقية ومائتا اوقية

تمت

٢٢٢